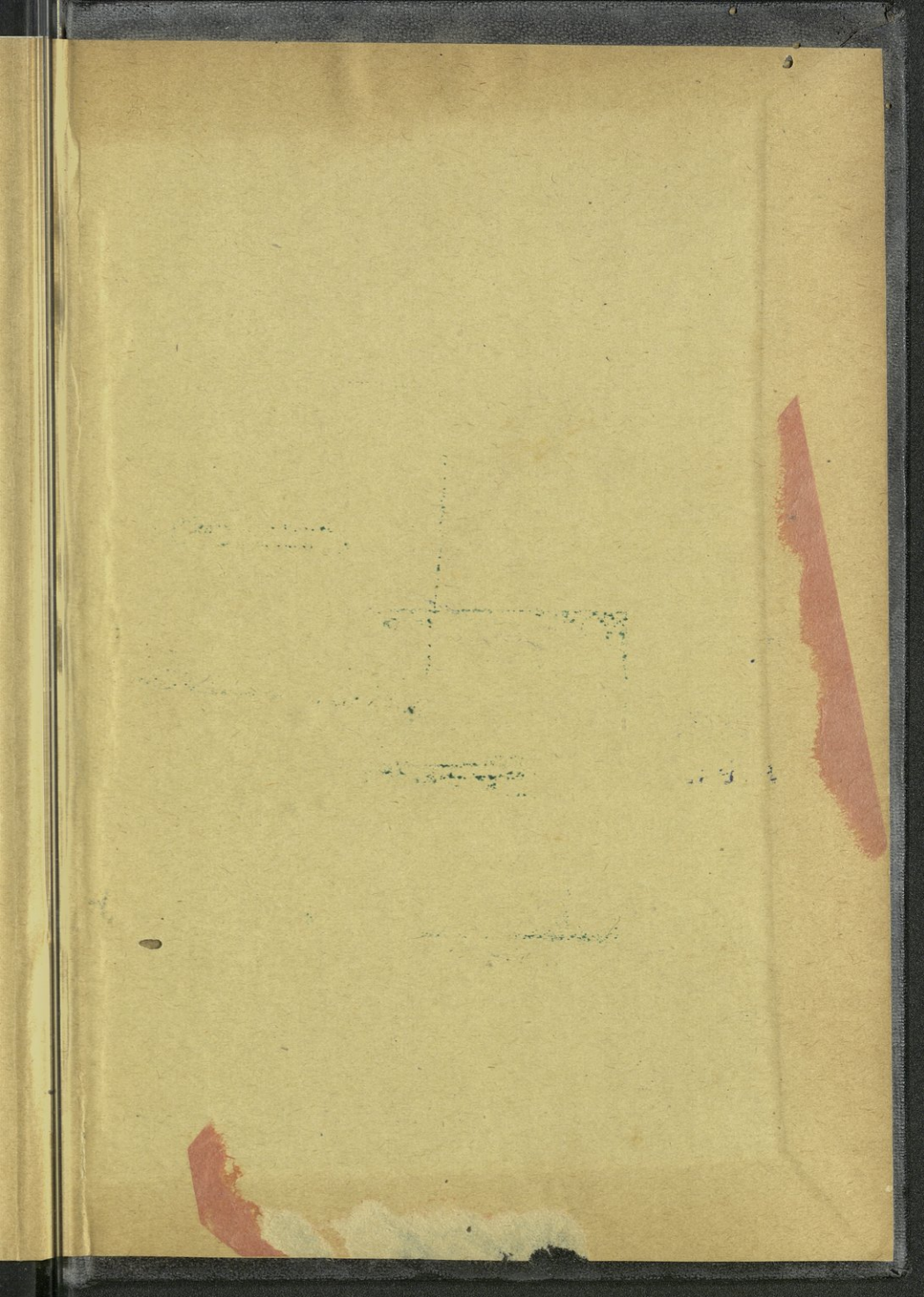




297.342:B35mA

البيهقي، ابو بكر احمد بن الحسين.

مختصر شعب الايمان.

297.342
B35mA

~~2 APR 1986~~

~~21~~

~~21~~

~~JAFET LIB~~

~~28 DEC 1982~~

~~21~~

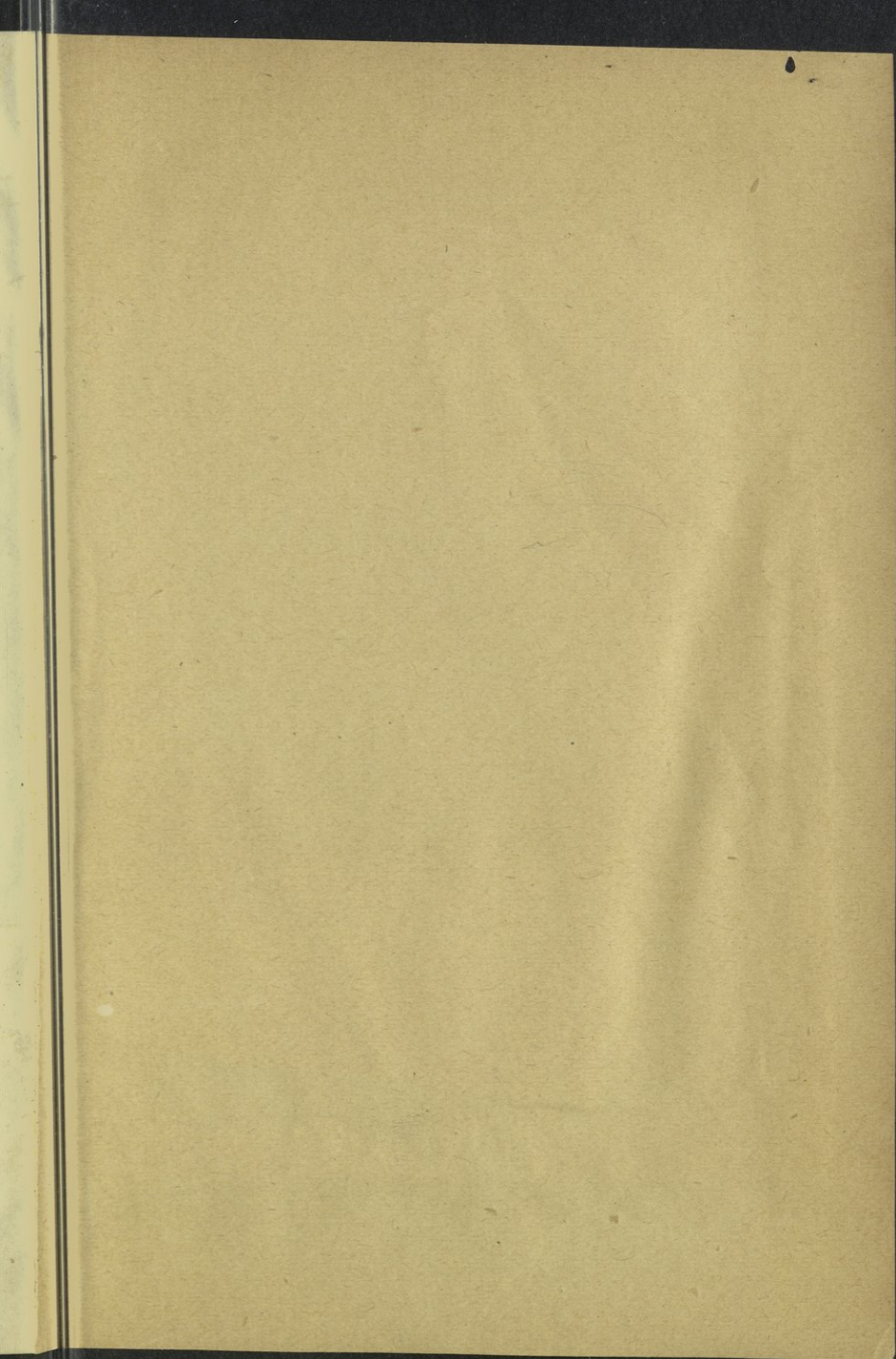
~~21~~

~~2 APR 1986~~

~~21~~

~~JAFET LIB~~

~~13 DEC 1982~~



مختصر شعب الأمل

للامام المحدث العلامة الحافظ الفقيه المجتهد أبي بكر أحمد
ابن الحسين البيهقي صاحب السنن الكبرى وغيره
المولود سنة ٣٨٤ ، والمتوفى سنة ٤٥٨

تأليف

الشيخ الامام أبي جعفر عمر القزويني المتوفى سنة ٦٩٩

صححه وعلق عليه (للمرة الثانية سنة ١٣٥٥ هـ) السلفي الشهير
محمد منير الدمشقي من علماء الازهر الشريف ومدير

إدارة الطباعة المنيرية

حقوق الطبع محفوظة

٢٥٥

درب الاتراك رقم ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل مناط قبول أعمال المكلفين الايمان به وبرسوله
وكتبه واليوم الآخر وبالقدر خيريه وشره ، والصلاة والسلام على
رسوله المبين لنا خصال الايمان بأنها بضع وستون أو بضع وسبعون
شعبة على حسب مناطقت به الأحاديث الصحيحة ، وعلى آله وصحبه
ومن عمل بشرعه إلى يوم الدين *

(أما بعد) فيقول الراجي رحمة ربه الغني محمد منير الدمشقي
الازهرى إني كنت شرعت بطبع كتاب مختصر شعب الايمان
للامام العلامة الشيخ أبي جعفر عمر القزويني بعد ما صححت أصوله
وعلقت عليه حسب الحاجة إلى ذلك سنة ١٣٤٣ هجرية وبعد أن
تم طبعه ونشر عنه أخذت تتوافد عليه الطلبات من كل جهة حتى نفدت
نسخه وعزمت على طبعه مرة ثانية إلا أن الظروف لم تمكنني من ذلك
مباشرة لأنني كنت شارعا في طبع كتب كبيرة كعمدة القارى شرح
صحيح البخارى ، وشرح المفصل لابن يعيش وغير ذلك *
فقضت الأمر إلى الله تعالى وطلبت منه التيسير فوافق ساعة
اجابة فوفقت لطبعه ثانياً مع زيادات في الأصل وجدتها في نسخة
مخطوطة سنة ٨٣٢ في المكتبة النورية بمصر المحمية ووسعت
التعليق عليه أيضا فجاء يسر القارى والناظر فيه فأشكر الله على ذلك
وها أنا أرفه إلى القراء رجاء الثواب *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين. وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ (١) عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَخَاتَمِ
النَّبِيِّينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ إِلَى الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ وَعَلَى
آلِهِ الطَّيِّبِينَ، وَصَحْبِهِ الطَّاهِرِينَ، وَأُمَّتِهِ الْمُتَّقِينَ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ
أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ❦

(وَبَعْدُ) فَقَدْ تَكَرَّرَ مِنْ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا نَادِرُ بِلَادِهِ، وَنَاصِحِ
عِبَادِهِ، وَعَلَامَةِ زَمَانِهِ، وَأَعْجُوبَةِ أَوَانِهِ، شَمْسُ الْمِلَّةِ وَالِدِينَ، مُحَمَّدُ بْنُ
الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي الْبَدْرِ بْنِ الْمُلْحَى الْمَزْيِ الْفَقِيهِ. الْمُحَدِّثُ الْوَاعِظُ، أَدَامَ
اللَّهُ تَوْفِيقَهُ. وَجَعَلَ السَّعَادَتَيْنِ صَاحِبَهُ وَرَفِيقَهُ - عِدَّةَ مَكْتُوبَاتٍ مِنْ
وَاسِطٍ إِلَى بَغْدَادَ فِي السُّؤَالِ عَنْ عِدَدِ شُعْبِ الْإِيمَانِ حَيْثُ وَرَدَ
فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى

(١) سقط لفظ الصلاة في بعض النسخ ولعله من النساخ سهواً

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسِتُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً
أَعْلَاهَا أَوْ فَارَعُهَا أَوْ فَافْضُلُهَا عَلَى اخْتِلَافِ الرِّوَايَاتِ - قَوْلُ: لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ
الْإِيمَانِ» (١) وَإِنَّهُ بِصَدَدِ إِحَاطَةِ عَلَيْهِ بِتَفْصِيلِهَا عَدَدًا وَتَأْخَرِ الْجَوَابِ

(١) اعلم أن هذا الحديث رواه البخارى فى صحيحه بلفظ: «الايمن
بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الايمان» ولم تختلف الطرق عن أبى
عامر شيخ شيخ البخارى فى ذلك . وتابعه الحمانى — بكسر المهملة وتشديد
الميم — عن سليمان بن بلال . واخرجه أبو عوانة من طريق بشر بن عمرو
عن سليمان بن بلال فقال : « بضع وستون أو بضع وسبعون » وهكذا
وقع التردد أيضا فى رواية مسلم من طريق سهيل عن عبد الله بن دينار .
ورواه أصحاب السنن الثلاثة من طريقه فقالوا « بضع وسبعون » من غير
شك * ولأبى عوانة فى صحيحه من طريق « ست وسبعون أو سبع وسبعون »
وترجح رواية البخارى بأن العدد فيها متيقن وما عداها فمشكوك فيه .
وعلى الرواية الثانية درج المصنف . وأما رواية الترمذى بلفظ « اربع
وستون » فعلولة وعلى صحتها لا تخالف رواية البخارى *

وقال الامام النووى رحمه الله : والصواب ترجيح « بضع وسبعون »
لأنها زيادة من ثقات وزيادة الثقات مقبولة مقدمة وليس فى رواية
« السبع وستون » ما يمنع * وسيأتى تفسير الايمان والحياء بعد ان شاء الله تعالى *
والبضع بكسر الباء - وحكى فتحها لغة - عدد مبهم مقيد بما بين الثلاث
الى التسع كما جزم به القزاز ورجحه الحافظ ابن حجر واستدل له ،

وقال ابن سيده : الى العشر ، وقيل من واحد الى تسعة .

والشعبة — بضم الشين — هى القطعة والفرقة وهى واحدة الشعب
 - وشعب الشجرة أغصانها - والمراد منها فى الحديث الخصلة أو الجزء أى ان
 الايمان ذو خصال متعددة ، قال الامام محي الدين ابو زكريا النووى فى
 شرحه هذا الحديث من صحيح البخارى . وقد صنف العلماء فى تعيين هذه
 الشعب كتباً كثيرة من اغزرها فوائدوا عظمها جلالة — كتاب المنهاج —
 لابي عبد الله الحليمي ثم هذا الامام الحافظ ابو بكر السيهمي حذوه وزاد
 عليه واتى فى التحقيق والفرائد بما لا مزيد عليه فى كتابه — شعب الايمان —
 فرحمه الله تعالى ورضى الله ، وقال الامام الحافظ ابو حاتم بن حبان
 — بلسر الحاء — البسى . تتبعت معنى هذا الحديث مدة وعددت
 الطاعات فاذا هى تزيد على هذا العدد شيئاً كثيراً فرجعت الى السنن
 فعددت كل طاعة عدها رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايمان فاذا
 هى تنقص عن البضع والسبعين فرجعت الى كتاب الله سبحانه وتعالى
 وقرأته بالتدبر وعددت كل طاعة عدها الله تعالى من الايمان فاذا هى تنقص
 عن البضع والسبعين فضمامت الى الكتاب السنن واسقطت المعاد — أى المكرر —
 فاذا كل شئ عده الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم من الايمان تسع
 وسبعون شعبة لا تزيد عليها ولا تنقص فعلمت ان مراد النبى صلى الله عليه
 وسلم ان هذا العدد فى الكتاب والسنن ، ذكر ذلك فى كتاب وصف
 الايمان وشعبه اه قال القاضى عياض : تكلف جماعة حصر هذه الشعب
 بطريق الاجتهاد . وفي الحـكم يكون ذلك هو المراد صعوبة ولا يقدر عدم
 معرفة حصر ذلك على التفصيل فى الايمان اه . قال الحافظ ابن حجر
 فى الفتح : ولم يتفق من عد الشعب على نمط واحد واقربها الى الصواب طريقة

لأسباب وعوارض (١) *

فحين طال الزمان ، وكثر التكرار ، أحضرت كتاب شعب
 الايمان للامام الحافظ الفقيه ابي بكر أحمد بن الحسين البيهقي
 مجلدات لانقلها بذاتها فوجدتها متفرقة في جميعها لم يجمعها أولاً في
 الخطبة ولا في المجلد الأول ، ثم اعتنى بتفصيل شروحها لكن فرقها
 في جميع الكتاب . فدعنى الضرورة إلى أن أجمعها من مجموعها .
 وأجعلها مختصرة كرؤوس المسائل : واقنع باستدلال آية من كتاب
 الله تعالى . أو بحديث من أصح ما روى فيه عن رسول الله ﷺ :
 وربما زدت في بعض الشعب آية أو آيات : أو حديثاً أو كلمات .
 أو حكاية أو حكايات . أو بيتاً أو آيات . لم يذكرها البيهقي وقد
 بوبها سبعة وسبعين باباً *

ابن حبان لكن لم نقف على بيانها من كلامه اه ، وقد لخصها الحافظ ابن حجر
 واوردها في الفتح لولا التطويل لذارتها .

(١) قوله وأنه بصدد إحاطة علمه الخ أي وتكرر من ذلك البعض انه
 بصدد اردائه احاطة علمه بتفصيل شعب الايمان عددا فالضمير عائد الى
 ذلك البعض *

أَنبَا بَجَمِيعِهَا عَنْهُ وَجَمِيعَ الْكِتَابِ الْمُنْقُولِ هَذَا مِنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ
 الشَّيْخُ الْعَالِمُ مُسْنَدُ الْعِرَاقِ رَشِيدُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
 ابْنُ عُمَرَ الْمُقَرِّي الْبَغْدَادِيُّ بِهَا. وَالْقَاضِي تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو الْفَضْلِ سَلِيمَانُ
 ابْنُ حَمَزَةَ بْنُ أَحْمَدَ الْمُقَدَّسِيُّ مِنْ دِمَشْقَ قَالُوا جَمِيعًا أَنبَا الشُّيُوخَ الرَّوَاةَ
 أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَنْجَبِيُّ بْنُ أَبِي السَّعَادَاتِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَلَامِيُّ
 وَأَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَارِسْتَانِيُّ وَأَبُو الْقَاسِمِ عَلَى
 ابْنُ الْحَافِظِ أَبِي الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَوْزِيُّ (١) قَالُوا
 جَمِيعًا أَنبَا أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الزَّيْنَجَانِيُّ فِي صَفَرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ
 وَسِتِّينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، قَالَ أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ
 ابْنُ الْإِمَامِ الْحَافِظِ أَبِي بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَيْهَقِيُّ قَالَ أَخْبَرَنِي
 جَدِّي الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ

ح (١) وَأَخْبَرَنَا هَا عَالِيًّا عَدَدًا مُسْنَدَ الْوَقْتِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ
 أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْمُقَدَّسِيُّ إِجَازَةً عَامَةً إِنْ لَمْ تَكُنْ خَاصَّةً. قَالَ
 أَخْبَرَنَا حَافِظُ بَغْدَادٍ أَبُو الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَوْزِيُّ
 وَمُفْتِي خُرَاسَانَ أَبُو سَعْدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الصَّفَّارُ النَّيْسَابُورِيُّ

(١) ح هذا الحرف وضعه المحدثون علامة للتحويل إلى الانتقال في السند اهـ

إِجَازَةً خَاصَّةً . قَالَا أَنبَاَنَا كَذَلِكَ أَبُو الْقَاسِمِ زَاهِرُ بْنُ طَاهِرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ
الشَّحَامِيُّ وَجَمَاعَةٌ . قَالُوا أَنبَاَنَا الْإِمَامُ الْخَافِضُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ
الْبَيْهَقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ *

قَالَ : (١) الْإِيْمَانُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَالْمُؤْمِنُونَ
كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ) وَلِقَوْلِهِ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ) ثُمَّ سَأَلَ فِيهِ
حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ فِي الصَّحِيحَيْنِ ، أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ
النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنْ نَفْسِهِ وَمَالِهِ
إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ » وَحَدِيثَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ
الْجَنَّةَ » (١) *

(١) الْإِيْمَانُ لَهُ مَعْنِيَانِ لُغَوِيٌّ - وَهُوَ مُطْلَقُ التَّصَدِيقِ - وَشَرْعِيٌّ وَهُوَ
تَّصَدِيقُ النَّبِيِّ ﷺ بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مِمَّا عَلِمَ مِنَ الدِّينِ ضَرُورَةً ، وَفَسَّرَهُ الرَّسُولُ ﷺ
بِالْأَصُولِ الْخَمْسَةِ فِي حَدِيثِ سُؤَالِ جَبْرِيلَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ « أَنْ تَوَدَّ أَنْ تَمُوتَ مِنْ رِجَالِهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَتَوَدَّ أَنْ يَنْقُضَ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ » وَقَدْ
جَافَى الْقُرَّاءُ الْحَكِيمُ إِطْلَاقَهُ أَيْضًا عَلَى هَذِهِ الْأَصُولِ الْخَمْسَةِ فِي مَوَاضِعٍ ، مِنْهَا
قَوْلُهُ تَعَالَى (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا نَزَّلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ) الْآيَةُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى

(ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب) الآية
 وقوله تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ويؤاتون الزكاة وهم ينفقون)
 والمشهور عن السلف واهل الحديث ان الايمان قول وعمل ونية وان الاعمال
 كلها داخلة في مسمى الايمان ، وحكى الشافعي رحمه الله تعالى على ذلك اجماع
 الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن ادرتهم ، وانكر السلف على من اخرج
 الاعمال عن الايمان انكارا شديدا ، ومن أنكر ذلك على قائله وجعله قولا
 محدثا سعيد بن جبير . وميمون بن مهران . وقتادة . وابو ايوب السخيتاني .
 والنخعي . والزهري . وابراهيم . وبجي بن ابى كثير وغيرهم حتى قال الامام
 سفيان الثوري : هو رأى محدث ادركننا الناس على غيره ، وقال الازاعي :
 وكان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والايمان .

والايمان بالله عز وجل هو الاعتقاد والتصديق بأنه إله خالق قادر عالم لا يعزب
 عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض متصف بكل كمال منزّه عن كل
 نقص لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد في كل ما جاء وصفه تعالى به في القرآن
 الحكيم نعتده ونصدق به وكذلك كل ما جاءت به الاخبار الصحيحة على
 لسان الرسول المعصوم موصوفا بها بصفات نصدق بها وننزّهه عن الشبه
 والمثل كأنزه نفسه جل جلاله بقوله (ليس كمثله شيء) وهو السميع البصير
 ونكف عن الخوض في التشابه ونسكل امره إلى خالقنا وموجدنا ولا نحمل
 الناس على خلاف ذلك من تأويلات الفلاسفة والمتكلمين التي ما انزل الله
 بها من سلطان ، اللهم وفق الامة واصالح الراعي والرعية .

والحديث الاول رواه اصحاب الكتب الستة من طرق مختلفة وبألفاظ
 متقاربة حتى قال الحافظ جلال الدين السيوطي انه متواتر ، ورواه البيهقي
 واحمد بن حنبل . وابن حبان . والدارقطني ، وقوله « أمرت » هو بصيغة
 المجهول فالأمر هو الله تعالى ولذا قال الصحابي ذلك فهم أن رسول الله ﷺ

﴿ ٢ ﴾ الْإِيمَانُ بِرُسُلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَسَلَّمَ
 لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ)
 وَلِحَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ فِي سُؤَالِ
 جِبْرِائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ « الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ
 وَرُسُلِهِ » الْحَدِيثُ (١) *

أمره ، وقوله « عصم » أى حفظ وحقن نفسه من الايقاع فيها وماله من اخذه
 والاستيلاء عليه *

وضمير بحقه راجع الى الاسلام المفهوم من قوله لا اله الا الله . وفي رواية
 لمسلم « لا يجتمعها » أى الشهادتين وقوله « وحسابه على الله » معناه فيما يسره به من
 الكفر والمعاصي . فاننا نحكم عليه بالاسلام ونؤاخذه بحقوقه بحسب ما يقتضيه
 ظاهر حاله والله سبحانه وتعالى يتولى حسابه ، والحديث الثانى رواه الامام
 مسلم فى صحيحه كما قال المصنف رحمه الله تعالى ، وظاهره ان من مات وهو يعلم
 ان لا اله الا الله دخل الجنة وإن لم يعلم ان محمدا رسول الله ﷺ وليس كذلك ،
 والجواب ان هذه الجملة هى عنوان عما جاء به الدين من اعتقادات واعمال
 فاذا اطلقت علم منها ذلك *

(١) الايمان بالرسول هو تصديقهم بجميع ما جاءوا به وانهم بلغوا
 ما انزل اليهم وقاموا به وادوا الرسالة وانهم معصومون عن الكبائر والصغائر
 عمدا لاسهوا وخطأ بشرط التذكير فى الحال والالتنبه عليه بحسن المقال ارسالهم
 الله الى الخلق لهدايتهم وتكميل معاشهم ومعادهم وايدهم بالمعجزات الدالة

﴿ ٣ ﴾ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ لِلآيَةِ وَالْحَدِيثِ الْمَذْكُورِينَ (١) *

على صدقهم ، وانا يجب علينا احترامهم وتعظيمهم لانفرق بين احدهم
كما أخبر الله تعالى بذلك ، والنبي ﷺ انسان اوحى اليه بشرع يعمل به ولم
يؤمر بتبليغه ، والرسول انسان اوحى اليه بشرع وامر بتبليغه *

(١) الايمان بالملائكة هو التصديق بأن الله خلقا تسمى ملائكة لا يعصون

الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون كما أخبر الله جل وعز في كتابه المنزل على
نبيه المكرم ، والملائكة جمع ملائكة على وزن - مفعل - في الاصل ثم حذف
همزته لكثرة الاستعمال فقليل ملك ، وقد تحذف الهاء فيقال : ملائكة ،
وقيل اصله ما لك بتقديم الهمزة من الالوك وهى الرسالة ثم قدمت الهمزة وجمع *
وحقيقة الملائكة اجسام نورانية لطيفة مبرأة من البدورات النفسانية

والظلمات الحيوانية مقتدرة على تشكيلات مختلفة معصوون عن المخالفة ، وهم
اقسام : منهم الوسائط بين الله وانبيائه المبعوثين إلى الخليقة ، ومنهم الموكل بالرياح
ومنهم الموكل بحمل العرش . ومنهم الموكل بقبض الأرواح ، وغير ذلك ما جاء
به النصريح في القرآن والسنة اجمالا وتفصيلا واجمع عليه الامة ، وقد ظهرت
طائفة مبتدعة في زماننا وانكروا جميع ما وراء الطبيعة واولوا اكل ما جاء به القرآن
نصا صريحا بلا شك ولا ريب وحملوه على معان باطنية فخرقوا اجماع المسلمين
ونفروا ما جاء في القانون الالهى وتستروا تحت دعوة الاصلاح الا ان الله كشف
سبترهم وفضح امرهم وقام جميع اهل العلم الدينى من مدرسين ووعاظ ومرشدين
ضدهم وبينوا اللامة الحمديدية ضلالهم وانهم مارقون من الدين فعلم بذلك اولياء
الامور فأخذوا على ايديهم وصادروا مانشروه وابعدهم إلى اقاصى الجهات
ومنعوهم من الكلام المزيف والعقائد الباطلة والضلال الذى يهوى بالامة
ويرجع الفضل فى ذلك إلى رؤساء الدين العاملين والصلحاء المصلحين
اللهم اقطع دابر المفسدين وشتت شملهم وردهم على اعقابهم خاسرين *

* (٤) * الْإِيمَانُ بِالْقُرْآنِ وَجَمِيعِ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلَةِ قَبْلَهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى
 (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى
 رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ) وَلِلَّائِيَةِ وَالْحَدِيثِ الْمَذْكُورِينَ
 أَيْضًا (١) *

(٥) الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقَدَرَ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِقَوْلِهِ
 تَعَالَى: (قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ *
 احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى فَقَالَ مُوسَى يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُوْنَا خَيْبَتِنَا وَآخِرُجْتَنَا مِنْ

(١) الْإِيمَانُ بِالْكِتَابِ هُوَ التَّصَدِيقُ بِأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى كِتَابُهُ أَنْزَلَهَا عَلَى
 أَنْبِيَائِهِ مُشْتَمَلَةً عَلَى قَوَانِينٍ صَالِحَةٍ لِلْإِمَامِ أَنْ تَحْكُمَ بِهَا وَمُرَافِقٍ وَمَوَاعِظٍ إِلَى
 غَيْرِ ذَلِكَ عَمَّا يَحْفَظُ كَيَانَ الْأُمَّةِ وَيَرْفَعُ مَنْزِلَتَهَا وَيَعْلُو بِهَا إِلَى أَوْجِ الرُّقِيِّ وَالْقَدَمِ،
 وَهِيَ تَنْقَسِمُ إِلَى أَقْسَامٍ مِنْهَا مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الْأَلْوَاحِ أَوْ مَسْمُوعٌ مِنْ وَرَاءِ
 حِجَابٍ أَوْ مِنْ مَلِكٍ مُشَاهِدٍ أَوْ هَاتِفٍ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَعْلَمَ أَنْ كُلَّهَا وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ
 تَعَالَى مُشْتَمَلٌ عَلَى أَحْكَامِهِ وَآخْبَارِهِ وَأَعْلَامِهِ، وَيَصْدُقُ بِأَنْ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ
 سَبَّحَانَهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَهُوَ الْمَكْتُوبُ فِي مَصَاحِفِنَا الْمَحْفُوظِ فِي قُلُوبِنَا وَصُدُورِنَا
 الْمَقْرُوءِ بِأَلْسِنَتِنَا، قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْكِتَابُ الْمُنَزَّلَةُ مِائَةٌ كِتَابٌ وَارَبْعَةٌ مِنْهَا خَمْسُونَ
 عَلَى شَيْثٍ وَثَلَاثُونَ عَلَى آدَمَ وَعِشْرَةٌ عَلَى آدَمَ وَعِشْرَةٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَالتَّوْرَةُ
 عَلَى مُوسَى وَالْإِنْجِيلُ عَلَى عِيسَى وَالزَّبُورُ عَلَى دَاوُدَ. وَالْفَرْقَانِ عَلَى نَبِينَا
 مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ *

الْجَنَّةَ فَقَالَ لَهُ آدَمُ يَا مُوسَى أَصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ التَّوْرَةَ
بِيَدِهِ أَتَلُمُنِي عَلَى أَمْرِ قَدَرَهُ اللَّهُ عَلَى قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ
خُجَّجَ آدَمُ مُوسَى (١) *

(١) الايمان بالقدر هو التصديق بأن كل ما يقع في الارض والسماء
انما هو بقدر الله تعالى وتقديره وان كل ما قدره الله تعالى واقع لاحتماله،
وكل ما لم يقدره الله تعالى يستحيل وقوعه ، والقدر - بتحريك الدال وقد تسكن -
مصدر قدرت الشيء بفتح الدال مخففة اذا احطت بمقداره - هو ما قضاه
الله سبحانه وتعالى وحكم به من الامور والحاصل ان على الانسان ان يعتقد
ان الله تعالى قدر الخير والشر قبل خلق الخلق وان جميع الكائنات بقضاء الله
وقدره وهو مرادها فكل حادث في العالم فعله وخلقه واختراعه لا خلق سواه
فالطاعات يحبها ويرضاها ويثيب عليها بخلاف الكفر والمعاصي قال الله
تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) والارادة لا تستلزم الرضا وقال تعالى
(انا كل شيء خلقناه بقدر) ولو كان العبد يخلق الشر والمخالفات - وهى
أكثر وقوعا من الطاعات - لكان اكثر ما يجرى فى الوجود على خلاف
مراد المعبود وذلك لا يرضاه امير بلدة ولا زعيم قرية قال الامام الغزالي
رحمه الله : كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت
والنحل ونحوها من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوى الالباب فكيف
انقردت هى باختراعها دون رب الارباب وهى غير عالمة بتفصيل ما يصدر
عنها من الاكستساب هيئات دلت المخلوقات على خالق المصنوعات اه ،
واقصر على القدر دون القضاء لانه من باب الاكتفاء على حد قوله تعالى :
(سراييل تقيمكم الحر) أى والبرد لان القضاء والقدر أمران متلازمان

وَبِالْأَسْنَادِ الْمَذْكُورِ أَنْشَدَنَا الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ قَالَ أَنْشَدَنِي
أَبُو الْفَوَارِسِ جَنْيدُ بْنُ أَحْمَدَ الطَّيْرِيُّ :

الْعَبْدُ ذُو ضَجَرٍ وَالرَّبُّ ذُو قَدَرٍ وَالْدَّهْرُ ذُو دُولٍ وَالرِّزْقُ مَقْسُومٌ
وَالْخَيْرُ أَجْمَعُ فِيمَا اخْتَارَ خَالِقُنَا وَفِي اخْتِيَارِ سِوَاهِ الْكُلُومِ وَالشُّومِ

(٦) الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : (قَاتِلُوا الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) قَالَ الْحَلِيمِيُّ وَمَعْنَاهُ التَّصَدِيقُ بِأَنَّ
لِأَيَّامِ الدُّنْيَا آخِرًا . وَأَنَّهَا مُنْقَضِيَّةٌ . وَهَذَا الْعَالَمُ مُنْقَضٌ يَوْمًا فَمَا فِي

لَا يَنْفَكُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخِرِ لِأَنَّ أَحَدَهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْإِسَاسِ وَالْآخَرُ بِمَنْزِلَةِ
الْبَنِيَانِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ *

وقوله في الحديث « خيبتنا » أى أوقعتنا في الخيبة وهى الحرمان، وقوله
« وخط لك التوراة بيده » هذه الكلمة وما شابهها مما يؤهم الجارحة الحسية
يجب أن تبقى على ظاهرها بدون تأويل ولا تصحيف ولا تحريف وتؤمن
بما جاء فى الكتاب والسنة من هذا القليل . وتفوض معناه إلى البارئ تعالى
وأنه ليس مثله شيء . واقتد بسلفك الصالح ولا تكن مجسما فتشبهه ولا معطلا
فتفتي . ولا جهميا فتأول ولا تبحث فى هذا وتجعله شركا تصيده من أغررته
بطلاوة كلامك وشقشقة لسانك لتلبس إبليس عليك وتحسينه لك وتبتغي
بذلك إضلال الناس وتشكيكهم فى دينهم قال الله تعالى (فأما الذين فى قلوبهم
زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله
والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) *

الاعتراف بانتفائه اعترافاً بابتدائه إذ القديم لا يفنى ولا يتغير*
 وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «والذي نفس محمد بيده
 لتقوم الساعة وثوبهما بينهما لا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقوم الساعة
 وقد أنصرف الرجل بلبن لقحته من تحتها وقد رفع أكلته إلى فيه
 لا يطعمها» الحديث (١)*

(٧) الإيمان بالبعث بعد الموت لقوله تعالى . (زعم الذين
 كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن) ولقوله تعالى : (قل الله
 يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه) * ولحديث عمر
 ابن الخطاب رضي الله عنه في الصحيح في حديث الإيمان « الإيمان أن
 تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث من بعد الموت

(١) الإيمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة لانه آخر أيام
 الدنيا ووجود ما اشتمل عليه من سؤال الملائكين ونعيم القبر وعذابه والجزاء
 على الأعمال الصالحات والعقاب على الأعمال السيئات والبعث والحساب
 والميزان والصراط والجنة والنار وغير ذلك مما ورد في القرآن الكريم
 وصح عن الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام ، وقوله في الحديث « بلبن
 لقحته » بكسر اللام والفتح لغة الناقة القريبة العهد بالتاج ، والله أعلم *

وَبِالْقَدَرِ كُلِّهِ (١) *

(٨) الْإِيمَانُ بِحَشْرِ النَّاسِ بَعْدَ مَا يَبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَى الْمَوْقِفِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (أَلَا يَظُنُّ أَوَّلُكُمْ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) * وَلِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ . يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى انْصَافِ أَذْنِيهِ (٢) *

(١) الْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ هُوَ الْإِعْتِقَادُ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَبْعَثُ الْأَمْوَاتَ وَيُحْيِيهَا بَعْدَ أَمَاتَتِهَا مِنْ قُبُورِهِمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيُسِيرُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَوْمَ الْحِسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ عَلَى أَقْوَامٍ وَيَوْمَ الْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ لِأَقْوَامٍ آخَرِينَ وَأَصْلُ الْبَعْثِ أَثَارَةُ الشَّيْءِ وَتَوَجُّيْهِهُ يُقَالُ بَعَثْتُهُ فَانْبَعَثَ ، وَالْبَعْثُ عَلَى ضَرَبَيْنِ بَشَرِي كَبَعْثِ الْبَعِيرِ وَبَعْثِ الْإِنْسَانِ فِي حَاجَةٍ ، وَالْهَى وَذَلِكَ ضَرْبَانِ أَحَدُهُمَا إِيجَادُ الْأَعْيَانِ وَالْأَجْنَاسِ وَالْأَنْوَاعِ عَنْ لَيْسَ وَذَلِكَ يَخْتَصُّ بِهِ الْبَارِي تَعَالَى وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ أَحَدًا ، وَالثَّانِي أَحْيَاءُ الْمَوْتَى وَقَدْ خَصَّ بِذَلِكَ بَعْضَ أَوْلِيَائِهِ كَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَمْثَالُهُ *

(٢) الْإِيمَانُ بِالْحَشْرِ حَيْثُ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ لِيُظْهَرَ مِيزَةَ خَيْرَةِ مَخْلُوقَاتِهِ وَلَا تُخْفَى أَهَانَةُ الَّذِينَ عَصَوْا أَمْرَ رَبِّهِمْ وَاتَّخَذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوا وَلَعِبًا لِأَنَّ الْأَكْرَامَ وَالْأَهَانَ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ يَكُونُ أَرْفَعُ الْأَوَّلُ وَأَحْطُ لِلثَّانِي وَبِقَدْرِ دَرَجَةِ الْجَمَاعَةِ يَحْصُلُ الصُّعُودُ وَالْهَبُوطُ فَكَيْفَ بِهَذَا الْمَشْهَدِ الْعَظِيمِ يَجْتَمِعُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ وَهَنَاقَ فُضِيحَةِ الْعَاصِي وَاشْهَارِ فَضْلِ الطَّائِعِ أَنَا لِنَنْصُرَ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا

(٩) الْإِيمَانُ بَأَنَّ دَارَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا وَهُمْ الْجَنَّةُ . وَدَارَ الْكَافِرِينَ وَمَا وَهُمْ النَّارُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١) وَلِحَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ « لِشَهِدَ كُلُّ أَمْرٍ عَمَلَهُ وَلَا يَنْفَعُهُ الْإِتِّبَاعُ الْحَقُّ وَلَا يَجْعَلُهُ تَمَسُّكُهُ بَغِيرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ شَيْئًا وَهَنَاكَ يَحْصُلُ الْإِنْكَارُ وَالتَّبَرُّى (إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَعْلَمُ سِرَّهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ) وَيَشْتَدُّ الْعَدَاءُ بَيْنَ الْمُجْرِمِينَ وَتَسْتَحْكِمُ الْمَوَدَّةُ وَالسُّرُورُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً قَالَ تَعَالَى (الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ) أَى لَاعْدَاوَةٌ بَيْنَهُمْ »

(١) قَوْلُهُ : « دَارَ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةُ وَدَارَ الْكَافِرِينَ النَّارُ » تَتِمُّ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى مَنْ أَطَاعَهُ فَضْلًا بِدُخُولِ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَنَقِمَتُهُ عَلَى مَنْ عَصَاهُ عَدْلًا مِنْهُ بِالْإِلْقَاءِ فِي نَارٍ تَرْمِي بِشَرِّهَا الْقَصْرَ ثُمَّ جَمَالَةَ صَفَرٍ وَذَلِكَ لَا نَقْضَاءَ زَمَنِ التَّكْلِيفِ وَالْخُلَاصِ مِنْ مَحَنَةِ الْبَلَاءِ وَظُهُورِ الْقَابِلِيَّةِ لِأَنَّ مَقْدَمَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَعَ الْبَرَزِخِ لَا يَدَّ أَنْ يَظْهَرَ مِنْهُمَا نَتِيجَةُ هِيَ السَّعَادَةُ فِي الْآخِرَةِ أَوِ الْعَكْسُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى فَيُظْهَرُ كُلُّ مَخْبَأٍ وَلَا يَغْيُرُ الشَّكْلَ الظَّاهِرِي إِلَّا إِذَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْبَاطِنِ وَلَا تَغْنَى عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَفِيدُهُمْ جَمْعُهُمْ كَذَلِكَ قَالَ تَعَالَى (وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا غْنَى

فِي الصَّحِيحِينَ » إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ
 إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ
 النَّارِ يُقَالُ هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ * »

(١٠) ﴿الْإِيمَانُ بِجُوبِ حُبِّهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (١) لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَمِنْ

عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَهْلَاءَ الَّذِينَ اقْسَمْتُمْ لَا يَنْبَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ
 ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ) وَأَنَّهَا الدَّارُ الْآخِرَةُ وَالْخَاتِمَةُ
 الَّتِي لَا نِهَايَةَ لَهَا يَجْدُلُ وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ مَا بَلَغَهُ مِنْ وَعْدٍ وَوَعِيدٍ فَذَا انْقَضَى
 الْحِسَابُ وَادْخَلَ كُلُّ فِي مَنْزِلِهِ عِنْدَ تَذْقُولُونَ كَمَا قَالَ تَعَالَى (وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
 أَصْحَابُ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا
 نَعَمْ فَأُذِنَ مَوْذَنٌ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا
 عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ وَيُنْهَمَا حِجَابٌ) فَيَكُونُ سَهْمُ الْمُسْكِينِ جُزْءًا
 وَفَالِقًا (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نَسْكَفُ أَنْفُسًا الْأَوْسَعُهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ
 الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ
 رَسُولَنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَتَلَكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ تَتَمَوْهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) *

(١) المحبة كما قال الامام شمس الدين بن قيم في كتابه مدارج السالكين
 انها لا تتحد بحد او ضح منها فالحدود لا تزيدها الا خفاء وجفاء، فحدوها وجودها
 ولا توصف المحبة بوصف اظهر من المحبة، وانما يتكلم الناس في اسبابها
 وموجباتها وعلاماتها وشواهدا وثمراتها واحكامها فحدودهم ورسومهم

النَّاسَ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) * وَلِحَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ ثَلَاثٌ مِنْ كُنْ فِيهِ وَجَدْنَهُنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِمَا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُوقَدَ لَهُ نَارٌ فَيَقْذَفَ فِيهَا *

دارت على هذه الستة ، ولندكر لك بعض الرسوم والحدود التي قُبلت فيها :
 المحبة هي الميل الدائم بالقلب الهائم ، وقيل ايثار المحبوب على جميع المصحوب ،
 وقيل موافقة الحبيب في المشهد والمغيب ، وقيل خوف ترك الحرمة مع اقامة
 الخدمة ، وقيل معانقة الطاعة ومباينة المخالفة ، وقيل ان تمحو من القلب ما سوى
 المحبوب ، وقيل المحبة نار في القلب تحرق ما سوى مراد المحبوب *

وقوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا) الآية يخبر
 المولى جل شأنه أن من احب شيئا من دون الله كما يحب الله تعالى فهو بمن
 اتخذ من دون الله اندادا ، فهذا ند في المحبة لافي الخلق والربوبية فان احدا
 من اهل الارض لم يثبت هذا الند بخلاف ند المحبة فان اكثر اهل الارض
 قد اتخذوا من دون الله اندادا في الحب والتعظيم ، ثم قال الله تعالى : (والذين
 آمنوا أشد حبا لله) وفي تقدير الآية قولان : احدهما (والذين آمنوا أشد حبا لله)
 من اصحاب الانداد لان ادأهم وآلهتهم التي يحبونها ويعظمونها من دون الله ،
 والثاني (والذين آمنوا أشد حبا لله) من محبة المشركين بالانداد لله فان محبة

وَبِهَ أَنبَاءَ الْبَيْهَقِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ
 أَبَانَصَرَ الطُّوسِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ جَعْفَرَ الْخَلْدِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ الْجَنْدِيَّ يَقُولُ
 قَالَ رَجُلٌ لِرَجُلٍ السَّقَطِيُّ كَيْفَ أَنْتَ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

مَنْ لَمْ يَبْتَ وَالْحُبُّ حَشْوُ فُؤَادِهِ لَمْ يَدْرِ كَيْفَ تَفَقَّتْ الْأَكْبَادُ
 وَبِهَ أَنبَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَانَصَرَ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدٍ
 ابْنَ إِسْمَاعِيلَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ الشَّيْرَازِيَّ الْوَاعِظَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَادُجَانَةَ
 يَقُولُ كَأَنْتَ رَابِعَةٌ إِذَا غَلَبَ عَلَيْهَا حَالُ الْحُبِّ تَقُولُ :

تَعَصَى الْإِلَهِ وَأَنْتَ تَظْهَرُ حَبَّهُ هَذَا مَحَالٌّ فِي الْفِعَالِ بَدِيعُ
 لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ إِنَّ الْحُبَّ لَمِنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

المؤمنين خالصة ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت اندادهم بقسط منها .
 والحديث الذي ذكره المصنف هو كما قال في الصحيحين ورواه غير البخاري
 ومسلم كالترمذي والنسائي ، قال النووي رحمه الله تعالى : هذا حديث عظيم
 واصل من أصول الإسلام ، قلت : كيف لا وفيه محبة الله ورسوله التي هي أصل
 الإيمان بل عينه ولا تصح محبة الله ورسوله حقيقة ولا حب لغير الله ولا لراية
 الرجوع في الكفر إلا لمن قوى الإيمان في نفسه وأشرح له صدره وخالطه
 دمه ولحمه وهذا هو الذي وجد حلاوته حقا *

(١١) الْإِيمَانُ بِجُوبِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:
 (فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) (فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشُوا اللَّهَ) (وَأَيُّ فَارْهُبُونَ) (وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ) (وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا
 وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ)
 (وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ) * (ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي
 وَخَافَ وَعِيدَ) *

وَلَحْدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّاحِحِينَ «اتَّقُوا
 النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» وَلَحْدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِمَا «لَوْ تَعْلَمُونَ
 مَا أَعْلَمَ لَضَحَكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» (١) *

(١) الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ، والحزن غم يلحق من فوات
 نافع أو حصول ضار . والرهبة الخوف والخشية خوف مع تعظيم ولذلك
 خصت بالعلماء في قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وهو من
 أجل منازل الطريق وانفعها للقلب وهو فرض على كل مكلف بدليل ما ذكره
 المؤلف من الآيات ، والوجل والخوف والخشية والرهبة ألفاظ متقاربة
 غير مترادفة *

فخوف الله تعالى دليل على معرفته ولها كانت المعرفة أقوى كان
 الخوف اشد ولهذا جاء في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن الأغر

وَعَاتَبَ رَجُلٌ بَعْضَ إِخْوَانِهِ عَلَى طُولِ بُكَائِهِ فَبَكَى ثُمَّ قَالَ :
 بَكَيتُ عَلَى الذُّنُوبِ لِعُظُمِ جُرْمِي وَحَقَّ لِكُلِّ مَنْ يَعْصِي الْبُكَاءُ
 وَلَوْ كَانَ الْبُكَاءُ يَرُدُّ هَمِّي لَأَسْعَدَتِ الدُّمُوعُ مَعَادِمَاءُ
 وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَا يَحْجِفُ فَوْهُ مِنْ
 هَذَا الْبَيْتِ :

وَلَا خَيْرَ فِي عَيْشِ امْرِئٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ اللَّهِ فِي دَارِ الْقَرَارِ نَصِيبُ
 وَسَمِعَ أَبُو الْفَتْحِ الْبَغْدَادِيُّ هَاتِفًا يَهْتَفُ بِالشُّونِيزِيَّةِ :

المزني ان رسول الله ﷺ قال : « انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله
 في اليوم مائة مرة » والمراد من الغين ما يغشى القلب من الفترات عن الذكر
 فان الرسول ﷺ مع انشغاله بمصالح الامة وامورها بعد الفترة عن ذكر
 الله ذنبا عظيما منافيا لجلال الله وعزته ولذلك يستغفر الله في اليوم مائة مرة
 والحال ان الله قد بشره بقوله تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)
 اى على فرض وقوع الذنوب وشدة المعرفة تورث الخشية فتجدها محصورة
 فى قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) اى الذين يعلمون جلاله
 ويقدرونه حق قدره ومن لم يكن متصفا بذلك فلا يدرى الخشية ولا يعلم الا
 ما يتصوره دماغه بحسب جملة ضعفه وقوة *

واما العارف فانه بعد كل لحظة تمر عليه لا يذكر فيها الله ولا يتذكر هيئته
 وعظمته من اكبر الذنوب فتحتاج الى توبة ، فقد روى مسلم في صحيحه
 عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « يا ايها الناس توبوا الى الله فانى اتوب

وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ وَلَمْ تَدْرِ فِي أَيِّ الْمَحَلِّينِ تَنَزَّلُ
فَذَهَبَ عَنْهُ النُّومُ *

(١٢) ﴿الْإِيمَانُ بِوُجُوبِ الرَّجَاءِ (١) مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِقَوْلِهِ

إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةً مَرَّةً وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَعْظِيمِهِ لِرَبِّهِ وَكَثْرَةِ احْتِرَامِهِ لَهُ وَلِهَذَا كَانَ
جَزَاءُ الْخَوْفِ وَالْخَشْيَةِ الْجَنَّةَ قَالَ تَعَالَى (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ
عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) *

وقوله في الحديث ولو لبشق تمر، لأن المقصود من الصدقة الإخلاص فيها
لأن الكثرة فشق التمرة إذا كان عن صدق نية وحسن طوية قد يكون سبب
النجاح لأن الحسنات لا يدري بأياها يكون رضا الباري تعالى منوطاً فلا ينبغي
للإنسان أن يستحقر عملاً وأن النار التي قال تعالى (وإن منكم إلا واردة)ها
كان على ربك حتماً مقضياً ثم تنجي الذين اتقوا) ذلك بخشية الله وتقديم الصدقات
ليكون حائلاً دون وصول حرارتها فهو لا يبتخل في بذل العظيم ولا يتأخر عن
التصدق بالحقير لأن الأمر مخطر ولا قيمة للمال بنفسه وإنما قيمته بما ينشأ
عنه من الثمرات المطلوبة فقد يجوز من كان الإخلاص رائده وخشية الله ملائمة
قلبه وأن لم يكن مقدماً إلا كسرة تمر لأنها عند الله أعظم من جبال من خبز، وإلى
هذا يشير حديث «أَلله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدى
فوالذي نفس محمد بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» *
وقوله بالشؤونيزية هي مقبرة في بغداد خاصة بالصالحين يؤمها الناس للزيارة
(١) الرجاء بالمد الأمل وهو تعلق القلب بمرغوب في حصوله مع الأخذ
في الأسباب . فإن لم يأخذ في الأسباب فطمع وهو مذموم شرعاً ، قال الحافظ
ابن الجوزي أن مثل الراجي مع الإصرار على المعصية ، مثل من رجا حصداً
وما زرع . وولداً وما نسج ، نسأل الله التوفيق *

تعالى (يرجون رحمته ويخافون عذابه إن رحمة الله قريب من المحسنين)
 (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله
 يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) (إن الله لا يغفر أن يشرك
 به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) *

ولحديث أبي هريرة في الصحيحين «لو يعلم المؤمن ما عند الله من
 العقوبة ما طمع بجنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط
 من جنته أحد» ولحديث جابر في صحيح مسلم «لا يموتن أحدكم إلا
 وهو يحسن الظن بالله» وحديث أبي هريرة في الصحيحين يقول الله
 عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني « وذكر الحديث
 وأنشد أبو عثمان سعيد بن إسماعيل :

مَا بَالُ دِينِكَ تَرْضَى أَنْ تُدْنِسَهُ وَإِنْ ثَوْبَكَ مَغْسُولًا مِنَ الدَّنَسِ
 تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا إِنْ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

والذكر في الحديث ليس قاصرا على ذكر اللسان فقط بل يعم الجوارح كلها
 فذكر اللسان بالثناء * وذكر العينين بالبكاء * وذكر اليدين بالعطاء . وذكر
 الاذنين بالاصغاء . وذكر البدن بالوفاء . وذكر القلب بالخوف والرجاء .
 وذكر الروح بالتسليم والرضا *

(١٣) الْإِيمَانُ بِوُجُوبِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِقَوْلِهِ
تَعَالَى: (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (وَعَلَى
اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) إِنَّ
اللَّهَ بِالْغُفْرِ أَمِيرٌ (١) *

(١) التوكل عمل القلب فلا ينافى حركة الجوارح خلافا لقوم ما فهموا
معنى التوكل وزعموا انه ترك الكسب وتعطيل الجوارح عن العمل، وللحافظ
ابن الجوزي كلام نفيس في التوكل ذكره في كتاب تليس ابليس فعليك به
فانه انفس كتاب يقتنى ، وقد طبعناه حديثا، وروى الحكيمة الترمذى وابن
ابى الدنيا ان عمر رضى الله عنه لقي ناسا من اهل اليمن فقال ما انتم ؟ قالوا
متوكلون فقال كذبتم ما انتم متوكلون انما المتوكل رجل ألقي حبه - أى زرعه -
فى الارض وتوكل على الله ، ودليل هذا حديث ناقة الاعرابى حيث امره
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله « اعقلها وتوكل » كما رواه الترمذى
عن ابى هريرة فان التوكل مع العمل صنوان لا ينفكان ولا يفترقان ومن
اراد غير ذلك فقد حرف الحكيمة وناقض اساس الدين الاسلامى المبني على العمل
بشهادة قوله تعالى (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) وقوله تعالى (فاذا
قضيت الصلاة فانكثروا فى الارض وابتغوا من فضل الله) الآية وما عليه
المسلمون الآن من الكسل والبطالة وحب الخمول حتى قعدوا وسبقهم غيرهم وبقوا
اذلة ضعفاء لاحول لهم ولا طول ما ذاك الابشر دسائس الذين دخلوا فى
الاسلام لاجل الافساد فبثوا افكارا فاسدة وعقائد زائغة وامورا منكرة
وبدعا مضلة فشوهوا الاحكام الاسلامية وبدلوا فى افعالهم كثير من الشريعة

وَلَحْدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ فِي سُؤَالِ
أَصْحَابِهِ لَهُ عَنِ السَّبْعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يَرْزُقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ
حِسَابٍ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «هُمْ
الَّذِينَ لَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ فَقَامَ
عُكَّاشَةُ بْنُ مَحْصَنٍ الْأَسَدِيُّ فَقَالَ أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَنْتَ مِنْهُمْ
ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرٌ فَقَالَ أَنَا مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ سَبِّكَ بِهَا عُكَّاشَةُ» (١)

الحمدية ورضوا بالخمر والاسقام وان يدوروا عالة على غيرهم او عبيدا همهم
ان يملثوا بطونهم ولا يهمهم بعد ذلك شيء ظنا منهم انهم عملوا كمال التوكل
وهم قد ضلوا واضلوا عن سواء السبيل حيث خالفوا قول الله تعالى (وان ليس
للانسان الا ماسعى) *

(١) قال النووي: هذا الحديث من بديع الطب عند أهله لأن الأمراض
الابتدائية دموية أو صفراوية أو سوداوية أو بلغمية فإن كانت دموية فشفافاؤها
اخراج الدم وان كانت من الثلاثة الباقية فشفافاؤها بالاسهال المسهل اللائق بكل
خطئ منها فكانت نبه صلى الله عليه وسلم بالعمل على المسهلات وبالجمامة على اخراج الدم
وبالفصد ووضع العاق وما في معناها وذكر السكى لأنه يستعمل عند عدم نفع
الأدوية المشروبة ونحوها فأخر الطب السكى والنهى عنه إلى تأخير العلاج
بالسكى حتى يضطر إليه لما فيه من استعجال الألم الشديد في دفع ألم قد يكون
أضعف من ألم السكى اه * وقوله في الحديث. «لا يكتوون» أى لا يكتوى
أحدهم إذا أصابه مرض بالنار للمرض وقد جاء النهى عنه في أحاديث كثيرة

وجملة التوكل تفويض الأمر إلى الله تعالى والثقة به مع ما قدر له من
 التسبب ففي الصحيحين أيضاً من حديث الزبير رضي الله عنه «لأن
 يأخذ أحدكم حبله ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره
 فيبيعها فيستغني بها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه» *
 وفي صحيح البخاري من حديث المقدم بن معدى كرب رضي
 الله عنه «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يديه قال

قال ابن الأثير إنما نهى عنه من أجل أنهم كانوا يعظمون أمره ويرون أنه
 يحسم الداء وإذا لم يكن العضو عطب وبطل ، فهاهم إذا كان على هذا الوجه
 وأباحه إذا جعل سبباً للشفاء لأعلة له . فإن الله هو الذي يبرئه ويشفيه لا السكي
 والدواء وهذا الأمر يشكر فيه شكرك الناس يقولون لو شرب الدواء لم يمت
 ولو أقام ببلده لم يقتل ، وقيل غير ذلك *

وقوله ولا يسترقون أي لا يستعملون الرقية وهي العوذة التي يرقى بها صاحب
 الآفة وقد جاء في بعض الأحاديث جوازها ، وفي بعضها النهي ، وقد جمع بينهما أن
 الرقية بكره منها ما كان بغير أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه في كتبه المنزلة . وأن
 يعتقد أنها نافعة لا محالة فيتكل عليها ، وعليه يحمل قوله ﷺ ما توكل من
 استرقى وما كان بخلاف ذلك لا يكره وقد أمر ﷺ غير واحد من أصحابه
 بالرقية وسمع بجماعة يرقون فلم ينكر عليهم *

وقوله الطيرة هي بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن هي التشاؤم بالشئ . وقد
 ورد النهي عنه فأعلمنا الشرع أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضرر *

وَكَانَ دَاوُدَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ (١) وَبِهِ أَنْبَا نَا الْبِيهَقِي قَالَ أَنْبَا نَا أَبُو عَبْدِ
 اللَّهِ الْخَافِضُ قَالَ أَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ نَصِيرٍ قَالَ حَدَّثَنِي الْجُنَيْدُ قَالَ
 سَمِعْتُ السَّرِيَّ يَذُمُ الْجُلُوسَ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ وَيَقُولُ جَعَلُوا الْمَسْجِدَ
 الْجَامِعَ حَوَانِيتَ لَيْسَ لَهَا أَبْوَابٌ * وَبِهِ أَنْبَا نَا الْبِيهَقِي بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ
 الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ دِينُكَ لِمَعَادِكَ وَدِرْهُمُكَ لِمَعَاشِكَ وَلَا خَيْرَ
 فِي أَمْرِي بِلَادِرْهُمْ * وَبِهِ أَنْبَا نَا الْبِيهَقِي قَالَ أَنْبَا نَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَافِضُ قَالَ أَخْبَرَنِي
 جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَوَاصُّ قَالَ أَنْبَا نَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَصْرِ الْمَنْصُورِيِّ قَالَ سَمِعْتُ
 إِبْرَاهِيمَ بْنَ بَشَّارٍ خَادِمَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهْمَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَلِيٍّ الْفَضِيلَ
 ابْنَ عِيَّاضٍ يَقُولُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ أَنْتَ تَأْمُرُنَا بِالزُّهْدِ وَالتَّقَلُّلِ وَالبُلْعَةِ وَنَرَاكَ
 تَأْتِي بِالْبَضَائِعِ مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ إِلَى الْبَلَدِ الْحَرَامِ كَيْفَ ذَا وَأَنْتَ تَأْمُرُ
 بِخِلَافِ ذَا فَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ يَا أَبَا عَلِيٍّ أَنَا أَفْعَلُ ذَا لِأَصُونَ بِهَا وَجْهِي
 وَأَكْرَمَ بِهَا عَرْضِي : وَأَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى طَاعَةِ رَبِّي . لَا أَرَى لِلَّهِ حَقًّا
 إِلَّا سَارَعْتُ إِلَيْهِ حَتَّى أَقُومَ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْفَضِيلُ يَا ابْنَ الْمُبَارَكِ مَا أَحْسَنَ
 ذَا إِنْ تَمَّ ذَا *

(١) خص داود بالذگر لان اكله من عمل يده لم يكن لحاجة لانه ملك *

(١٤) الْإِيمَانُ بِوُجُوبِ مَحَبَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 لِحَدِيثِ أَنَسٍ الْمُتَّفَقِ عَلَى صَحَّتِهِ «لَا يُؤْمَنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ
 إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»
 وَلِحَدِيثِ أَنَسٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَالَوَةً
 الْإِيمَانُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا» الْحَدِيثُ، وَلِحَدِيثِهِ
 فِيهِمَا أَيْضًا قَالَ «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ
 فَقَالَ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَعَدَدْتُ لَهَا كَثِيرَ صِيَامٍ وَلَا صَدَقَةٍ
 إِلَّا أَنِّي أَحَبُّ إِلَيْهِ وَرَسُولُهُ قَالَ أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» (١) *

(١) قال القاضي عياض : اعلم ان من أحب شيئاً آثره وآثر موافقته .
 وإلا لم يكن صادقاً في حبه وكان مدعيّاً ، فالصادق في حب النبي ﷺ
 من تظهر علامة ذلك عليه وأولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع أقواله
 وأفعاله وامتنال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بأدابه في عسره ويسره
 ونشطه ومسكره ، وشاهد هذا قوله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
 يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) وقوله في الحديث الاول «لا يؤمن احدكم» الخ
 وذلك لان سبب الحب المنفعة وكلما كانت اعظم فالمحبة امكن ولذلك ترى
 الانسان يحب اهله وولده لما يأمل من المنافع على يدهم ويحبهم اكثر من
 غيرهم لما شملوه من عطفهم واسبغوه عليه من نعمهم ومهما عظمت نعمهم فانها
 لا تساوى شيئاً من نعم رسول الله ﷺ حيث أرشده إلى طريق الهدى وولده

على سلوك جادة الصواب وعلمه كيف يعيش في الحياة وكيفية الافادة والاستفادة منها إلى ان ترك المسلمين على المحجة البيضاء ليلها كنهارها سواء فانار له الحياة الدنيا ودله على الطريق الموصل إلى رضاء ربه فيفوز في الآخرة في جنات عدن التي وعد الرحمن عباده ويحل عليه رضوان الله تعالى فلا يعضب عليه ابدا وهذه نعمة لا يمكن ان تعادلها نعمة حاصلة من بشر لان معظم منفعة البشر تنحصر في الجسد والمادة وغاية ما يقدر ان ينفعه به ان يحفظ له حياته او يغذيه بما يقتات به بخلاف الرسول الاعظم سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه فان نفعه عام في الدنيا والآخرة اذن يجب ان يكون الرسول احب الناس إلى كل فرد بالنظر لما يحصل له، روى الحافظ ابو نعيم في الحلية عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها » وكان اعظم الاحسان على الامة اجماعا به رسول الله ﷺ ، فلا يؤمن شخص لا يرى الرسول احب اليه من والده وولده فيوافقه في كل ما فعل ويكره كل ما يكره اذ لا محبة بغير اطاعة فترك هواه لما يريد المحبوب يستحسن كل ما اراده ويستقيم كل ما حذر منه ويتبع النهج الذي كان عليه فيهتدى بهديه ويقتدى بسنته وهذا ادنى درجات الحب واعلاها ان يفديه بنفسه وان يرى كل مصيبة دونه امرا حقيرا كما وقع له دبت حزام قتل ابنها خلاد وزوجها عمرو بن الجوح واخوها عبد الله والدجابر ولما قتيها عائشة حيث كانت خرجت في نسوة يستروحن الخبير وسألته عن خبر الجيش فقالت أما رسول الله ﷺ فصالح وكل مصيبة بعده جليل واتخذ الله من المؤمنين شهداء وسألته من هؤلاء قالت اخي عبد الله وابني خلاد وزوجي عمرو ابن الجوح، فقامل هذه المرأة التي بلغ منها الايمان مبلغه أن جعلت مصيبة قتل اخيها وابنها وزوجها جللا اي امرا حقيرا بالنسبة لسلامة رسول الله ﷺ ، وكذلك أبي بن كعب لما ارسله رسول الله ﷺ يوم أحد يسأل عن سعد

ابن الربيع فوجده جريحاً وبه رمق فقال له إن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أمرني أنظر أفي الأحياء انت ام في الاموات فقال انافى الاموات قد طعنت اثنتى عشرة طعنة واني قد انفذت مقاتلي فأبلغ رسول الله ﷺ عنى السلام وقل له : ان سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله خيراً ما جرى نبيا عن امته وابلغ قومك عنى السلام وقل لهم ان سعد بن الربيع يقول لكم لا عذر لكم عند الله ان يخلص اليكم نبيكم وفيكم من تطرف اه ، وكذلك انس بن النضر عم انس بن مالك لما سمع يوم احد قتل رسول الله ﷺ قال ما تصنعون بالحياة بعده . وتوا على امامات عليه رسول الله ﷺ ثم استقبل القوم وقال لسعد بن معاذ هذه الجنة ورب الكعبة اجد ريحها دون احد وقاتل حتى قتل ووجدنا فيه بضعا وثمانين جراحة ما بين ضربة بالسيف او طعنة برمح او رمية بسهم ، لاشك أن هذا هو الحب وهذا هو الايمان الخفيف الذى استطاع به الاسلام ان يدوخ العالم ويخرجه من الضلالة إلى الهدى ومن النار إلى النور ومن عبادة الاوثان إلى التوحيد الصريف وينشر السلام فى اقطار الارض كافة وذلك لتحققهم بدينهم ويفهمون ان حبهم لرسول الله هو حبهم لله عز وجل قال تعالى (ومن يطع الرسول فقد اطاع الله) فلا شك ان حبه حب لله قطعاه

وذكر البغوى فى تفسيره ان ثوبان مولى رسول الله كان شديد الحب لرسول الله ﷺ قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن فوجه فقال له رسول الله ﷺ « ما غير لونك ؟ فقال يا رسول الله ما بى مرض ولا وجع غير انى اذا لم أراك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة فى منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابداء فنزلت هذه الآية وهى (ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) *

(١٥) الْإِيمَانُ بِجُوبِ تَعْظِيمِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَبَجِيلِهِ وَتَرْقِيرِهِ لِقَوْلِهِ
تَعَالَى : (وَتَعَزُّوهُ وَتُقِرُّوهُ) وَقَوْلِهِ (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ)
وَالْتَعَزَّيْرُ هُنَا التَّعْظِيمُ بِإِلْخَافٍ وَقَوْلُهُ : (لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ
كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) أَيْ لَا تَقُولُوا لَهُ يَا مُحَمَّدُ يَا أَبَا الْقَاسِمِ بَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ
يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَلِقَوْلِهِ (لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) وَقَوْلُهُ (لَا تَرْفَعُوا
أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) الْآيَاتُ *

وَبِهِ أَنْبَأَنَا الْبَيْهَقِيُّ قَالَ وَهَذِهِ مَنْزِلَةٌ فَوْقَ مَنْزِلَةِ الْحَبَّةِ إِذْ لَيْسَ كُلُّ مُحِبٍّ
مُعَظِّمًا : كَمَحَبَّةِ الْأَبِ لَوْلَدِهِ وَالسَّيِّدِ لِعَبْدِهِ مِنْ غَيْرِ تَعْظِيمٍ
بِإِلْخَافِ الْعَكْسِ *

(١٦) شَحُّ الْمَرْءِ بِدِينِهِ حَتَّى يَكُونَ الْقَذْفُ فِي النَّارِ أَحَبَّ
إِلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ لِحَدِيثِ أَنَسٍ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ
الْإِيمَانِ ثُمَّ قَالَ وَأَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الْكُفْرِ
بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ» (١) *

(١) قَوْلُهُ «شَحُّ الْمَرْءِ بِدِينِهِ» أَيْ تَمَسُّكُهُ بِهِ وَشِدَّةَ حِرْصِهِ عَلَيْهِ وَقَوْلُهُ «حَتَّى
يَكُونَ الْقَذْفُ فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ» وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مُتَمَقِّنٌ

بأن هذه الحياة الدنيا فانية وان امامه حياة أبدية سرمدية لا تعب فيها ولا شقاء ومهما طال عمره فلا بد له من الموت ، فالقذف في النار لا يضره بأكثر من أن أضاع عليه أياما قليلة ولكن الشح في الدين يكون سببا لحصول الانعامات الالهية والتعظيم الابدى الذى لا يتغير ولا يتبدل ، فشج الرجل عبارة عن أنه مؤمن حقا واثق بوعد الله ووعيده فلا يعدل بدينه شيئا ولا تمهه الدنيا ولا تغشه بزخارفها كما انها لا تخيفه بنارها الذى لا يلبث الانسان فيها الا لحظات يسيرة فينتقل من عالم الفناء الى عالم البقاء وهناك يمر من نار وقودها الناس والحجارة لا يخلصه منها ولا يستطيع أن يعبر جسرها إلا بالايمان الحق السائق إلى الأعمال الصالحة ويرجع هذه النار المؤقت عذابها على نار لا ينقضى عذابها هم فيها خالدون كلما فضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غير هالينذوقوا العذاب الاليم ولا شك أن ترجيح النار الثانية على الأولى هو الايمان بالله واليوم الآخر والتصديق بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم *

وهذا الشح المطلوب انما هو في الدين وأما في الدنيا فقد جاء ذمه وقبح من اتصف به لان الانسان كلما كان أكثر افادة للناس كان أعظم أجراً وأرفع ذكراً وأعلى قدراً ، ولا شك أن من اعتقد بالموت الذى لم يفلت منه أحد ولم ينجو منه ملك ولا سوقة لا ربيع ولا وضع لا كبير ولا صغير لا ذكر ولا أنثى تيقن ان ماله من الاموال والاثاث حثالة الدنيا وقاذوراتها فمن كان عاقلا فلا يبخل على بنى نوعه بما يزيد عن حاجته والافان شحه على قدر نقصان ايمانه طبعاً ولا ينبغي ان يسرف فى الاعطاء حتى يكون عالة على الناس يتسكفهم بل عليه امتثال قوله تعالى : (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) والله أعلم *

وَلَحْدَيْهِ أَيْضًا فِي صَحِيح مُسْلِمٍ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَعْطَاهُ
 غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ أَسْلَمُوا فَوَ اللَّهِ إِنْ مُحَمَّدًا لِيُعْطِيَ عَطَاءَ
 رَجُلٍ لَا يَخَافُ الْفَاقَةَ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ يَجِيءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَا يُرِيدُ
 إِلَّا الدُّنْيَا فَمَا يَمْسِي حَتَّى يَكُونَ دَيْنُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَأَعَزَّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا
 ﴿ ١٧ ﴾ طَلَبُ الْعِلْمِ وَهُوَ مَعْرِفَةُ الْبَارِي تَعَالَى وَمَاجَاءُ مِنْ عِنْدِ
 اللَّهِ وَعِلْمُ النَّبُوَّةِ وَمَا تَمَيَّزَ بِهِ النَّبِيُّ عَنْ غَيْرِهِ وَعِلْمُ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى
 وَأَقْضِيَّتِهِ وَمَعْرِفَةُ مَا تُطَلَّبُ الْأَحْكَامُ مِنْهُ كَالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْقِيَاسِ
 وَشُرُوطُ الْجَهْدِ (١) *

(١) لان دين الاسلام حث عليه ولم يجعل للجاهل قيمة فتراه حرمه
 حتى من لذة العبادة وهى الخشية من الله باداة انما المفيدة للحصر في قوله
 تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) ذلك لان الجاهل لا يشترك مع
 الانسان الابالمشى والاكل والشرب وهذه توجد في بقية البهائم اذن يحق لنا
 ان نسمى الجاهل بهيمة لانه لم يستفد المواهب الالهية واننا ندعوه بالमित
 باعتبار الفضيلة والامانة . التى كلف الله بها الانسان واما ان كان من ارباب
 الضرر والاذى فيجوز ان يدخل في عداد الحيوانات ذوات السموم ، وقد بين لنا
 المؤلف العلم وهو عبارة عن الاعتقادات والاخلاقيات والعمليات وليس
 معناه ان نترك علوم الآلة وبقية العلوم العقلية كالنحو والصرف واللغة والبلاغة
 والوضع والمنطق فان هذه مرقاة يتوصل بها إلى تلك ، وقد اصبحنا في عصر

وَالْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ مَشْهُوْرَانِ بِفَضِيلَةِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
 (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة
 وأولو العلم قائماً بالقسط) (وعليك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك
 عظيماً) (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) (١)

لا يمكننا الاستغناء عنها ولا شك ان ما لا يتم الواجب الابه فهو واجب فاذن
 هذه العلوم مطلوبة كذلك وقد ذكرها المصنف في شروط الاجتهاد وإنما لم
 يفصل الامر ويوضحه لانه اراد ان يتحرى الواجب لذاته لمعرفة الله وكيفية
 اداء العبادات واما هذه العلوم فانها واجبة لغيرها ولذلك تجده ذكرها ضمنها
 بصورة لا تخفى على من كان عنده ادنى تأمل *

(١) قوله: (انما يخشى الله من عباده العلماء) الخشية قال الراغب الاصفهاني
 في مفرداته: خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى
 منه ولذلك خص العلماء بها في قوله: (انما يخشى الله من عباده العلماء)
 وقوله (واولوا العلم قائماً بالقسط) أى وشهد اولوا العلم بان لا اله الا هو
 وشهادتهم بمعنى الايمان منهم وما يقع من البيان للناس على سنتهم ، واختلف
 في اولى العلم هؤلاء من هم فقيل هم الانبياء وقيل المهاجرون والانصار قاله
 ابن كيسان ، وقيل مؤمنو اهل الكتاب قاله مقاتل ، وقيل المؤمنون ظمهم
 قاله السدي والسكبي ، والحق ان يفسر هنا باهل العلم العاملين من المؤمنين
 سواء كانوا من امة محمد ﷺ او من الامم السابقة اذ لا وجه للتخصيص
 وفي ذلك فضيلة لاهل العلم جليلة ومنقبة نبيلة لقرابهم باسمه واسم ملائكته ،
 والمراد بأولى العلم علماء السكتب المنزلة على غير نبينا محمد ﷺ اذا كانوا

من الأمم المتقدمة ، وعلماؤ القرنان والسنة وما يتوصل به إلى معرفتهما إذا كانوا من أمة محمد ﷺ .

وقوله تعالى (وعليك مالم تسكن تعلم) الآية حيث منحك العلم النافع بأن اطلعك على اسرار الدين والحكم التي أرادها الله من احكام التكليف فاقفك على حقائق ذلك كله ولذلك كان فضله عليك عظيما حيث اجاز لك ان تتصف بصفة الاله وهى العلم ، ولا شك ان هذا اعظم من كل شىء فى الحياة ، ولا يخفى عليك ان العلوم الصناعية كالزراعة والتجارة هى مطلوبة وشريفة فلذلك ان الشخص الذى لا يعلم صناعة ولا يتقن فنا قيمته فى نظر ابناء الدنيا اقل من يعلم الصنائع ويتقنها وهذا شاهد عيان وهى حقيقة بالنسبة للعلوم الدين لان الاولى تعود الى الجسم والبدن والثانية تعود الى الروح والعقل وهما اشرف من الجسد فما يتعلق بهما يكون أعظم وأشرف لأن العلوم المادية مهما صعدت وارتقت درجاتها لا يمكن أن تعود بخير كبير الا اذا كانت اداة أو آلة للعلوم الدينية ولذلك كان الكثير من أبناء الاسلام الذين يؤمنون أوروبا لتلقى العلوم المادية العصرية ولم يكن فى قلبه مثقال ذرة من العلوم الدينية لا يتسع صدره للمسائل الشرعية والاحكام الفقهية لأن سنة الله فى خلقه - المرء عدو ما جهل - فلا يدرى الا الاحتقار ولا يعرف الا الغطرسة والخيلاء فيجعل نفسه وقفاً على الطعن فى الدين الذى هو حياة الامة الحقيقية ، واذا أراد أحدا أن يفهمه معنى الدين ومزاياه ومحاسنه أبى أن يستفيد ويفهم وهذا هو السر الذى جعل المتعلمين فى أوروبا والمتلقين علومهم منها لا خير فيهم لا بناء دينهم ولا منفعة منهم لمواطنيهم فانا لله وانا اليه راجعون .

العلم حسن ولكن متى؟ إذا عاد بالنفع واما اذا طلبة ليقبى عالة على غيره الذى يحتقره ويزدرجه ليت شعري من المحتقر والمهان؟ اليس اليد العليا خير

من اليد السفلى فكل ماورد في شرف العلم فهو لاشك محمول على علوم الدين
الذى جاءت لاصلاح المجتمع الانسانى، أليس منها الآليات؟ وبها يعلم الانسان
أن فوق قوته خالقا لا تخفى عليه أعماله فهو يخشاه، أمره بالعدل فهو يطيعه
ونهاه عن الظلم والتعدى فهو يسمع له ويطيع لأنه الحافظ الذى لا يزول،
الحكومة مهما كانت قوية عادلة لا يمكنها أن تراقب كل الناس سرا وجها فاذا
خلا الرجل ولم يجد مانعا يحول دون تنفيذ مأربه من الذى يمنعه إن لم يكن
خوف الله الشاهد الرقيب، أليس من علم الدين الاخلاقيات؟ وهو تطهير
النفوس من الادران والتقاوى كالظلم والغدر والغش والكذب والحسد
والشح والقتل والسلب والنهب، وتحلية النفس بالسكالات كالعدل والانصاف
والرحمة والصدق والحب والمودة والبرم والعطف والغيرة ومؤازرة
المظلوم وكف الأذى عن الناس، أليس منها العبادات؟ وهى تكفل كيفية
معاملة الشخص مع ربه ومع غيره من بنى نوعهم وغيرهم، وسيأتى عند كل
مسألة ما يتعاق بها من البحث ولكن بصورة اجمالية، نقول: ان العلوم ككفلت
سعادة الدارين الدنيا والآخرة وأن الذى حمل الجماعة الملاحدين على انتقاصها
جهلهم بها وعدم اطلاعهم على أسرارها وتمسكهم بأنهم على جانب عظيم
من العلم المموءه، رغب عن ذهنهم قوله تعالى: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) ✽
أظنهم يسلون معنى قلة بضاعتهم وأن الزمان شاهد عدل على ذلك فان
الاكتشافات الحاضرة لو رآها علماء المادة الذين ماتوا قبل خمسين سنة
لعدوا أنفسهم جهلاء والعلوم الطبيعية لاشك أنها لاتقف عند حد فاذن
يعترف بالضرورة أن علمه قليل وأنه لا يكون الرجل عالما الامن عرف
أنه لا يعلم ✽

نعم لا يعلم لانه لا يزال يجهل تركيب ذاته وانتظام دورته الدموية وكيفية
تصريف الغذاء وجريان الهوى وحقيقة اليقظة والنوم فهو كلما زعم ازدياد

(هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ

العام فهو في جهالة ومتى أدرك هذه النقطة فقد أدرك العلم وتمتع بلذته *
لا يخطر على بال أحد أن العلوم الدينية تمنع العلوم المادية كلا وألف كلا
بل هي تقبلها وترحب بها وتعدّها من الوسائل الواجبة ينبغي معرفتها فإن
فيها بيان سر الله في كونه وكشف غامضات الحياة فكلما انتشر العلم المادى
الحقيقى فإن العلم الدينى يقوى لانه يجعل الانسان يعظم الخالق ويقسره
على الاذعان لقدرته ويجبره على الاعتراف باطلافه وأنعامه وكلما علم أن
هذا الملك العظيم واسع فانه يعلم ويستنتج منه عظمة مبدعه وهذا هو التوحيد
الذى يدعو اليه الدين ووقف أنفسهم على نشره علماء المسلمين *

وانظر الى قوله تعالى: (والذين اتوا العلم درجات) اى ان الذين حملوا
العلم وعملوا به يرفعهم الله درجات فوق درجة المؤمنين الذين لم يحملوا
العلم وهذه مزية عظيمة لا ينالها الانسان الا بالعلم لأن العالم يعلم الحلال
وكيفية الاستفادة منه ويعلم الحرام والشبهات وكيفية الاحتراز منهما ويدرى
محاسبة النفس وكيفية اداء العبادة على وجه الخشوع والتذلل ما لا يعرفه غيره
فيقلده غير العالم ويتبعه ، ولكن هذه المنزلة العظيمة والمقام الرفيع يقابلها
اخطار حرجة لان الانسان كلما عظم مقامه كان وقوع الهفوات منه
والمعاصى اشد واعظم وهكذا شأن كل ذى منصب سام ان يكون خطره
كبيرا على قدر مقامه رفعة وعلوا ، وبين الرسول صلى الله عليه وسلم درجات
العلماء العاملين في قوله « فضل المؤمن العالم على المؤمن من العابدين سبعون درجة »
رواه ابن عبد البر حافظ المغرب فى كتابه جامع بيان العلم وفضله وهو
من انفس المؤلفات فى بابيه وقد طبعناه والحمد لله *

وقوله: (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) الجواب لا لان اولئك

أولو الألباب (١) *

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ
 اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ أَنْزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ
 الْعُلَمَاءِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ أَخَذَ النَّاسُ رُؤُسَاءَ جَهَالَةٍ فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا
 بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا (٢) *

يسرون في نور وعلى هدى من ربهم وهؤلاء في عماء أو في نور يمدحهم به اهل العلم
 فالفرق بينهما كالفرق بين البصير والاعمى او بين النور والظلمة ذلك لان
 العلم والفكر حياة الروح فاذا فقدتهما المرء فقد بقى قلبه بلا حياة وجازان
 يحسب في ضمن الاموات وفرق عظيم بين الحي والميت *

(١) قوله: (انما يذكر اولو الالباب) أى ارباب العقول السليمة فان العقل
 الذى هو صفة غريزية يلزمها العلم بالضرورات عند سلامة الآفات، وسمى عقلا
 لانه يعقل صاحبه ويمسكه عن الوقوع في المخالفات كما يعقل البعير بالعقال ويسمى
 لبنا ايضا لانه الصفوة واللب والخلاصة في الانسان، ويسمى الحجي لاصابة الحاجة
 به والاستظهار على جميع المعاني، ولا يمكن ان يتذكر الا ما كان حائزا على ما ذكرناه

(٢) أى أن حملة العلم تموت ويبقى المجال واسعا للجهلاء ويمكنك أن
 تطبقه على عصرنا هذا لان العلم الشرعى والمادى قد وضع في طريق طلبهما
 عراقيل كثيرة يشق العبور منها اليه يزعمون أنهم يريدون بذلك تنظيم العلم
 وتحسين طرق تحصيله ثم وضعوا رسومات ومصاريف وتقاليد تصد كثيرا
 من الناس عن التعلم وتكون هذه سببا لحرمان أبناء الفقراء من هذه النعمة
 العامة وحظروا التحصيل الاحسب البرنامج الذى قرره المدرسة فلا يحق

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَنَّى هَرِيرَةَ «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ
 كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ
 يَسْرِعَ عَلَى مَعْسَرِيسِرِ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ
 اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ

لشخص دراسة العلم المحتاج اليه إلا ان يدرس معه ما تشاء المدرسة إما
 لمنفعة مخصوصة أو توهين عزيمة الطالب وذلك كله تعميم للجهل ونشر للضلالة
 بين الناس ولا سيما النخبة الأخرى وهى أن العلم منحصر فى الذين يحملون
 ما يسمونه شهادة أهلية أو عالمية ابتدائية وأنحو ذلك من الألقاب المصطلح
 عليها عندهم فيمنحون فلاناً أستاذاً وفلاناً دكتوراً فيتباهى بالشهادة المذكورة
 وذلك اللقب فيكون سبباً لحرمانه من العلم الحقيقى ووسيلة لاضاعة ما تعلمه
 فى أثناء التحصيل لأنه رأى نفسه أرفع من غيره لما أوتى من لقب وحاز
 من شهادة وهذا بالنظر لتقديس الناس والحكومات لها حتى صح قول القائل
 - شهادة بلا علم خير من علم بلا شهادة - فانك ترى الشخص من هؤلاء بهيئة
 وغطرسة تحف به الكبرياء ويحتاط به الغرور كأن الله خلق الناس عبيداً له،
 همه تزيين الشكل والاعتناء بالقيافة وهذا الفريق هم الذين جمعوا دينهم
 تبعاً لهواهم « فستولوا فأقتوا بغير علم » لانهم لا يملكون الا اللقب أو الشهادة
 ولا يعرفون غير ذلك وغررتهم أنفسهم فألقوا من تعلم علوم الدين فكان
 جوابهم وفق خيالهم الفاسد « فضلوا » بزيغهم عن طريق الحق وبعدهم عن
 جادة الصواب « وأضلوا » الناس الذين يقتدون بهم مخدوعين بطواهرهم فكان
 لهم من النكال والعذاب قسط عظيم، اللهم رحماك يارب فانك قادر على كل شئ ۞

وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ
وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَادَرَسُونَهُ
بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَعَشَّيْتَهُمُ الرَّحْمَةُ
وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يَسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ (١) *

(١) هذا الحديث جامع لانواع القواعد المرعية والاداب الشرعية
ومرشد الى الفضائل فمن نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كربة من كرب
يوم القيامة لانه نفس عن اخيه المؤمن لاجل ايمانه ولاشك ان الجليل ان
ذهب في الدنيا لا يذهب في الآخرة، وهو بشارة جميلة مشوقة الى عمل الخير
وقضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر ويستطيعه الانسان من علم او مال
او اشارة راي او نصيحة او معاونة لينال المكسب العظيم والرجح الجسيم
يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم لان قرض الشخص الله
يمنحه الله اضعافا مضاعفة خلاف قرض العبد العبد.

ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا بزيادة المال والعيال المباركين
وفي الآخرة بالنعم الجسام ان شاء الله تعالى لانه تسلط على اخيه وقت الاستحقاق
فدفعته رحمته الى التأجيل لوجه الله جل وعز فلا ريب أن الله لا يضيع عمله
بل بشره من الآن ان جزاءه سيكون جزاءاً موفوراً ويوفق في اموره كلها
وهذا هو الجارى بين ارباب المعاملة السمجة فان ثروتهم في ازدياد وكسبهم
في نمو ببركة تساهلهم مع اخوانهم *

ومن ستر مسلماً لا لغاية دنيوية ولا لمقصد سيء وإنما لانه بشر خطاء
والخطأ جائز عليه ليس معصوما فأحب ان يريه كيفية الادب عساه يستحي

(١٨) نَشْرُ الْعِلْمِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَلَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ لَا تَكْتُمُونَهُ) وَقَوْلِهِ: (وَلَيَنْذَرُنَّ أَقْوَمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ) *

وَلَحَدِيثِ أَبِي بَكْرَةَ فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ بَيْنَى الْأَلْيَلِغْنَ الشَّاهِدُ مِنْكُمْ الْغَائِبُ فَلَعَلَّ مَنْ يَبْلُغُهُ يَكُونُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ مِنْ سَمْعِهِ، وَحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ مَنْ سَأَلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ الْجَمْعُ اللَّهُ بِالْجَامِ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١) *

منه فيستحي من الله فهذا الرجل جزاؤه ان يستره الله في الدنيا بأن لا يكشف له ستره ولا يظهر له عيبا او بان يوفقه بأن لا يقع منه ذلك ، وفي الآخرة بأن لا يفضحه على رموس الاشهاد *

ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما يغني بذلك وجه الله تعالى ويستعين به على آخرته شأن العالم وهو ان يعرف عجزه وقدرته ربه فيلتجى اليه ويحتجى بكشفه ويلوذ بحماه فيكون عمله هذا الشريف قد سهل له طريقا الى الجنة لان العلم الشرعي يصير المرء يخشى من عذاب الله ويقدر جلاله ويدري قدره ، وجزاء الذي يخشى ربه الجنة ، وهذا المقصد لا يمكن الوصول اليه الا بمن طريق العلم لان الجاهل قد يسوق المرء الى أن يخرج عن جادة الصواب التي كان سائرا عليها فيتبع هواه الى ان يكون من الهالكين *

(١) لاشك أن نشر العلم من أعظم شعب الايمان اذ به يرتفع الجهل ويقل الفساد وتقدم البلاد وتكثر المشاريع الحيوية وتنتشر الصناعات ويسود الامن وتسمو الامة ، وقوله تعالى : (لتبينن للناس ولا تكتُمونه)

أى لتبينه أهل العلم بقول الحق وإيضاح الأحكام مع التحرى اللازم فى إيراد الأدلة وإقامة الحجج ، وعطف عليه قوله تعالى : (ولا تكتمونه) عن أهله سواء كان الكتم فى الألفاظ أو المعانى وهذا يشمل ما يتخذ بعض خونة العالم من نقل النص وتحريف المعنى على طريق المغالطة إذا علم أن الخصم لا يفقه الدسيسة التى ارتكبها فى تحوير المعنى ، أى يحرم عليكم أن تؤدوا أمانة الألفاظ وتخونوا المعانى فإن هذه جريمة عظمى يجب على العاقل أن يتباعد عنها لاسيما إذا كان النص لا يدل لرأيه أو مذهبه فىحاول محاولة الغالب ليقهر خصمه ، وقوله عز وجل : (ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم) بين أن السفر لاجل العلم واجب إذا كان لا يمكن للإنسان أن يحصله فى وطنه لأن الرجوع لا يكون إلا عن سفر ، وفى هذا حض على العلم وأنه ينبغى لاجله شد الرحال وترك البلاد العارية عنه بدليل أن الله جعل له نفارا كنفار الجهاد لانهما توأمان فنجاح الأمة بالسيف والعلم لأن السيف وسيلة للعلم ، ألا ترى أن الإسلام لما قويت شو كته وانتشرت مبادئه الشريفة وكثرت الفتوحات وصار الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، وبقي حثالة من الكفر نزلت آية (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي) ٥

وقوله : « من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بالجمام » الخ لانه خالف أمر الله تعالى حيث أمره بنشر العلم فحرص عليه و كتمه خشية على نفوذه الموهوم أو اسمه الخيالى أو لقبه الكاذب فرجح الباطل على الحق وبخل فى تعليم غيره كى ينتشر الجهل الذى هو الموت الحقيقى لأن الجاهل عبارة عن متحرك أوحى يمشى ولا يعقل ويفكر ، فكاتم العلم أراد هلاك الأمة وشرع فيه حيث بخل فيما لاحق له فى الاستئثار به فاستحق هذا الوعد الشديد والله أعلم ٥

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْإِمَامِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْأَمَوِيِّ
 رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ مَنْ لَمْ يَعِدْ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ كَثُرَتْ خَطَايَاهُ وَمَنْ
 عَمِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ ، وَعَنْ الْحَارِثِ الْمُحَاسِنِيِّ
 الْعِلْمَ يُوْرِثُ الْخَشْيَةَ وَالزَّهْدَ يُوْرِثُ الرَّاحَةَ وَالْمَعْرِفَةَ تُوْرِثُ الْإِنَابَةَ ،
 وَعَنْ ابْنِ سَعْدَانَ مَنْ عَمِلَ بِعِلْمِ الرِّوَايَةِ وَوَرِثَ عِلْمَ الدِّرَايَةِ وَمَنْ عَمِلَ
 بِعِلْمِ الدِّرَايَةِ وَوَرِثَ عِلْمَ الرِّعَايَةِ وَمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِ الرِّعَايَةِ هَدَى إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ *
 وَعَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ إِذَا طَلَبَ الْعَبْدُ الْعِلْمَ لِيَعْمَلَ بِهِ كَسَرَهُ عَلَيْهِ
 وَإِذَا طَلَبَهُ لِغَيْرِ الْعَمَلِ زَادَهُ كِبَرًا (١) وَعَنْ مَعْرُوفٍ الْكَرْخِيُّ إِذَا أَرَادَ

قوله : من عمل بعلم الرواية الخ أى الوارد عن الله عز وجل وعلى
 لسان رسوله ﷺ دل على ان لذلك الشخص عقيدة صحيحة ونية حسنة حيث
 اخلص في علمه وعمله وسلم مقاليد امره إلى خالقه فيكرمه الله تعالى بعلم الدراية
 فيستطيع ان يكشف بمواهب الله تعالى اسرار الاحكام ويفصح عن معضلات
 المسائل ويحل عويصات القضايا جزاء خروجه من حوله وقوته وتسليمه
 لما اراده الله ، واذا عمل بالدراية ارتقى الى درجة مرتبة الحكم ومنصب العلم
 وعرف المواقف التي يمر عليها الساترون الى مولا هم وادرك مغزى الشريعة
 فقد هدى الى سبيل الحق ووصل الى ما تصبو اليه نفس كل عاقل دنيا واخرى
 (١) قوله : كسره عليه أى لينه وهذبه وزاده تواضعا لله ورفعته بين الناس
 ولذلك تجدد العالم بعلمه أو طالب العلم كذلك مهذباً متواضعاً حليماً راحب الصدر

اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ فَفَتَحَ عَلَيْهِ بَابَ الْعَمَلِ وَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَ الْجَدَلِ وَإِذَا أَرَادَ
اللَّهُ بَعْدَ شَرٍّ أَعْلَقَ عَلَيْهِ بَابَ الْعَمَلِ وَفَتَحَ عَلَيْهِ بَابَ الْجَدَلِ *

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الْوَرَّاقِ مَنْ أَكْتَفَى بِالْكَلَامِ مِنَ الْعِلْمِ دُونَ الزَّهْدِ
وَالْفَقْهِ تَزَنَّقَ وَمَنْ أَكْتَفَى بِالزَّهْدِ دُونَ الْفَقْهِ وَالْكَلَامِ ابْتَدَعَ وَمَنْ
أَكْتَفَى بِالْفَقْهِ دُونَ الزَّهْدِ وَالْوَرَعِ تَفَسَّقَ وَمَنْ تَفَنَّيَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا تَخَلَّصَ *

وَعَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ مَرَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ فَقِيلَ هَذَا فَقِيهٌ
فَقَالَ أَوْ تَدْرُونَ مِنَ الْفَقِيهِ؟ إِنَّمَا الْفَقِيهُ الْعَالِمُ فِي دِينِهِ الزَّاهِدُ فِي دُنْيَاهُ
الْقَائِمُ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّهِ * وَعَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ قَرَأْتُ فِي التَّوْرَةِ إِنَّ
الْعَالِمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ مِنَ الْقُلُوبِ كَمَا يَزِلُّ الْقَطْرُ عَنْ
الصِّفَاءِ، وَأَنْشَدَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي دَاوُدَ لِنَفْسِهِ (١) *

مَنْ غُصَّ دَاوَى بِشَرْبِ الْمَاءِ غَصَّتْهُ * فَكَيْفَ يَصْنَعُ مَنْ قَدِ غُصَّ بِالْمَاءِ
وَعَنْ أَبِي عُمَانَ الْخَيْرِيِّ الزَّاهِدِ :

(١) القطر يفتح القاف وسكون الطاء المطر واحده قطرة، والصفاج جمع
صفاة وهي الصخرة والحجر الأماص، فانظر الى هذا التشبيه ما أبلغه ولا تسكن
من علم ولم يعمل *

وغير تقى يأمر الناس بالتقى * طيب يدأوى والطيب مريض
 نسأل الله التوفيق للعلم والعمل ونعوذ بجلال وجهه من الخذلان
 والحرص والأمل (١) *

(١٩) تعظيم القرآن المجيد (٢) بتعلمه وتعليمه وحفظ حدوده

(١) وفي رواية وغير تقى يأمر الناس بالتقى طيب يدأوى الناس وهو عليل
 (٢) من شعب الإيمان تعظيم القرآن الكريم وذلك بأداء ماله من الحقوق
 بان يكسر من تلاوته ويتدبر آياته ويعمل بجلاله ويتجنب حرامه ويتقن
 قراءته قال الله تعالى: (ورتل القرآن ترتيلا) ويعلم الغير بان القرآن كلام
 الله وكتابه المنزل على رسوله محمد ﷺ وأنه معجزة الاسلام الدائمة والجليل
 الذى من تمسك به استوثق ونجا من رعونات اكدار الحياة ووصل إلى
 ربه تعالى موقفا مسرورا منعمًا مجورًا وهذا هو التعظيم الحقيقى فان من
 احب شيئًا اكثر من ذكره واذاعة نبئه والا فانه يكون مدعيًا لادليل على
 صحة قوله ولذا يقول البوصيرى :

والدعاوى مالم يقيموا عليها بينات اصحابها ادعاء
 فن بدعى تعظيم القرآن يكون قائما بأداء حقوقه على الوجه المطلوب
 مع حفظ كيفية الدفاع ليدودوا عنها الذين سولت لهم انفسهم ان يمسوا كرامة تلك
 الاحكام فيذبونهم عنها ولا يترك بدا ائمة تتناولها بنقد مزيف او قذف باطل
 فيقف نفسه على اداء حقوق القران ويجرد قلبه للدفاع عن المهاجمين ويبان
 الحكم التى تكون سببا لرسوخ عقيدة المؤمنين * وانظر إلى قوله تعالى:
 (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) هل
 يجده ينطبق عليك ؟ *

وَأَحْكَامَهُ وَعِلْمَ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ . وَتَبْجِيلَ أَهْلِهِ وَحِفَاطَهُ وَاسْتِشْعَارَهُ
يَهْجِ إِلَى الْبُكَاءِ مِنْ مَوَاعِيدِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (لَوْ أَنزَلْنَاهُ
الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) وَقَالَ (لَئِنْ لَمْ يَرْسُلْنَا
كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَآيْمِسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)
وَقَالَ (وَلَوْ أَن قَرَأْنَا سِيرَتَ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قَطَّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ
الْمَوْتَى بَلَّ اللَّهُ الْأُمُورَ جَمِيعًا) *

قوله تعالى : (انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون)
الآية أى أن المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم لقرآن كريم وشريف
لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه في كتاب مكنون أى محفوظ
من أن تصل اليه يد المبدلين والمحرفين (لا يمسه) أى لا يلمسه الا الذين هم على
طهارة لأنهم هم أهل التعظيم والتبجيل، ولذا قال الامام الشافعى رضى الله
عنه: إن مس القرآن على المحدث حدثا أصغر حرام مستتجا ذلك من الآية
الكريمة ومؤيدا نظريته بالسنة المطهرة فان النبي ﷺ كتب الى عمرو
ابن حزم «لا يمس القرآن من هو على غير طهر» رواه الدارقطنى والحاكم
والبيهقى فى الخلافيات ، وقوله : (تنزيل من رب العالمين) تعظيم للقرآن
الكريم لان عظمة الكلام على قدر نفوذ عظمة متكلمه فبذكر قوله :
(رب العالمين) اظهار العظمة التى لا يوجد لها مثيل ولا شبيهه .

وقوله تعالى : (ولو أن قرأنا سيرت به الجبال) الآية بيان لعظم شأن
القرآن وفساد رأى الكفرة الذين لم يقدروه حق قدره حيث قالوا آتنا

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيْمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَفْضَلُكُمْ أَوْ خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلِمَهُ وَقَالَ فِيْمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِمَا عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ تَعَاهَدُوا الْقُرْآنَ (١) فَوَالَّذِي

من الآيات التي تشبه آيات من قبلك من الانبياء كقلب العصا حية وإحياء الموتى ونحو ذلك ، وذلك بسبب عنادهم مكابرة وتماديا في الزيف والضلال فقال: (لو أن قرأنا سيرت به الجبال) حين انزاله كما فعل بالطور (أو قطعت به الأرض) كالجر الذي انبجست منه اثنتا عشرة عينا (أو ظم به الموتى) كإحياء لعيسى عليه السلام. كان هذا القرآن مصدرا لكل خارق لما ينطوي عليه من العجائب من آثار قدرة الله تعالى ، وفي الإعجاز بعد التحدي فيه طه والنازل الى عشر سور فالى سورة واحدة والتذكير والانذار والتبشير والتخويف مما يختص بالعقلاء مع بقية الأحكام التسع التي جمعها بعضهم يقوله :

ألا إنما القرآن تسعة أحرف سأنبيكن في بيت شعر بلا خلل
 حلال حرام محكم متشابه بشير نذير قصة عظة مثل
 (١) قوله: تعاهدوا القرآن بالمواظبة على تلاوته لان الانسان مهما اوتي من قوة الادراك وقوة الذهن وجودة التصور لا يمكن ان يحيط بكلام الله تعالى وانما يقف على بعض مما يصل اليه فكم هو هذا السر الذي جعل القرآن جديدا لما أن معناه لا ينقض ولا يمكن لعقل ان يحيط به ، فقسم رسول الله ﷺ بأن القرآن اشد ثقلنا من الابل اذا اطلقت من عقلها هو الواقع والمشاهد بل والمقول لان الابل تجد في نفسها قوة فتى ضعفت او زالت عنها تلك القوة فانها تستعمل ما عندها من العزم فتذهب شاردة ، والقرآن كلام الله على

نفس محمد بيده هو أشد ثقلًا من الأبل في عقلماء، وقال فيما رواه عن
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله
هذا الكتاب فقام به آناء الليل والنهار ورجل آتاه الله ما لا فهو يتصدق
به آناء الليل والنهار *

أقل الاحتمالات وحسب عقول المخاطبين فيه تشابه من حيث انه كلام واجب
الوجود والانسان ممكن وقد جعل الله كتابه في أقصى درجات البلاغة ومنتهى
الاعجاز بحيث لا يمكن البشر من مجاراته للآتيان بمثله لهذا لا يحل الا في قلب
مؤمن وانك لتجد المناق يكلف نفسه اتعابا شاقا وعناء كثيرا ليحفظه فلا
يتسنى له ذلك وان تمكن فلا يلبث أن ينساه في القريب العاجل وهذا من معجزات
القرآن ، وقد شاهدنا أن من كان من المداومين على تلاوة القرآن ويتقن
حفظه شغلته الدنيا او غرته فتجد كل من كان في اعتقاده خلل لا يستطيع
ان يقرأ القرآن على وجه صحيح وانما يغلط فيه بعد ان كان مثالا للحفظ
والضبط . (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) *

قوله : « ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به آخرين » أى يضع
الذين لم يستفيدوا من تلاوته شيئا فلا يعملون بما فيه من الاوامر ولا
ينتهون عما فيه من الزواجر فكان القرآن سبب انحطاطهم اذ لولا القرآن
لسكنوا من اهل الفترة ولا يكفون بالاعمال ، واما الذين يرفعهم القرآن فهم
الذين دأبهم دراسته والحرص على معانيه للوقوف على معرفة ما يراد منهم من
الواجبات والمستحبات ليقوموا بها وينشروا الفضيلة بين الناس ليستفاد منها
وليعمموا دين الله والشرع الشريف، والعقل الحبل الذى يربط به البعير *

وَقَالَ فِيْمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا
الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ :

(٢٠) الطَّهَارَاتُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ) الْآيَةُ * (١)

(١) الطهارة هي التنزه من الأدناس وهي قسمان معنوية وهي تنزيه القلب وتنقيته عن نجاسة الكفر والنفاق وسائر الأخلاق الذميمة الباطنة، وحسية وهي النظافة المخصوصة بغسل أعضاء مخصوصة المنوعة إلى وضوء وغسل وتيمم وغسل بدن وثوب ونحوه، ولما كانت الشريعة الإسلامية كفلت للناهج سبيلها الحق سعادة الدنيا والآخرة وكانت سعادة الدنيا بعضها يتعلق بشخصه منفردا وبعضها يتعلق به مع غيره مرتبطا به حسب الاجتماع الذي لا يستغنى عنه البشر لانه القوة التي يسيطر بها على الحيوانات كافة وكانت الطهارة من القسم الثاني جعلها من الإيمان وقسمها إلى فروع، فمنها ما يتعلق بإزالة النجاسات وهذه أمر بالطهارة منها في كل وقت بحيث لا يجوز إبقاء التضمخ بالنجاسة لغير حاجة، ومنها ما يتعلق بالنجاسة المعنوية وهو الحدث الأكبر ذلك لأن الماء الذي يخرج من المرء يجتمع من أعضاء الوضوء كافة لهذا يحس المرء عقبه بقتور ومن المحسوس الذي لا يحتاج إلى إثبات أن الإنسان ينشط في أعضائه متى اغتسل فترى الشريعة الإسلامية تلاحظ حالة المرء في نشاطه وكسله لأن شأن الحياة أن يتعاقب فيها النقيضان، ولما كان الخمول يغيب اللذة وفي غالب الأحوال لا ينشأ خروج المنى إلا عن لذة قديسي الإنسان حاله عقبها فامرّه بالغسل لتعود إليه قوته . ولما كان من الواجب المحتم على كل مسلم مقيم صلاة

وَلَحْدِيثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمِ الطَّهَوْرِ
 شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ تَمْلَأُ
 أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بَرَهَانٌ
 وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حِجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَيَاثِقُ نَفْسَهُ
 فَمَعْتَقُهَا أَوْ مَوْبِقُهَا (١)

الجمعة أمره بالغسل في كل جمعة اذ يجوز أن لا يحصل له ما يوجب الغسل
 وشأن الانسان أن يلوث جسمه بالرشح والاوساخ اذا أهمل نفسه ولم
 يتعمدها فأمره بغسل الجمعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الغسل
 يوم الجمعة واجب على كل محتلم» ولهذا قال الامام أحمد بوجوبه لان المرء قد
 يغفل عن نفسه فلا يظن وجود نية في جسده والاجتماع عادته أن يترك
 الموجودين في حرارة تظهر ما هم عليه من رائحة جيدة أو عاطلة وكانت الجمعة
 فرضا أمر الشارع بالغسل لها والتطيب فيها كما أمر بالاغتسال عند كل
 اجتماع يحصل بين الناس ، وجمع المصنف الطهارات، نظرا لانواعها .

(١) قوله: «الطهور شرط الايمان» أي نصفه لأن الايمان يطهر نجاسة الباطن
 والطهور يطهر نجاسة الظاهر وكذلك قوله: «والحمد لله الخ لأن الحمد والتسبيح
 ثناء الله وتنزيهه فهو يزيل الادران الباطنة لما فيه من التفويض والافتقار
 إلى الله تعالى وهذه هي العبودية المحضة فتوابها لو كان جسما تملأ ما بين السماء
 والأرض لأن اتساع النور بما لا يمكن انكاره أصلا، وقوله الصلاة نور
 لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وتمنع من وقوع المعاصي وتهدى إلى الصواب
 وتصلح النفس الامارة بالسوء أو تغلب عليها فتقصرها على الرضوخ إلى

طارق الخير المشروعة فتكون سبباً لسطوع نور المعرفة الالهية كما أن النور يحول دون وقوع من يهتدى به في حفرة أو هوة، وقوله : والصدقة برهان لان المال جبلت النفس على حبه فاذا تجرد المرء عن الغايات الدنيوية وانفق في سبيل الله كان برهاناً على صحة ايمانه حيث وثق باليوم الآخر فأعد له عذته او بأن الله هو الرزاق فصرف ماله لا يبغي وراء ذلك نفعاً الا من خالقه ، ويحتمل ان تكون الصدقة برهاناً له يوم القيامة كالشهادة التي تكون سبباً لصحة الدعوى واثباتها في الدنيا فيفزع اليها العبد كما يفزع الى بيئته وحيته ، وقوله «والصبر ضياء» لان صاحبه سائر في طريق معتدلة آمن على نفسه من الزيف بالخروج عن جادة الصواب كن يسير في ضياء يعرف مقصده، وقوله : «والقرآن حجة لك» ان انتفعت به فتلوته وعملت بما فيه من اتباع المأمورات واجتناب المنهيات يصير شقيعاً لك يوم القيامة والافئدة حجة عليك يكون خصماً لك يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ، وقوله «كل الناس يغدو» الخ أى إن كل إنسان بالضرورة يسعى فان كان باع نفسه لله وفي سبيل طاعته فقد اعتقها من العذاب وان كان باعها للهوى والشيطان باتباعهما فيوبقها أى يهلكها والله أعلم .

والحكمة في الوضوء ظاهرة هي أن الاطراف متعرضة لسموم الرياح ومكشوفة يقع عليها الغبار وتأتى اليها الحشرات المضرّة كالذباب والبعوض وغيرهما فالماء يزيل تلك الأوساخ ويبرد الحرارة الحاصلة من السموم وغيرها ويكون سبباً في المحافظة على جمال الحلقة الأصلية (ولقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) ولا يخفى أن للبشرة رونقا وحسنا اذا لم تتغير بما يتلبّد عليها من غبار ونحوه فتقلب بهجتها الى شكل مخالف منفر فرحم الله عباده والزمهم بهذا العمل ليحفظوا بجواهرهم وصحتهم من طريق العبادة التي يؤجرون عليها، وهذه حكمة يبدئها الفكر والفكر آخر أن يبدى حكمة أخرى وهذا لأن نظريات الباحثين عن التشريع وحكمه كثيرة لأن المولى يمنح خلقه ما يشاء من المواهب *

وَلَحْدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَيْضًا لَا يَقْبَلُ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَلَاةَ بَغِيرِ طَهْوَرٍ وَلَا صَدَقَةَ مِنْ غُلُولٍ (١) *

وَلَحْدِيثِ حَسَنٍ عَنْ أَبِي كَبْشَةَ السَّلُولِيِّ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تَحْصُوا وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ وَلَا يَحْفَظُ
عَلَى الْوُضوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ، رَوَى الْحَلِيمِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ آدَمَ فِي قَوْلِهِ * الطَّهْوَرُ
شَطْرُ الْإِيمَانِ * لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى الصَّلَاةَ إِيمَانًا فَقَالَ (وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ) أَيْ صَلَاتَكُمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَلَا تَجُوزُ الصَّلَاةُ
إِلَّا بِالْوُضوءِ فَهُمَا شَيْئَانِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا نِصْفُ الْآخَرِ *

(٢١) الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ)
أَيْ صَلَاتَكُمْ وَقَوْلِهِ (وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ) وَقَوْلِهِ (إِنَّ الصَّلَاةَ
كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) *

وَلَحْدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ * أَنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ
الشَّرِّ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ (٢) *

(١) الغل الخيانة في المغنم والسرقعة من الغنيمة قبل القسمة ، وقد يراد
به معنى أعم من ذلك كالحقد والشحناء *

(٢) دل هذا الحديث وأمثاله على خروج تارك الصلاة من الدين

وَحَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحَّاحِينَ قَالَ سَأَلْتُ

وعدم اتصافهم به فالحديث صريح في أن العلامة الفارقة بين الاسلام والكفر هي الصلاة فوجودها دلالة على اسلام من اتصف بها وقام بأدائها وعدمها برهان على كفر من لم يتلبس بها ، فتارك الصلاة يصح أن يحكم بكفره ظاهر أو لا سيما أن الشريعة الاسلامية قد أباحت دمه لأنه أصر على عدم الرضوخ لأهم الاعمال والاركان الاسلامية فدعواه الاسلام كذب صريح ومين لاشك فيه ، هذا اذا كان تارك الصلاة يدعى الاسلام وامتنع من أدائها أما اذا كان مستهزأ بالاسلام فهو أجدر بسفك دمه والقاء جيفته للكلاب كي يرتدع غيره ممن تحدثهم أنفسهم باللعب في الديانة الاسلامية * وانظر إلى غالب أهل زماننا كيف ترك الصلاة ولا أظن أنه كسل منهم . بل اعتقاد أنها ليست من الدين ، ولربما سخر وامن فاعليها وهزؤا به وهذا مشاهد ولا سيما من تخرج من المدارس العالية ودرس كتب الطبيعة ومذهب الماديين فانه أشد سخطا . وأسرع تجاهرا بعداوته . واللوم كله في ذلك يرجع إلى علماء الدين وأئمتهم . لأنهم لو تقرروا إلى الامراء وينو لهم ما ينشأ عن ترك الصلاة من المفاسد المضرة بالهيئة الاجتماعية والمصالح العمومية . بدليل قوله تعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وطلبوا المساعدة منهم لآخذوا بيدهم وأعانوهم على مطايعهم . ولو اعتنى رؤساء العلم والدين بارسال خطباء ووعاظ إلى البلاد والقري يرشدون الناس إلى ذلك . ويحثونهم على التمسك بدينهم وإظهار شعائره ويلقنونهم العقائد الصحيحة . والمسائل الراجعة والدلائل الشرعية والعقلية . لساد الدين وظهرت معاملته . لكنهم تساهلوا . وعن الهم أعرضوا ، وإلى الوظائف والمربيات جنحوا . وإلى الذين ظلموا ركنوا . أنى يظهر الدين والعلماء ساكتون ، نسأل الله السلامة *

النبي صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أحب إلى الله قال الصلاة لوقتها
قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله قال
وحدثني بن ولو استزادته لزادنى *

وحدث ابن عمر رضى الله عنهما فيهما صلاة الجماعة أفضل من
صلاة الفرد سبع وعشرين درجة *

وحدث عثمان رضى الله عنه فى صحيح مسلم * ما من امرئ مسلم
تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت
كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة وذلك الدهر كله وبه أنا
البيهقي قال ليس فى العبادات بعد الإيمان بالله الرافع لكفر عبادة سواها
جل وعلا إيماناً وسمى رسول الله ﷺ تركها كفرًا إلا الصلاة *

(۲۲) الزكاة لقوله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) (۱)

(۱) أصل الزكاة النمو الحاصل عن بركة الله تعالى، يقال زكا الزرع
يزكو إذا حصل منه نمو وبركة ، وفى الشرع اسم لما يخرج من الإنسان
من حق الله تعالى الى الفقراء والمساكين ، وتسميته بذلك لما يكون فيها من
رجاء البركة أو تزكية النفس وتنميتها بالخيرات والبركات أولهما جميعا

وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ) ١

فان الخيرين موجودان فيها، وهى من أعظم أركان الاسلام وفوائدها ملموسة محسوسة لا فرق بين المنفعة الشخصية أو العمومية ، والنفس مجبولة على الشح ، قال تعالى: (واحضرت الانفس الشح) وهو عيب كبير له تأثير وسلطة على الاضرار بمعظم الفضائل وهو أشد أضرار البخل فالزكاة تزيل هذا المرض النفساني العائق عن السير إلى مراتب السكال لتطلع النفس الى أسمى المناصب وتزداد بعدا عن صفات البهيمية، وهى تخفف من بؤس الضعفاء وذوى الحاجات اذا لم تزل جميع ما احاط بهم من الشقاء والتعاسة، فلو لا الزكاة لهلك الفقراء جوعا أو ساقهم ذلك الى الفوضى والاشترائية كما وقع فى روسيا أخيرا سنة ١٣٣٧ هـ حيث انقلبت رأسا على عقب ولم تبرح تتخبط فى دياجى الضلالة وتنشر هذه البدعة السيئة بكل مالها من حول ولا قوة حتى ظهر ضلال هذه البدعة وأدركها الكثير فاصبحت بعض الدول تحاربها وتدعو الدول الأخرى الى محاربتها خوفا من سمومها، وها نحن منتظرون ما يحصل فى دولة أسبانيا بسبب هذه العقيدة الزائفة والمذهب المهلك للجمتمع الانسانى والقاضى عليه بالتعاسة الى الأبد، اللهم انصر الحق وجنوده واحذل الباطل وحزبه وضع الاغلال فى اعناقهم والقيود فى أطرافه حتى يهلك كذا ويزول جميعه من العالم الجسمانى *

(١) انظر الى هذه الآية الشريفة ونظائرها الدالة على توبيخ مانعى الزكاة وتقريعهم وتعذيبهم العذاب الاليم ، والاحاديث الواردة فى ذلك

وَقَوْلُهُ (وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ
بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) *

بما يحمل الانسان على اخراجه زكاة ماله وبدنه واعطائها مستحقها لانها
تربي المال وتزيده حسا ومعنى ما هو مشاهد لخرجها من حفظ ما لهم من
الآفات وعدم تضييعه في المهلكات *

ولكن كيف تنفع تجربة، وتعظ واقعة أو يحجز اسلام وايمان أو يفيد
بيان وقد استحوذ على أغنياء زماننا الشيطان واستبطنهم ، فخالط اللحم
والدم، والعصب والمسامع ، والاطراف ثم أفضى الى الافخاخ والاصباح
ثم ارتفع حتى باض وفرخ فحشاهم نفاقا وشقاقا، واشعرهم خروجا وخلافا
اخذوه قائدا يطيعونه ودليلا يتبعونه وآمرا ناصحا يستشيرونه ، متى الى
الكتاب والسنة يرجعون وبارئار السلف يقتدون؟ ان الله واناليه راجعون،
ان من كان عقله صحيحا يدرك أن النقود آلة لتبادل المنافع ولذلك تجد
الشريعة المحمدية لم تحظر جمع المال المشروع ولم تنبح للرجل عند الموت
ان يتصدق باكثر من ثلث ماله لان الاحتياج غير مرغوب فيه وكلفنا الشارع
بمحافظة مال السفيه ونسبه اليه لان المسلمين جسد واحد قال : (ولا تؤثروا
السفهاء أموالكم التي جعل الله لکم قیاما فيها) فاورد من الآيات في الزجر
مصرف الى المال الذي لا يؤدي حقه وهو المعنى بالكثرة *

قال ابن عمر رضي الله عنهما : كل ما ديت زكاته فليس بكنز وان
كان تحت سبع ارضين وكل ما لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان فوق الارض
وقال جابر : اذا اخرجت الصدقة من مالك فقد اذهبت عنه شره
وليس بكنز *

وَلَحْدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ ﷺ إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لَذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ . فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لَذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تَوْخِذُ مَنْ أَغْنَيْتَهُمْ وَتَرْدٌ عَلَى فَقَرَاءَتِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ لَذَلِكَ فَأَيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَإِيَّاكَ وَدَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ :

وَحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ * مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَا لَا فَلَـمْ يُوَدِّ زَكَاتَهُ مِثْلَ لَهُ مَا لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَجَاعًا أَقْرَعُ لَهُ زَيْبَتَانِ يَطُوقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلَهْرِمَتَيْهِ يَعْنِي شَدَقِيهِ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا مَالِكٌ أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلَاهُ هَذِهِ الْآيَةَ (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لِهِمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

(١) الشجاع بضم أوله وكسر الحية الذكر وقيل مطلقا والافرع الذي لا شعر على رأسه لكثرة سبه وطول عمره، والزيبتان ثنية زبية وهي نكتة سوداء فوق عين الحية تدل على انه اشد أنواع الحياة واخبرها، والشدق جانب الفم *

(٢٣) الصَّيَامُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) (١) *

(١) الحكمة في الصوم هي أن الانسان حالة وسطى بين الملكية والجسم اللطيف المنان في الدنيا وبين البهيمية والشهوة الحيوانية فهو مركب من المادتين ولذلك كان الانسان أفضل من الملائكة لما يصيبه من الغناء الشديد والصعوبة في مجاهدات النفس ثم ان الشريعة كافت الانسان بامور يستعين بها على نجاح أمره وصلاح حاله فان البهيمية التي يتقمقر بها الانسان الى درجات الشقاء ارادت الشريعة قهره وجعلتها تحت سلطة الملكية وذلك لان قوة الأولى واستفحال أثرها يكون بالغذاء في الأكل والشرب والانهماك في سائر الأعمال الشهوانية فشرع الله الصوم لترجع النفس خاسئة فتنقاد لامر الروح وتفعل حسب ارشاداتها ونصائحها الى أن تصير كالآلة المسخرة لها *
فاذن الصوم عبارة عن منفعة تعود على الصائم فليس القصد منه الاضرار حاشا الشريعة المطهرة أن يوجد فيها ذلك أو يحتمل حصول ما تؤاخذ عليه ولهذا جاز الافطار المريض والمسافر لانه يضر بالاول وقد يعوق الثاني عن كثير من أعماله شائن السفر ولهذا قال تعالى : (وان تصوموا خير لكم) *

ولما كان هلاك النفس أو شدة الاضرار بها أو اخفاف الشهوة غير جائز شرعا شدد الشارع التنكير على صوم الوصال وحرمه وكرهه صوم الدهر لان الصوم مقصود لغلبة النفس لتخضع لامر الروح فتغلب الصفة الملكية على الصفة البهيمية *

وإذا تغلبت الروح فهذا هو الحال لان الرجال تنفاوت في قوة الارادة

وشدة العزيمة ومن كان طوع أمر شهوته فانه جبان النفس ضعيف الهمة لا يقدر على مخالفة النفس الامارة بالسوء . فكان الصوم عوناً كبيراً وناصرًا عظيمًا يضعضع قوى النفس وينهكها فيتركها تسلم القياد للروح وتستسلم لها فتكون عوناً وهذه المزية المطلوبة من الانسان حيث جمع شمله ووجد قواه وأصلح بين الخصمين وصير آلة الشر مسعفا للخير ومرور جاله وعاملا في سبيل إحيائه وانمائه .

وأخال ان هذا السر الذي جعل الصوم واجبا في كل الديانات فهو مختلف النوع والشكل متحد الهدف وهو قهر النفس والغلبة عليها كما قال تعالى : - كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون - أى تتخذون من اجتناب الشر وعمل الخير وقاية من عذاب الله وغضبه بالصوم الممذهب للنفس الباعث على قوة الارادة التى تجعل الانسان عظيمًا مبجلًا في دنياه وآخرته مقدسًا فيهما محترما .

وقد اوجب الله صيام شهر رمضان على حساب الاشهر القمرية لأنها متحولة فيمر على الانسان فصول السنة كافة ويشاهد الحرو والبرد والسموم والزمهرير فتكون هذه شهوداً له على إخلاصه وطاعته لربه ولأن الناس متفاوتون بحسب المزاج فمنهم من لا يتأثر من الحر فاذا أتاه البرد تأثرت نفسه ومن سهر لا يبالي بالبرد فاذا حل فصل الحر ضعفت قوى بهيميته وأصبحت السلطة بيد المملكية أى الروح وحدها لا منازع لها، وهكذا يقال في بقية الفصول اذ المقصد اصلاح النفس وتربيتها على علو الهمة وتمرینها على الأعمال الكبيرة فانها اذا صبرت على الجوع والعطش ولم يخطر على بال الصائم بقية الشهوات فقد نجا من شرور الحياة وأصبح لا يبالي بالاقدام على الأمور العظام ولا تهمة الكوارث مادام ذا عزم متين وإرادة فعالة .

وَلَحْدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ بَنَى الْإِسْلَامَ
 عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ
 وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَحُجَّ الْبَيْتِ (١) *

(١) قوله : « بنى الاسلام على خمس » وذلك لأن العبادة لا تخلو إما
 أن تكون قولية أو غير قولية . فالأولى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً
 عبده ورسوله . وغير القولية إما أن تكون تركية وإما أن تكون فعلية
 فالأولى الصوم لأنه ترك الأكل والشرب واللغو والكلام الفاحش ،
 والفعلية إما أن تكون بدنية خالصة أو مالية خالصة أو مركبة منهما غالباً
 فالأولى أعني البدنية الخالصة الصلاة والثانية أى المالية الخالصة الزكاة ،
 والثالثة أى المركبة منها الحج لأنها مركبة من النفقات وتعب الطريق وإنما
 قلنا غالباً لأن الحج يصبح من رجل قاطن مكة فهو يستطيع أن يذهب ماشياً
 بدون نفقة ولا مصرف إلى عرفات ويعود من يومه إلى مكة وأيام منى
 يتردد فيها بين مكة ومنى والمسافة قصيرة لكن هذا نادر والنادر لا تبني
 منه قاعدة فالأغلب أن الحج مركب من عبادة بدنية ومالية وإنما كان البناء
 على خمس مع أن البناء يكون على أربع بحسب الجهات الأربع لكن لما كانت
 الأركان الأربعة لا تصح إذا انفقد خامسها وهى شهادة أن لا إله إلا الله
 وأن محمداً رسول الله فهو كبنت الشعر يجعل على خمسة أعمدة أحدها
 في الوسط والبقية في الجهات الأربع تبع للوسط فإدام المتوسط قائماً فسمى
 البيت موجوداً ولو سقط معظم الأركان ولكن الاوسط إذا سقط سقط مسمى
 البيت وكذلك الإيمان إذا وجد وحده يحتفظ صاحبه بمسمى الاسلام بلا فائدة
 تعود عليه غير مسئولية الكفر وإذا زال فلا فائدة له من عمله والذين
 أشركوا حبطت أعمالهم والعمدة في ذلك كله على الإيمان *

وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِمَا «كُلْ عَمَلُ ابْنِ آدَمَ يَضَاعَفُ (١)
 الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا الصَّوْمَ
 فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزَى بِهِ يَدْعُ طَعَامَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي» «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ
 فَرِحَتُهُ عِنْدَ فِطْرِهِ وَفَرِحَتُهُ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ» «وَلِخُلُوفٍ فِيمَ الصَّائِمِ أَطِيبٌ

(١) قوله : « كل عمل ابن آدم يضاعف الخ » أى ان من فضل الله تعالى أن جعل الحسنه مضاعفة بمقادير معينة متفاوتة على حسب الاخلاص فى العبادة إلا الصوم فإنه لله تعالى وذلك لانه أبعد الاعمال عن الرياء فيستطيع الانسان أن يظهر بمظهر المفطر وهو صائم حتى لا يستطيع أن يعرفه أحد، وإذا دعى لاكل يحتج بعدم ملاءمته له أو يأتي من الاعذار الكثيرة بخلاف الصلاة فإن رؤيتها ممكنة لجليسه وكذلك الزكاة لابد أن يعلم الآخذ وأما الحج فإنه أشهر من نار على علم *

ولكن الصوم ممكن اخفاؤه على جلسائه فهو معهم من قبل الفجر ويزعم بأن نفسه لا تريد الأكل إذا ألحوا عليه الى أن يصير الغروب فلمذا قال فى الحديث القدسي : وأنا الذى أجزى به وجزاؤه عظيم بما يليق بكرمه العام وفضله الواسع وهذا شأن الكريم اذا أخبر أنه يتولى الجزاء بنفسه فإنه يقضى أن الأجر عظيم جدا ولا سيما وقد استغنى الصائم عن الطعام والشراب تقربا الى ربه بما هو صفة لله وان تفاوتت ماهيتها لان صفات الله لا يشبهها شيء *

وقوله : للصائم فرحتان فرحة عند فطره وذلك يعود على النفس حيث أطلق من سراحاها ويبيح لها ما كان محظورا عليها، وفرحة عند لقاء ربه فينال جزاء غير محدود يليق بكرم الله تعالى *

وقوله : لخولوف فم الصائم الخ أى تغير فم الصائم لان الخولوف بضم

عَنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكِ» «الصَّوْمُ جَنَّةُ الصَّوْمِ جَنَّةٌ» *

(٢٤) (الاعتكاف لقوله تعالى (وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) (١)) *

الخاء واللام معناه تغير رائحة الفم أكثر فواحا من رائحة المسك المنذوبة
في الجمع والاعياد وسائر المجتمعات الخيرية أى أن الصوم فضيلة لاتوازيه
فضيلة لانه قد يكون سببا في كثير من الاعمال لان الصوم قلنا يهذب النفس
فاذا لم تكن النفس مهذبة فلا خير في اجتماعاتنا بل قد تكون ضرا
ووبالا على المجتمعين واداة للفساد يحرمها الاعداء حسب اهوائهم ومنافعهم
ولما كان الصوم له هذا الفضل حسب المقصد والنتيجة فانه أفضل لانه
مقصود لذاته ولغيره *

(١) قوله : الاعتكاف الإقامة في مسجد بنية مخصوصة وانه من
الشرائع القديمة بدليل الآية (ان طهرا بیتی للطائفین والعاکفین والركع
السجود) ولم يبرح معمولا به الى زماننا هذا إلا انه أصبح اعز من الكبريت
الاحمر لاتجد من يعمل به الا نادرا حتى الذين يظهرون بمظهر الصلاح
والعبادة ويواظبون على السنن واحياء ما اندثر منها وقد لاتجد من يعرف
هذا الاسم بين معظم العوام لانه صار مهجورا لا يألف اليه أحد *

قديقولون : ان الناس يعيروننا اذا تجردنا لعبادة ربنا ليت شعري هل هذا
الاوسوسة او تلبيس من إبليس كما يقوله العلامة الحافظ ابن الجوزي ؟
لانه اعترف بأن عيب الناس له أشد من عذاب الله أو أن التجنب عنه
أكثر فائدة من ثواب الله عز وجل *

لقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله كما رواه البخارى
 عن أبى سعيد الخدرى: «لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع
 حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قلنا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟»
 على طريق الاستفهام الانكارى أى ليس المراد غيرهم . ولا ريب أن
 الجماعة الذين يتركون أحكام دينهم خشية من كلام أهل الكفر يخشون
 سيوفهم أكثر وأشد وتصدق عليهم آية (إذا فريق منهم يخشون الناس
 كخشية الله أو أشد خشية) ولا يخجلون من قولهم : انا نستحي من
 الناس ولا يستحيون من الله . (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله
 وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا
 ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة
 أم من يكون عليهم وكلا) لو أنصف الرجل لعلم أن المعيب اما أن يكون
 كافرا وهذا لا يكثر بقوله لانه لا يريد منك الاسلام ايرضى منك عن
 احكامه (وان رضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم) فان كنت
 تقصد بهذا مرضاتهم فقد تمسكت بأذيال المستحيل وخيال الأوهام وان كان
 مدعى الاسلام فاما أن يكون جاهلا للحكم فتعرفه به ويستقبله به ببشاشة
 وطمانينة وان كان عالما ويزجرك عن ارتكاب المشروع لنفسك فانه زنديق
 مارق عدو للاسلام فى ثياب ابنائه فلا حكم له ولا عبرة به وان اذاعة امره
 بين المسلمين للاجتناب منه ومن دسائسه من اشد العقوبات له اذ انه يستغل
 الاسم فيتاجر به لاعداء الدين *

والاعتكاف حكم شرعى له فوائد جمعة فقد قلنا ان للصوم فوائد ومنها
 قمع شهوة النفس فقد يحوز ان المرء يبقى فى وساوس مرتقبا الليل ليستفيد
 فى ترك نفسه ترتع فى الأكل والشرب والنكاح ولا يجدها الصوم فائدة
 تامة فى الرجوع الى الأدب المطلوب منها فشرع الاعتكاف لتأديب نفوس

وَلَحَدِيثَ عَائِشَةَ فِي الصَّحِيحِينَ «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تُوَفَّاهُ اللَّهُ ثُمَّ اعْتَكَفَ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ مِنْ بَعْدِهِ» * (١)

الذين لم يتأثروا من الصوم اوان نفوسهم البهيمية وان ضعفت فهي لا تبرح قوية ، فالاعتكاف آخر العلاجات التي تنزيل تلك الامراض ، وفيه انصراف عن الخلق الى الحق ليعبد الله متجردا عن العلائق والعوائق ، فهو اذن مفيد لكل واحد من اى الطبقات كان لان فيها درءا لمفاسد النفس وجلبا للمنافع الدنيوية والاخروية والثواب ورضاء الباري تعالى ولذلك كان يواظب عليه رسول الله ﷺ ولا يتركه لما فيه من القوائد والمنافع العظيمة *

(١) قوله كان يعتكف العشر الاواخر فيه إشارة الى أن الصيام يمرن النفس على ان تألف العبادة فلها مضى عليها عشرون يوما وعلمت ان ليس في مقدورها لفساد المسلم صيامه رضخت واستكانت فيترقى بها الى ان يجمع عليها الليل والنهار وتنفرغ للعبادة بصورة جدية لأنها لو كلفت بهذا في اول الامر قد يأبى من كان ضعيف الرأى غير حازم اوان الشىء الثقيل قد لا يستطيع المرء تحمله لأول وهلة فيحصل عكس المطلوب ولكن التكليف التدريجى يسوق النفس الى القبول مرغمة أولا ثم الاستلذاذ به حتى تتطلب زيادته لأن العبادة وان كانت في اول الامر ثقيلة وكبيرة الا على الخاشعين فهي في آخر الامر لذة ونشأة لا يريد تركها ، فكان اعتكاف الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله تعليما لنا كيف يجب ان نمرن نفوسنا على عمل الخير والرضوخ الى الحق . وكان (٥٢ — مختصر شعب الايمان)

وَلَمَّا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ «قَالَ : مَنْ أَعْتَكَفَ فُوقَ نَاقَةٍ فَكَأَنَّمَا
 أَعْتَقَ نَسَمَةً أَوْ رَقَبَةً» * (١)

يُداوم عليه صلى الله عليه وسلم في كل عام لأن الإنسان لا يسوغ له أن يترك نفسه حسب هواها بعد أن جربها فطاوعته مرة أو مرتين بل عليه أن يتعهدا في كل عام على الأقل مرة لتبائن من الأمانى التي يوسوس بها الشيطان من احتمال تغلبها على الروح واليأس إحدى الراحتين فيزول الخصام ويسود الوآم وهذا هو المطلوب *

(١) قوله فُوقَ نَاقَةٍ الخ الفواق بضم الفاء وهو الزمن الواقع بين الحلبتين ، وقوله فكأنما أعتق رقبة وذلك لأنه اعتق نفسه في الاعتكاف من رق النفس والشيطان والهوى لأن هؤلاء يدعون إلى كراهة العبادة ويرغبون في الانهماك في شهوات البطن والفرج واللسان لأن جلوسه للعبادة في المسجد المعد لذلك يمنع من إطلاق لسانه في غير مالا يعنيه مما لا يوافق الشريعة والوطء يحرم على المعتكف فلم يبق إلا الأكل وهذا فيه خلاف بين المذاهب فالحنفية يشترطون الصوم لتزول الوسائل كافة والشافعية لم يشترطوا ذلك وقالوا إذا منعنا لسانه وفرجه فإذا ملا بطنه يكون وبالا عليه نعم السنة أن يصوم أى أنه يؤجر لا أن الاعتكاف لا يصح بدون الصيام واستدلوا على ذلك بحديث عمر رضى الله عنه «أني نذرت أن أعتكف ليلة في الجاهلية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أوف بنذرك» ولو كان الصوم شرطاً فيه لم يجزه بالليل وحده اهـ مذهب *

فتأمل كيف أن نذراً لا اعتكاف الواقع في زمن الجاهلية وفترة الرسل يكلف الشارع الناذر بادائه والمسلمون الذين كان نبيهم عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام يلزمه لا يفعلونه ولا يهتمون به كأن الدين عبارة عما تجدد النفس

(٢٥) الْحَجُّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ
إِلَيْهِ سَبِيلًا) وَقَوْلُهُ (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ
ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) وَقَوْلُهُ (وَاتَّخِذُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ)

فيه لذتها والآنكى من هذا أن الذى يزعم الانتصار لسنة فعلت مرة
أو مرتين ينادى بلزوم أحيائها وإقامتها ولكن سنة داوم عليها الرسول
الأعظم صلى الله عليه وسلم حتى توفاه الله تعالى تصبح مهجورة غريبة
لا تعبد من يتعدها ولا من يلتفت إليها اللهم الا اذا كان على طريق الندرة
والشدوذ فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم *

وقول المصنف رحمه الله تعالى : ولما روى النخ يشير الى ضعف الحديث
لأنه أخرجه العقيلي فى الضعفاء من حديث أنس بن عبد الحميد عن هاشم بن
عروة عن أبيه عن عائشة بلفظ «من رابط» بدل «من اعتكف» وأنس هذا
منكر الحديث، قاله الحافظ ابن حجر فى التلخيص *

الحج فى اللغة كما قال الخليل : كثرة القصد الى من يعظمه ،
وقال ابن قتيبة : حج البيت مأخوذ من قولك حججت فلانا اذا عدت اليه
مرة بعد مرة فقليل حج البيت لأن الناس يأتونه فى كل سنة ، وقيل لأن
الناس يعودون الى البيت بعد التعريف يوم النحر ثم يعودون اليه لطواف
الصدر ، وقال الجوهري : حج بنو فلان فلانا اذا اطلوا الاختلاف اليه قال
هذا الاصل ثم تعورف استعماله فى القصد الى مكة للنسك اه ، ويقال
حج يحج بضم الحاء وكسرها ورجل حاج وقوم حجاج وحجيج وحجج
بضم الحاء كنازل ونزل ونسوة حواج غير مصروف ، والحج بفتح الحاء

وكسرهما المصدر وكذلك الاسم بفتح الحاء وكسرها المرة الواحدة من الحج
والاكسر الكسر والقياس الفتح *

واما معناه في عرف الشرع فهو قصد بيت الله الحرام لأداء عبادة مخصوصة بزمن
مخصوص وهو احد عمد الاسلام واسسه التي بنى عليها فرض عين بالاجماع
معلوم من الدين بالضرورة وهو الركن الاعظم الذي يدرك على الاسلام والمسلمين
الفوائد الجمة لانه منتهى الامور الاجتماعية فان الاجتماعات تبتدىء في صلاة
الجماعة بالصلوات الخمس ثم تصعد الى صلاة الجمعة حيث لا تكون إلا المساجد
الكبيرة وفيها الخطبة الموضوعية لتذكير الناس عيوبهم المسببة لاختطاطهم
ولتبيان ما يحتاجون اليه فقد تنتشر المضرة ولا يدري العوام عنها شيئا حتى
تحدث امراً عظيماً وتنتج ضرراً كبيراً وتفهيم كل فرد على حدة شاق جداً ولكن
الخطيب يستطيع ان يفهم الناس عنها في مرة واحدة فتنتشر في جهات المدينة
وبعد الجمعة صلاة العيد حيث يجتمع القرويون واهل البلاد فيحصل
التعارف والتآلف والتناصح والتوادد وفيها الخطبة المعدة لبيان حاجات
الامة من تفجير من مكروه او تشويق الى امر مطلوب . *

ولكن مع الاسف ان اصبح سقوط الاخلاق فاشياً الى درجة يخجل
الانسان من التصريح بها ولا سيما في البلدان الواقعة تحت الحماية
او الانتداب فان الخطيب لا يكاد يتم خطبته الا وصورته قد أصبحت
منقولة بالحرف في دوائر الاستخبارات والاستعلامات بل قد تنتشر في
الازقة لأجل تعميم الفكرة ليت الامر كذلك فان هذا حسن جداً
وهو الغاية ولكن لأجل نقد الخطيب والتشجيع عليه وابلاغ ولاية الامر
بواسطة الاشاعة ان هذا رجل يخدم دينه وأمة فيجب اضراره والايقاع
به وذلك بواسطة الطوائف المختلفة حتى أنهم يعلمون عن شؤوننا أكثر
من معظم اصحابنا وأما ما يقع في كنائس النصارى وفي بيع اليهود وفي

وَلَحْدِثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحِينَ «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى
خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ
وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَحُجِّ الْبَيْتِ» *

نوادى المبشرين فذلك لا وصول الى العلم به الا بصعوبة ولم نعهد مسيحيا
او يهوديا اذاع للمسلمين عورات قسسمهم وأحبارهم فكان المسلمون ناقدون
على الاسلام يريدون القضاء عليه بسرعة، أقول وهذا ليس فعل المسلم لأن المؤمن
لا يفعل ذلك أصلا لأن الانقياد الظاهر لا قيمة له وإنما الاصل على ما يحويه
الفؤاد من الاخلاص والايقان ان ما ذكرناه لا يتجاوز المقاطعة الواحدة
ولكن الاجتماع الاكبر هو الحج الذي يجتمع فيه كل المسلمين بواسطة
تمثيلهم فلا يمكن ان يوازيه تعارف اذ لو صرف الانسان المبالغ الطائفة
وساح السنين العديدة لما قدر أن يدور هذه البلدان الكثيرة ولما استطاع
أن يقف على نواياهم كما يعرب عنها ابن المحل الذي عاش فيه وخبره وذلك هو
الهدف المقصود من الحج حيث يحصل التعارف ويكون معرضا اكبر
للمسلمين يتشاكرون ان كانوا في ضيم فيوحدون المسعى ويجمعون الكلمة
المتفرقة ويهيئون للعدو الاستعدادات التي تمنعه من دخول البلاد او تمزق
شملة في بلاد اذا حدثته نفسه باضرار المسلمين وما وجد في مدينة يذبح
بين المسلمين كافة من علم ورأى صائب وعمل نافع وصناعة مقبولة وفن
مستحدث واتحاد جميل، وهذه هي المنافع التي اشار اليها قوله تعالى (ليشهدوا
منافع لهم ويذكروا اسم الله) فقد جعل فوائد الحج عبارة عن شهود المنافع
وذكر الله تعالى وقدم شهود المنافع لأنه اقدم ولقوله صلى الله عليه وسلم
كما رواه الدارقطني عن جابر «ابدؤا بما بدأ الله به» ولأن ذكر الله المحض

وَحَدِيثَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ
عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ مَا الْإِسْلَامُ؟
قَالَ إِنْ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَأَنْ تُقِيمَ الصَّلَاةَ

لاَ زَمَنَ وَلَا مَكَانَ وَلَا صِفَةَ لَهُ قَالَ تَعَالَى «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا
وَعَلَى جُنُوبِهِمْ» فَاذْنِ الْغَايَةَ هِيَ الْمَنَافِعُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا حَيْثُ تَظْهَرُ فِيهَا
شَوْكَةُ الْمُسْلِمِينَ بِاجْتِمَاعِ جُنُودِهِمْ وَبَيَانِ قُوَّتِهِمْ لِأَنَّ الْحُجَّ لَا يَذْهَبُ إِلَيْهِ إِلَّا
الْمُسْتَطِيعُ الصَّحِيحُ الْوُجُودُ قَالَ تَعَالَى (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا)
فَالْحُجَّ هُوَ قُوَّةُ الْمُسْلِمِينَ الَّتِي يَرْكَنُونَ إِلَيْهَا وَالْأَمَلُ الْقَوِيُّ فِي الْوُصُولِ إِلَى
النَّجَاحِ بِسَبِيلِهِ ، وَهَذَا لَا يَخْفَى عَلَى أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ لِذَلِكَ تَجِدُ الرُّؤَسَاءَ
الْمَغْتَصِبِينَ وَالْحَاكِمِينَ الْبِلَادَ بِسَيِّطَرَتِهِمُ الْغَاشِمَةَ وَاسْتِبْدَادَهُمُ الْفُظْيَعِ يَضْعُونَ
الْعَرَاقِيلَ الثَّقِيلَةَ وَيَشْدُدُونَ عَلَى الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يَرِيدُونَ إِدَاءَ الْحُجَّ لِأَسْمَا
إِذَا كَانُوا مِنْ فُقَهَاءِ الدِّينِ وَعَرَفُوا حِكْمَةَ مَشْرُوعِيَّتِهِ وَلَهُمْ غَيْرَةُ عَلَى دِينِهِمْ وَحُبُّ
لَا مَتَّهِمٍ ، وَلَوْ ذَكَرْنَا جَزَائِثَ ذَلِكَ لَبَلَغَ الْبَحْثُ مَجْلِدَاتٍ وَيَدْرِي ذَلِكَ كُلُّ مَنْ
تَجَرَّعَ غَضَصَ الْإِمَّةِ وَرَأَى الْإِهَانَاتِ وَاخْتِلَاقَ الْأَسْبَابِ تَارَةً بِاسْمِ الضَّبْطِ
وَالْإِنْضِبَاطِ وَمَرَّةً بِاسْمِ الصَّحَّةِ وَالْحِفَافَةِ عَلَيْهَا وَآخَرَى بِاسْمِ تَحْقِيقِ الْهُوِيَّةِ وَتَطْبِيقِ
الْجَوَازِ الَّذِي لَا يَتَحَصَّلُ عَلَيْهِ إِلَّا بِشَقِّ الْإِنْفَسِ وَآخِرًا يَمْنَعُ الْحَاجَّ مِنْ
رُكُوبِ بَاخِرَةٍ غَيْرِ الَّتِي تَخْصَصُهَا لَهُ حُكُومَتُهُ وَلَا حَاجَةَ لِبَحْثِ أَمْرٍ مَعْلُومٍ
يَعْرِفُهُ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ *

وَرَغْمَا عَنْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ أَهْمَلُوا حِكْمَةَ هَذَا الزَّكْنِ الْإِسَاسِيِّ لِلْإِسْلَامِ
وَأَنَّ أَعْدَاءَ الدِّينِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ ذَلِكَ فَانْ جَيْشَ الْجَوَاسِيسِ الَّذِي يَحْجِجُ
لِنَقْلِ الْأَخْبَارِ وَتَحْرِيرِ بَابِ الْعِلْمِ وَالنَّهْيِ وَالدِّينِ لَا يَسْتَمْتَعُ بِعَدَدِهِ وَبِمَا يَخْتَلِقُهُ

وَتَوَقَّى الزَّكَاةَ وَتَحَجَّ الْبَيْتَ وَتَعْتَمِرَ وَتَغْتَسِلَ مِنَ الْجَنَابَةِ وَتَمَّ الْوُضُوءَ
وَتَصُومَ رَمَضَانَ قَالَ فَإِنْ فَعَلْتَ هَذَا فَأَنَا مُسْلِمٌ قَالَ نَعَمْ قَالَ صَدَقْتَ
فَذَكَرَ الْحَدِيثَ *

من الآفك وقول الزور والباطل مندفعاً بالحقد أو الطمع *
نعم أن أعداء الدين يعلمون ذلك لأن الذين يدعون الزعامة في
العلم والرأى وأن لهم حقاً في السيادة قولاً وعملاً حججهم أوروباً ليتعلموا
هناك الوسائل التي تورث محو الاسلام أو توجب انتشار فساد الاخلاق
والعقائد الزائفة أو تقتضى تفريق كلمة المسلمين أو تغيير ما يأمر به الدين
من الاتحاد والوفاق وحب الخير وعمله والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر بحيث ينشرون انواع الدسائس وأصناف المكر والخداع وضروب
الاحاد والسفاهة *

والانكى من هذا ظهوا بهم لاجل العلم والتحصيل فكأن العلم عبارة
عما ذكرنا من النقائص والذائل . انالله وانا اليه راجعون *
ان نصف المصاريف التي يبذلها المتزعمون لاوروباً بسخاء يكفي لإنشاء
أكبر جامعة اسلامية تنشر العلم النافع ويحفظ الدين والاخلاق من الضياع
ولكن هي النفوس الخبيثة لا تريد الا المغازلة والمعاورة واطلاق السراح
لشهواته التي يمنعها الدين من وجهه لهذا يعاديه ولا يذهب لاداء الحجج الا
اذا صار الحجاز والعياذ بالله تعالى مباحاً لما يشتميه ونعوذ بالله من هذا
الامر الذي تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا
ويرحم الله الشيخ الجنيدى حيث يقول في تأييده الملاحظة المنشور بآخر
كتابه أصدق النصائح *

وَرَوَى عَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ مَنْ لَمْ يَحْبِسْهُ مَرَضٌ
أَوْ حَاجَةٌ ظَاهِرَةٌ أَوْ سُلْطَانٌ جَائِرٌ وَلَمْ يَحْجَ فَلْيَمِيتْ أَنْ شَاءَ يَهُودِيًّا وَأَنْ شَاءَ
نَصْرَانِيًّا * (١)

سلوا الفقيد أطاف البيت محتسبا أم زار مسجد طه كالذي زاروا
كلا ولكنهم زار عاصمة نرنو لخرقها القينات أبصار
وهذا مرض فتاك كل من رأى البلاد الشرقية لا تزال ناقصة في الفساد
الذي نشرته بيننا الغرب رأسا وبالواسطة يجمع له نقودا ويذهب لاوروبا
ليرتع كالبهيمة في شهواته ويدعى الزعامة في العلم والوطنية اذ يقال تكلم
مع الزعيم الفلاني وحضر في المنزل الفلاني وتناول الشاي في المقهى الكبير
وحادثه صاحب الجريدة وكتب شيئا يطعن في امته فحققت له الزعامة لانه
لا يقدر عليها في بلاده فهو يذهب ليشتريها ويقال عنه رجل مفكر حر صريح
الرأي اذ اذا كان آلة لبيع امته في ثمن بخس بسوق كاسدهو اعطاؤه لقباً او السماح
له بمقابلة احد العظماء او ارسال بطاقة تهنئة له . الا قاتل الله الجمل وعلى
كل وان طال الزمان فالحق سيظهر واضحا الا ان حزب الله هم الغالبون *
(١) هذا الحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، وقال العقيلي
والدارقطني لا يصح فيه شيء قال الحافظ العز بن جماعة في كتابه - هداية
السالك الى المذاهب الأربعة في المناسك - : رواه الدارمي في مسنده .
والدارقطني والبيهقي وقال ان اسناده وان كان غير قوى فله شاهد من
قول عمر ولم يسمع منه وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه
ان يموت يهوديا او نصرانيا وذلك ان الله تعالى يقول : (والله على الناس

حج البيت من استطاع اليه سبيلا » رواه الترمذى باسناد ضعيف بين
 ضعفه ، ولا التفات الى قول ابن الجوزى انه حديث موضوع فان الترمذى
 قال : ان كل حديث فى كتابه معمول به الا حديثين وليس هذا احدهما
 والله اعلم ، وقد حمل جماعة من العلماء الحديث على الزجر والتغليظ بمعنى
 ان فعله أشبه فعل اليهود والنصارى ، وقيل محمول على المستحل فيكون
 بذلك كافرا اه ، وقال الحافظ ابن حجر فى التلخيص بعد ما أورد
 له طرقا اربعة احدها موقوف كل منها لا يخلو عن ضعف قلت : واذا انضم
 هذا الموقوف الى مرسل ابن سابط علم ان لهذا الحديث اصلا ومحملة
 على من استحل الترك وتبين بذلك خطأ من ادعى انه موضوع اه *
 وقوله صلى الله عليه وسلم « فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا »
 لأن ترك ركن من أركان الاسلام يشبه بالخروج عن الملة ، وإنما شبه
 تارك الحج باليهودى والنصرانى وتارك الصلاة بالمشرك لأن اليهود
 والنصارى يصلون ولا يحجون ومشركو العرب يحجون ولا يصلون *
 (فائدة) الحج لا يجب فى العمر إلا مرة واحدة ونقل ابن المنذر الاجماع
 على ذلك ، وفرض سنة ست من الهجرة ، وقيل سنة خمس ، وهل كان
 واجبا على الشرائع قبلنا أو هو مختص وجوبه بهذه الأمة ، حكى الامام
 نجم الدين ابو داود سليمان بن خليل الشافعى المسكى فى مناسكه الكبرى
 وجبين وقال : إن الصحيح أنه لم يجب إلا على هذه الأمة وفى ذلك نظر
 وأهل الجاهلية قبل البعثة كانوا يحجون وكان الحج أصل دينهم ولكنهم
 خلطوا أعمالا ماهى مأثورة فى الحج عن ابراهيم عليه السلام وانما هى
 اختلاق منهم وفيها إشرارك لغير الله كتعظيم إساف ونائلة صنمان
 وكالاهلال لمناة الطاغية . وكقولهم فى التلبية لا شريك لك إلا شريكاهو
 لك . وأعمالا انتحلوها فخرا وعجبا كقول خمس نحن قطان الله فلا

﴿ ٢٦ ﴾ الْجِهَادُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ) (١)

نخرج من حرم الله . وكذكركم آباءهم أيام منى وكاجتنب المحرم دخول البيوت من أبوابها وكانوا يتسورون من ظهورها . وككراهيتهم التجارة موسم الحج . واستجبابهم أن يحجوا بلا زاد ويقولوا نحن المتوكلون الى غير ذلك وقد نهى الشارع عنها كلها وجاء بما هو أسوأ رفق بحال الناس والله اعلم .

(١) قوله الجهاد هو الدعوة الى الدين الحق والقتال مع من لا يقبله فهو آخر علاج يستعمله المرشد في اصلاح المجتمع الذى طرأ عليه الفساد او اصابه الخلل كمثّل المريض الذى أشرف على الهلاك ولم يرض باستعمال العلاج النافع بأنه يحير على تجربته قهراً عنه كي يصح ويذول الالم عنه فيبقى عضواً نافعا في المجتمع الانساني ولا يبرح شاكر له نعمته عليه حين الشفاء بعد ان كان يكرهه في قلبه وكذلك الجهاد فانما ابيح لوقوفهم في سبيل نشر الدعوة الى الله فكان دفاعاً عن حى الاسلام الذى تعرض له الكفار مرات عديدة يريدون رفعه من عالم الوجود ولما رأوا انه قوة الهية وسطوة ربانية وقفوا قليلا واعدوا جموعهم ليفتكوا به فتكثرت لبقى للمسلمين باقية وهذا ماحدى الخلفاء الراشدون الى ارسال الجيوش متتابعة ويقبلون منهم الاسلام او انهم يؤدون الجزية ويعترفون بالطاعة فلا تحذتهم أنفسهم بالظلم والغدر .

فالجهاد امر لا بد منه للامة تجاه العداء المستحكم حسب الاختلافات والحزازات رغم ما يدعون ان العصر الحاضر يتطلب الاخوة والمساواة مع ان الاخوة والمساواة نعمة لخداع الشعوب الضعيفة وقائلها لا تتجاوز حنجرته ، من المعلوم ان الاسلام يدعو الى الاتحاد والمساواة فجعل الذى

(يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ) (قَاتِلُوا الَّذِينَ

كُفَرُوا بِالدِّينِ وَهُمْ الْعَدُوُّ لِلَّذِينَ آمَنُوا) (قَاتِلُوا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالدِّينِ وَهُمْ الْعَدُوُّ لِلَّذِينَ آمَنُوا)
 كالمسلم في الاحكام يقتل به الحديث «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» ولما اهملوا
 امر الجهاد ولم ينظروا لامر العدو ولم يرقبوه فكانت النتيجة ما نراه
 اليوم من جعل الاسلام بل الشرق بأسره تحت حكم الغرب او طوع اشارته
 يفعل فيه ما يشاء ويريد، وما أمر مصر. وسورية. وفلسطين والعراق ببيعيد،
 ان قتل النفوس امر عظيم ولكن اصلاح المجتمع امر اعظم منه وأهم فكم
 ان الطبيب الحاذق لا يتأخر عن قطع عضو فاسد يخشى منه سريان المرض
 الى بقية الجسم فيسبب موته كذلك الجهاد اذا كان سببا في موت اناس
 فهو يسبب حياة آخرين حياة سعيدة. وعلى الأقل يحتفظ في إصلاح
 الأطفال وتربيتهم تربية تعود عليهم بالنفع الجليل .

هذا في الجهاد البدني للكفار وبقي للمسلمين جهاد ايسر على مراتب ثلاثة
 وهى ازالة المنكرات بالبدن ثم بالقول ثم بالقلب بأن يكره صاحبها
 ويوجد جهاد كبير وهو إصلاح النفس فان هذا أهم الجهاد لان الجيش
 الذى يتشكل من نفوس غير صالحة كيف يرجى منه الاصلاح ؟ لاريب
 انه يظهر عند المقدرة ما تنطوى عليه نفسه الخبيثة من المنكرات .

فاذن أعظم الجهاد إصلاح النفس وتربيتها على الفضائل والمزايا الكاملة
 واجتناب كل فعل قبيح ، وهذا الجهاد هو الذى يعوز المسلمين اليوم فقد
 يتحرون وسائل كثيرة للاصلاح ولا يمكن أن تتم مادام من يقوم به
 غير صالح لان الماء القذر لا يزيل القاذورات بل اذا كانت النجاسة لم
 تصب بعض المحلات يكملها هو بالتلويث والافساد فلا يمكن نجاح أمر
 إلا بمجاهدة النفس وتعويدها على اجتناب المحرم والمكروه واتباع
 المفروض والمستحب .

يُلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً (١) (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ) * (٢)

(١) قوله وليجدوا فيكم غلظة وذلك ليعلموا أن لكم بأسا شديدا وأن عندكم قوى عظيمة لا تبالون بهم ولا بجموعهم . ولأن الرفق بالعدو تسليم النفس له يفعل فيها ما يريد ما عدا أنه يطمعه ويجعل قواه المعنوية تزداد فيدوم الحرب بخلاف ما إذا رأى خلاف ذلك فإنه يوهن عزمه فيضطر إلى التسليم وإلقاء السلاح وهذا هو المطلوب .

(٢) قوله حرض المؤمنين على القتال أي حثهم على القتال بكثرة التزيين وتسهيل الخطاب فيه حتى أنه الأصل حتى لا ينفروا منه وكان هذا رخصة نعمة تجاه ما لا قوا من الكفار من العذاب المتنوع والاضطهاد المختلق بسبب تمسكهم في دينهم ثم لما انتشر الإسلام أيسحت محاربة الذين يقفون في سبيل الدعوة الإسلامية وأما الذين لم يعارضوا الإسلام فأولئك يقال لهم لكم دينكم ولي دين ماداموا لا يضمرون للمسلمين عدا ولا سوءا ولا فإن دين الإسلام هو دين الهداية والارشاد لا يجبر الناس على تعاليمه التي يقبلها العقل السليم ويستريح لها فؤاد المدرك الأديب قال تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم)

ان دين الإسلام أباح محاربة الذين لا يرضون مقارعة الحجة بالحجة ولا يفهمون الدليل ولا يصغون إلى البرهان الواضح بل يزيدون بقوتهم وسفاهتهم أن يزيلوا الإسلام أو ينالوا منه نيلا وهؤلاء جوزوا من جنس عملهم لأنهم لا فائدة في إصلاحهم إلا بالقوة لبعدهم عن المعقول والتعقل

وَلَحْدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 الْأَعْمَالَ أَفْضَلَ قَالَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَقِيلَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ الْجِهَادُ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ قِيلَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ حَجَّ مَبْرُورٌ (١)

دين الاسلام ليس دين الحرب . وإنما هو دين الهداية والحرب آلة
 من الآلات التي لا تستعمل إلا عند الضرورة بشهادة أن رسول الله صلوات
 الله وسلامه عليه وعلى آله لما قهر قريشا عدة مرات ويوم الحديبية بايعه
 اصحابه على الموت وطلبت قريش الصلح على أن يعود من حيث أتى ويعتمر
 في العام القادم فرضى بالصلح واعتمر عمرة القضاء بعد أن كان من النصر
 وغلبة قريش على قاب قوسين أو أدنى فهل بعد هذا يشك أحد بأن
 الاسلام يريد الحرب إلا لكونه غير مقصود لذاته .

وأشبه بهذا ما فعله الملك ابن السعود حين حارب الامام يحيى ملك اليمن
 واستولى على الحديبية وكان النصر حليفه فطلب الامام يحيى من الملك ابن السعود
 الصلح فأجابه بدون شرط ولا قيد حقنا لدماء المسلمين وحرصا على السلم
 التاريخ شاهد بأن الدين الاسلامي لم ينتشر الا من طريق الهداية
 والارشاد لان الانصار لما أسلموا كان المسلمون مستضعفين لاحول لهم
 ولا طول وكان معظمهم يتحمل أنواع العذاب من ضرب وجرح وحبس
 واصطلاء بالرّمضاء في حين أن الاسلام ينتشر بسرعة هائلة في ربوع
 المدينة بين الاوس والخزرج أنصار الدين وحماته . نعم ينتشر بسرعة
 فان بنى عبد الاشهل سادات عشيرة الاوس أسلموا في يوم واحد ولم
 يكن في المدينة الا مصعب بن عمير يعلمهم التوحيد والقرآن والاحكام الالهية
 (١) قوله أى الاعمال أفضل ؟ قال الايمان بالله تعالى ورسوله لانه

وَحَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ
لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمْهُمْ فَأَصْبِرُوا وَاعْلَمُوا
أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ * (١)

لا يصح بدونه عمل أصلاً قال تعالى (أولئك الذين كفروا بآياتِ ربهم
ولقاءه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً) ورواية ورسوله
موجودة في صحيح مسلم وهي رواية محمد بن جعفر وقوله ثم الجهاد في
سبيل الله وهو يشمل القتال لاجل الدعوة الدينية وقتال النفس لجلبها الى
المنهج السوي والصراط المستقيم فيشمل أنواع العبادات من صلاة وصوم
وزكاة لان فيها من المجاهدة مما لا يحتاج الى اقامة برهان لوضوحه وظهوره
وقوله « حج مبرور » هو الذي لم يخالطه شيء من المآثم وخض الحج لما
فيه من مشقة التعب وبذل المال للنفقات ومشقة الفراق التي هي أصعب
أنواع الآلام النفسانية حتى قيل فيها .

لولا مفارقة الاحباب ما وجدت لها المنايا الى أرواحنا سبلا
(١) قوله « لا تاتمنوا لقاء العدو » برهان واضح على صحة ما قلناه من أن دين
الاسلام دين الفطرة وأنه لم يقبل الحرب الا للضرورة فمن قوله صلى الله
عليه وعلى آله وسلم يتبين للمنصف أن الحرب الذي أجازته الشريعة
الاسلامية عبارة عن عملية جراحية يحتاج اليها لشفاء المريض أشفق
الاطباء وأرحمهم به اذ يعملها لاختيه وابنه وأعز الناس لديه وقد يختارها
لنفسه فاذا هي ضرورة والضرورة تقدر بقدرها وقوله « فاصبروا واعلموا
أن الجنة تحت ظلال السيوف » أي حيث يرجحون الحياة الباقية
على الحياة الفانية ويعلمون أن الموت أمر لا بد منه ولا من تجرعا منه

فلا الحرب يقصر الاجل ولا الجبن يبعده (أينما تكونوا يدر ككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) فالجنة تحت ظلال السيوف نظرا لعظم المبذول لان الانسان لا يملك شيئا في الحياة أعظم وأعز وأكرم وأعلى من الحياة فاذا بذل نفسه مرضاة لربه فأصبحت الجنة قريبة اليه أقرب من كل شيء ما بينه وبينها إلا الموت لانها تحت ظلال السيوف إن مات و محفوظا له ان عاش ويبقى سعيدا في دنياه وآخره .

ولا يخفى أن الجهاد كما أنه من الايمان فتعلم وسائله من الايمان قطعا لان ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب فيفترض معرفة كل أسباب الحرب والآلات المستعملة فيه لان من يحارب ولا يتقن الحرب لافائدة فيه مقصودة للامة اذ قد يكون ضررا ووبالا عليها بخلاف مالو أجاد الرماية وعرف فنون الحرب وأساليبه وعلم مراوغات الاعداء وكيفية الخداع وطرق الرماية وصورة تعبئة الجيش والتمرن على الطيران . والوقاية من الغازات الخانقة والسامة وغير ذلك من الآلات المهلكة الحديثة فان القوة الصغيرة تستطيع مقاومة القوة الكبيرة اذا كانت غير منظمة لان عدم الانتظام سبب قوى في الفشل والخذلان .

ومن دسائس الاعداء تنفيرهم المسلمين من الجندية واراثنهم اياها بالشكل المكروه المنفر والا فان الامة التي تعرف قدرها ولها أمل في تقدمها ورقبها ونيل استقلالها ومضاهاتها لدول العالم القوية الراقية تقبل بكل سرور على الجندية والفرد الذي لا يدخلها المعذرة مشروعة يعد نفسه حقيرا ناقصا أو عضوا أشل في جسم الامة ويجب أن يرى ذلك اليوم يوم خلاصه من القرعة يوم حزن وأسف ويوم مصيبة وشقاء حيث يقوى العدو بنقصان شخص منا يقف تجاهه يوم تشتعل نار الحرب لانا أصبحنا في عصر الحرب فيه يكون بالعلم فقد يجوز أن شخصا واحدا اختصاصيا

(٢٧) المُرَابَطَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ) (١)

وَلِحَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ
رَبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَمَوْضِعٌ سَوِطٍ أَحَدُكُمْ
مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا (٢) *

بِشْتُونَ الْحَرْبِ وَعِنْدَهُ اسْتِعْدَادَاتٌ يَمْنَعُ وَحْدَهُ كَأَعْظَمِ الْحَصُونِ مِنْ أَعْظَمِ
جَيْشٍ لِأَنَّ الْآلَاتِ أَصْبَحَتْ مَهِيئَةً مَنْظُمَةً إِذَا انْطَلَقَتْ رِصَاصَاتُ الرِّشَاشِ
وَاسْتَعْلَتْ نِيرَانُ الْآلَاتِ الْجَهَنَّمِيَّةِ الَّتِي يَدِيرُهَا شَخْصٌ أَوْ أَشْخَاصٌ قَلِيلَةٌ
تَعْتَقِدُ أَنَّ أَمَامَكَ كِتَابٌ عَدِيدَةٌ أَوْ حِجْفَلُ جَرَارٍ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَا صَنَعْتَ
إِيطَالِيَا بِالْحَبْشَةِ وَاتِّفَاقُ كَثِيرٍ مِنَ الدُّوَلِ ضِدَّهَا وَمَقَاطَعُهَا إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ
لَمْ يُوَثِّرْ عَلَيْهَا لِكثْرَةِ اسْتِعْدَادِهَا وَمَا لَدَيْهَا مِنَ الْآلَاتِ الْمُهْلِكَةِ بِسُرْعَةٍ وَلِذَلِكَ
فَمَا اغْنَتْ النُّذُرَ وَالْخُلَاصَةَ إِذَا وَجِبَ الْجِهَادُ تَجِبَ مَعْرِفَةُ مَا حَاجَّاجُ إِلَيْهِ وَتَعْيِينُ
الْمُقَدَّارِ الَّذِي يَكْفِي الْأُمَّةَ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الزَّمَانِ وَالْمَسْكَانِ *

(١) قَوْلُهُ الْمُرَابَطَةُ وَهِيَ مَلَازِمَةُ التَّخَوُّمِ لِلْوُقُوفِ فِي نَحْوِ الْعَدُوِّ وَحِفْظِ
تَعَوُّرِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَنْ تَدْخُلَهَا الْأَعْدَاءُ وَصِيَانَتِهَا مِنْ أَنْ تَمَسَّ بِأَذَى أَوْ تَعُدَّ
(٢) قَوْلُهُ رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لِأَنَّ الدُّنْيَا زَائِلَةٌ
لَا تَبْقَى وَلَا تَدُومُ فَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا مَلَكَ جَمِيعَ الدُّنْيَا وَتَصَرَّفَ مَتَلَذِّذًا بِنَعِيمِهَا
فَإِنَّهُ لَمْ يَحْصُلْ مِنْهُ وَبَالَ فَلَا خَيْرَ فِيهِ أَصْلًا وَالْإِنْسَانُ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ الْآخِرَةِ
وَهِيَ الْمَقْدَمَةُ الَّتِي تَتَّبِعُهَا الْآخِرَةُ وَعَلَيْهَا الْمَدَارُ فِي الْحِسَابِ وَالْعِقَابِ وَالثَّوَابِ
بَلْ فِي الْجَنَّةِ نَفْسُهَا فَإِنَّهَا وَإِنْ دَخَلَهَا بِفَضْلِ اللَّهِ فَإِنَّ أَقْسَامَهَا بِحَسَبِ الْأَعْمَالِ *

فكل ما ذكر من الدنيا فهو محمول على نعيمها الزائل ولنيتها الفانية
 فالاجر الذى يحصل من رباط يوم خير من الدنيا وما فيها بلا شك ولا شبهة
 لانه دائم باق عمل لوجه الله تعالى والاعمال تشرف بحسب من تعمل له
 والمراد من اليوم الزمن القصير فان المراقبة قد تكون ساعة واحدة فان
 الوقوف في وجه العدو ساعة واحدة تحت خطر هجومه أمر عظيم وبحسب
 عظمه يحصل الاجر والثواب . وقوله « وموضع سوط أحدكم » اختار
 ذكر السوط لانه أقل آلات الجهاد ومع كونه تافها له هذه القيمة الزائدة
 وفيه اشارة الى أنه ينبغي أن يكون الانسان على استعداد من انواع السلاح
 حتى السوط اذ قد يحتاج اليه لسوق دابة مثلاً في ساعة عسrfانه وان كان
 حقيراً لا يقوم السيف مقامه وفي هذا تعليم لنا بالزوم تهيئة الادوات التى
 يحتاج اليها المحارب وأدناها السوط الذى هو خير من الدنيا وما عليها،
 وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى قطعة من الحديث وتمامه « والروحة
 يروحها العبد فى سبيل الله او الغدوة خير من الدنيا وما عليها »

فالروحة هى السير فيما بين الزوال الى الليل والغدوة السير من أول
 النهار الى الزوال اى ان السير الى الحرب سواء كان قايلاً أو كثير الايوازى
 أجره شيئاً لانه الحافظ لـكيان الاسلام والسبب الذى يتوطد به الامن
 وتستقر السكينة ويستتب النظام ويعيش الناس فى سعة ورغد حيث تزول
 القلاقل ويستريح الناس من خوف مهاجمة العدو وتنكيله لا سمح الله
 لاسيما اذا استولى محتلاً شأن الغالب الظالم الغشوم ، وفائدة العدول عن
 قوله « وما فيها » الى قوله « وما عليها » هو ان معنى الاستعلاء اعم من
 الظرفية وأقرب فقصدته زيادة المبالغة .

وَالْمُرَابَاطَةُ تَنْزُلُ مِنَ الْجِهَادِ وَالْقِتَالِ مَنْزِلَةً اِلْعْتِكَافٍ فِي الْمَسَاجِدِ
 مِنَ الصَّلَاةِ ، لِأَنَّ الْمُرَابَاطَةَ يُقِيمُ فِي وَجْهِ الْعَدُوِّ مِثْلَ قِيَامِهِ مَتَابِعًا
 مُسْتَعِدًّا لَهُ (١) *

(١) قوله « والمرابطة تنزل من الجهاد منزلة الاعتكاف » ذلك لأن المعتكف يكون على استعداد للعبادة فلا يدخل وقت الصلاة الا وهو غالباً على استعداد لها فكذلك المرباط لا يبرح مستعداً لمناضلة العدو أو هجومه على غرة فهو عبارة عن الجهاد وزيادة حيث أن المجاهد يرقب عدوه عن كسب فيستعد له أما المرباط فانه لا يدري متى يرى العدو وغفلة فيطبق بمجموعه للتنكيل بالمسلمين واذا انهم والغاية بحسب النتيجة ففائدة المرباط اعظم لأنها دائمة والجهاد موقت وافضل الاعمال أدومها والمرباط اذا اغفل وظيفته وأهمل التعاليم الذي القيت اليه فان الامة تذهب كل قواها اذ لو حشد العدو جموعه وساقها دفعة واحدة والمسلمون على غير استعداد أما تكون النتيجة الخراب والدمار ومن درس التاريخ يجد معظم الوقائع المهمة كانت من هجوم العدو وخصمه غير مستعد فلولوا تفريق قوى بغداد ايام المستعصم بواسطة ابن العلقمي وهجوم هلاكو على البلاد وهى على غير استعداد وانتظام للحرب لما حصلت تلك الكارثة التى اضاعت مجد الاسلام منذ تلك الساعة التعيسة الرهيبة المؤلمة، وكذلك طرابلس حينها هاجمها الطليان على غرة من أهلها وهم في غفلة من مهاجمة العدو وغير استعداد برأى وجرافكان ما كان * اعتماد الامة عامة والجيوش المحاربة خاصة على المرباطين حتى أن الحرب اذا اندلعت ألسنة نيرانها فالعدو المماحل لا تبرح عينه على المرباطين كما وقع في غزوة احد فان الصحابة بينما كانوا غالبين وكان المرباطون للجيش يحرسونه من هجوم العدو من جهة الجبل خمسين رامياً والامير عليهم عبد الله بن

﴿ ٢٨ ﴾ الثَّبَاتُ لِلْعُدُوِّ وَتَرْكُ الْفِرَارِ مِنَ الزَّحْفِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى

جبير قال له انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا واثبت مكانك ان كانت لنا أو علينا وفي رواية ان رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم وإن رأيتمونا ظهرنا على القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا وهذا هو المراقبة بعينها فلما رأوا الغلبة للمسلمين تركوا مواقعهم ظنا منهم أن الحرب قد وضعت أوزارها فعاد فريق من قريش من المحل الذي لا أحد مرابط به الا الامير وأفراد قلائل ذبحوا فانكسرت المسلمين وانقلب الظفر عليهم بعد أن كان لهم *

من هذه الحادثة يتبين لك مزية المراقبة في الحرب وفي السلم وأنها الجهاد وزيادة لأنها دافعة في الحالتين للامان والظفر هـ

قوله « الثبات للعدو » أي حين اللقاء بآئ لا يهاب هجماته ولا يذترث بوثباته وليعلم المؤمن أنه على حق من ربه وان وعد الله حق وكان حقا علينا نصر المؤمنين وان الله لا يخلف الميعاد . وهذه الوعود اذا آمن بها الانسان عن اعتقاد ويقين جازم يعلم بأن مصيره الى النجاح والتوفيق لا محالة فاذا ثبت فقد حقق ما كان يعتقد مما وعد الله به في كتابه وعلى لسان رسوله . ولأن عدم الثبات يترشح منه أن الخصم على حقيقة من عمله وان الكافر على باطله أثبت عقيدة من المؤمن على حقه لأن الخطر محقق بالجانبين فمتى لم يثبت شهد عليه عمله أنه كان كاذبا في دعوى الايمان ووقوع الموت وأن الأجل مقدرة حيث اختار الحياة الموقته وافسح للكفر ان يستولى عليه ويتصرف فيه كما يشاء ويزيد على الحياة الفانية جعل دينه لا يساوى عيشا سافلا تحت ضغط الخصم وسلطة العدو ورحمة من يرى سفك دم المسلم شرفا له وفخرا هـ

وقوله « وترك الفرار يوم الزحف » بالواو وفي نسخة « بأو »
وهي على معنى الواو أي ان من الايمان ترك الفرار لما ينتجه الفرار من
انواع المضرات التي لا يستطيع القلم ان يفصح عنها وانما يدركها ذوقا من
عاش تحت سلطة الاجانب باسم حماية أو وصاية غير آمن على عرضه
ولا على دينه ولا على ماله ولا على حياته وانما هو حيوان مستخر للاستفادة
تحت ستار قوانين اوجدها الاستعمار واختلقها اذهان المستعمرين *
والاغرب أن المسلمين الى الآن لم يفيقوا من غفلتهم ولم يتنبهوا
لما أحاط بهم منتظرين المعونة بدون ان يقوموا بعمل وسهل لهم ذلك
احاديث المهدي الذي لا يكتمك احد الا وهو ينتظر المهدي وانه يحرره
بسيفه من الاستعباد ، مهلا يا قوم ان المهدي لو ظهر بزمانكم فهل يحارب
وحده ام يتطلب جنودا منكم ؟ فاذن انتم على كلا الحالتين مكلفون
بالثبات في الحرب قبل ظهور المهدي وبعده وعليكم بالوقوف في وجه
العدو وتأمير احدكم عليكم ممن ترضون دينه وجرب في الثبات وعدم
الفرار من العدو حسا ومعنى وعرف بالاخلاص للاسلام والشفقة على
المسلمين غيور على مصلحة الدين قائم باحكامه عملا *

الثبات مطلوب امام العدو لافى الحرب وحده بل هو مطلوب في كل
الامور لأن المحاربة قد تكون بغير السيوف اشد فتكا واعظم اثرا واعمق
جرحا واكثر اتلافا واضارا لقد علمنا التاريخ انه ما فتح فاتح بلدة
الا وكان قد هيا قلوبا يسكنها مع جنوده وعند دخوله وجد صدورا رحيمة
لاستقباله واقامة الحفلات والمهرجانات تشجيعا له وتحسينا لعمله
من الذين يبيعون دينهم ووطنهم وقرىهم لشهوات انفسهم قاتلهم الله انى
يتوبون والى الله يرجعون ولدينهم ووطنهم يخدمون *

الحرب يكون باعتماد الامة على ايجاد ما تنقوت به وما تلبسه واسطنها
ومقاطعة كل ما يائق به العدو غير الضروري الذي يستعمل ضده في الحرب

(إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا) ، (إِذَا لَقِيتُمْ) (١) الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا
تُولَهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُولَهُمْ يَوْمَئِذٍ دَرَبَهُ الْأَمْحَرَفَ لِقَالٍ أَوْ مَتَحِيزًا
إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) * (يَا أَيُّهَا
النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ
يَغْلِبُوا مِائَتِينَ) الْآيَتِينَ *

والمخاصمه لأن فاتح البلاد في عصرنا الحاضر معظم هدفه أترويج التجارة
والاستفادة من الزراعة ان كانت الارض زراعية فلو قوطعت التجارة
هل يكون مكسب الفاتح الا ضياع الاموال والتعب؟ وهل لو وحد الناس
صفوفهم ولم يراجعوا العدو فيما يحدث بينهم من المشاكل؟ ماذا تكون
فائدته سوى اضاءة الاموال الطائلة التي يصرفها على جنوده المرابطين
خشية الانقضاء عليه والاشتفاء منه وتحزير البلاد من ظلمه واستبداده؟
أذن ان البلاد لم يفتحها عدو وانما فتحها أهلها المذبذبون وسلبوها لأخصاصهم فهلا
يفيقون من سكرتهم ويندمون على فعلتهم ويتلافون جنائتهم باستعمال
عكس الطرق التي كانوا استعمالوها تمهيدا لفتح العدو البلاد *

(١) قوله «إذا لقيتم فئة» أي جماعة من العدو في الحروب المادية والمعنوية
فاثبتوا اتجاههم واجروا طاعة الله تعالى تناولوا الاجر وتحوزوا النصر الذي
لا يتفق الا مع الثبات *

نعم ان الثبات مقرون بالنصر لأن سنة الله في خلقه أن لا يحصل توازن
العالم وحركاتهم الا بالاختلاف فما معنى الثبات الاحب لقاء العدو فلم
يبق للخصم الا الهرب وكرهية الحرب فيصبح مغلوبا على أمره لأن المسلمين

وَلَحَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ
 «لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَسَلُّوْا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمْهُمْ فَاصْبِرُوا وَاعْلَمُوا
 أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»

لم يكن ليصيبهم ما حل بهم الا لكرهيتهم الموت وعدم رغبتهم في الحرب
 وان وقع فلا يسمعون لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا)
 وقوله «اذا لقيتم الذين كفروا زحفوا زحفا فلا تولوهم الادبار» في هذه
 الحالة التي هي اشق أوقات الحرب واصعب ساعاته يجفل منها الفؤاد
 ولا يكاد يثبت الانسان على حالة محافظا على طبعه واعتداله حيث يكثر
 فيها الموت وتتقدم القوى ويختلط الحابل بالنابل ويضيق المجال على الشجاع
 ولا تتسع الارض للجبان فينبغي أن تصبروا وثقوا بوعد ربكم وتعلموا
 أن الموت حق وأنه في ساحة الحرب من اشرف ما يكون لما يصدر عنه من
 الشهادة والحياة التي يرزق فيها من عند الله تعالى واعلموا أن ترك الموطن
 الحربي يكون سببا لخذلان الجيش وانكساره فلا يجوز أن يولى الانسان
 دبره لأنه لا يفتح مجالا للعدو كي يغلب ويتغلب ويكون قد أعطى
 ظهره غرضا لسهام الاعداء ووقعا لضرب السيوف حسبا يختارون اللهم
 الا ان يكون متحرفا لقتال غايته أن يقتل بهم فان هذا لا اثم فيه اذ
 يجوز أن يتمكن من قهر العدو بقتل عميد القوم أو من يؤثر في نفسية
 الجنود من الشجعان الممدودين أو يكون متحيزا الى فئة رآها غلبت
 على أمرها فيتصل بهم ليرد ويخفف عنهم كوارث الهجمات لأنه يجوز
 أن يغتنم العدو فرصة الاشتغال بالحرب فيوجه قوته على جناح من الجبهة
 او فريق مخصوص ليقضى عليه فيوهن عزيمة المسلمين فن رأى مثل ذلك

(٢٩) اَدَاءُ الْخُمْسِ مِنَ الْمَغْنَمِ إِلَى الْإِمَامِ أَوْ عَامِلِهِ عَلَى
 الْغَانِمِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَأَعْلَوْا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ
 وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
 بِأَلَّا تُزَلَّزَلُوا فَزَلَّزْنَا) الْآيَةُ * وَقَوْلُهُ (وَمَا كَانَ لَنِي أَنْ يَغْلَ وَمَنْ
 يَغْلَ يَأْتِ بِمَآ غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (١) *

فله ان يتحيز اليهم ما لم يكن مأمورا بالوقوف في محل معين لأن للقائد
 نظرا عاليا وخبرة وتجربة قد يعجز عن فهمها الجنود كحادثة احدو الرماة التي
 ذكرناها فمن فعل هذا فلا جناح عليه ومن لم يقصد ما ذكرنا فقد باء بغضب
 لا يخرج منه أصلا وما واه جهنم لأنها تاليق به ويستحقها لما أورث المسلمين من
 مصيبة الانكسار وعار الذلة وان جهنم بس المصير لأنها محل من غضب الله تعالى
 عليه بمخالفة مأموراته وقوله لا تمنوا الخ تقدم شرحه قريبا ص ٧٨ فارجم اليه *

(١) قوله «اداء الخمس» اى ان يؤدى المجاهدون خمس ما يغنمونه
 الى بيت المال لأنهم لا يستحقون الا اربعة اخماس وذلك لأن الحرب تحتاج في
 حالتي الحرب والسلم الى أموال لا يمكن تأديتها ودفع الاحتياج الا بواسطة
 هذا الخمس فهو القوة التي ترتكز عليها معظم الاعمال النافعة وفيها حفظ
 الامن لانه لولا الخمس لاضطرت الحكومة الى أخذ أموال الناس بالطرق
 التي لا ترضى بها الشريعة كما هو فعل حكومات عصرنا الحاضر فلوان الخمس
 يبقى محفوظا للهمات لكان دافعا لكثير من المظالم التي يسببها عجز ميزانية
 الحكومة فتضع رسوما مجحفة وانظمة تنم منها الامة فتكثر الشكوى

ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين عن وفد عبد
القيس أمركم بأربع وأنها لكم عن أربع أمركم بالإيمان بالله
وحدد أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا الله ورسوله اعلم قال
شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقام الصلوة وآتاء الزكاة
وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس وأنها تم عن الحنتم والدباء
والنقير والمزفت قال أحفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم (١) *

ويتفاهم الأمر فيشتد الخصام بين الامة وبين الحكومة لكن لو وجد الخمس
محبوساً في بيت المال لكان وجود ذلك نادراً ودافعاً عن وقوع ذلك وقوله
«وما كان لني أن يغفل» يقال غفل في المغنم يغفل فهو غال وهو أن يأخذ من الغنائم
ما لا يستحقه بأن يتناول شيئاً قبل القسمة فهذا ما دام لا يجوز لنبي فغيره بطريق
الاولى وفي هذا من الزجر الادبي ما يمنع الناس من الغلول بقطع النظر عن أن
الخيانة لا تجوز مطلقاً فكيف بالخيانة في حالة الحرب أو بعد الحرب مع
أنه ينبغي له شكر الاله على ابقائه سعيداً غالياً لأن يلوث شرفه بعرض
يسير تافه لا قيمة له بعد أن نال اجر الجهاد الذي لا يعادله اجر في العظم
(١) قوله الحنتم هي جرار مدهونة أخضر أو احمر اعناقها على جنوبها أو
الجرار المتخذة من طين تعجن بالدم والشعر وقيل الحنتم ما طلى من
الفخار بالزجاج وقوله الدباء اراد به القرع اليابس المتخذ أوعية *
وقوله النقير هو جذع ينقر في وسطه يكون وعاء وأما المزفت فهو
الوعاء المطلى بالقار، ومعنى النهي في هذه الاربعة انه نهى عن الاتخاذ بها

وذلك بان يوضع فيها مع المام تمرات او زبيب ليحلوا ويشرب، وحكمة تخصيص المنع بها انها يسرع اليها الفساد فيتخمر الموضوع فيها بسرعة ويصير نجساً حراماً يستحق الازافة وفيه اضاعة مال وقد يجوز ان يشربه بعد اسكاره وهو غير عالم باسكاره وانما لم يمنع الابتاذ في اسقية جلود الحيوانات لانها لا يخفى فيها المسكرو كثيراً ما يشقها لرقتها ولا تفهم ان معناه حل النبيذ المتعارف الآن فانه خمر حرام بنص القرآن وما سماه نبيذا فهو انه لا يبرح حلوا ومتى وجد فيه اللذع أصبح مسكراً وكل ما اسكر كثيره فقليله حرام، وهذا النهى منسوخ بالحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن بريدة «ان رسول الله ﷺ قال كنت نهيتكم عن الابتاذ الا في الاسقية فاتبنوا في كل وعاء ولا تشربوا مسكراً» اه وهذا مذهب جمهور العلماء وكره قوم الابتاذ فيها منهم الامام مالك والامام احمد واسحق ابن راهويه وهو مروي عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وذكر هذا الحديث تكملة للاستدلال على ان من الايمان ان يعطى المسلمون الخمس من المغنم لبيت المال *

وهذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلاً - كما قال الامام محيي الدين النووي رحمه الله تعالى - من حيث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال «امرهم باربع» والمذكور هنا خمس وليس هذا اشكالا عند من نظر بتحقيق وقد اختلفوا في الجواب عنه فالصحيح ما قاله الامام ابو الحسن بن بطال وغيره قالوا امرهم بالاربع التي وعدهم ثم زادهم خامسة وهي اداء الخس لانهم كانوا مجاورين كفار مضر وكانوا اهل جهاد ويكون «وان تعطوا من المغنم الخس» معطوفا على اربع أى أمرهم باربع وبان يعطوا، وقيل: فيه غير ذلك، وإنما لم يذكر الحج لانه لم يكن فرض بعده ووقع في بعض النسخ من ذكر الحج فانه سهو أو زلة فلم تنبه لذلك والله يتولا نا جميعاً بمنه وكرمه *

(٣٠) العتق بوجه التقرب الى الله عز وجل به لقوله تعالى: (فَلَا

اَقْتَحِمِ الْعَقَبَةَ وَمَا اَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ) * ولحديث ابي هريرة

رضي الله عنه في الصحيحين « مَنْ اَعْتَقَ رَقَبَةً اَعْتَقَ الله بكلِّ عضوٍ منها عضواً من اَعْضائه من النَّارِ حتَّى فرَّجَهُ بفرَّجِهِ » (١) *

(١) قوله « العتق » هو قرعة حكمية يصير بها الرقيق اهلًا للتصرفات الشرعية فلا تجل القرية من الله تعالى هو افضل الاعمال لأن الافضلية بحسب ما ينجم عنها ولا شيء اعظم على المرء منة من هبة حياته له ومنحه حرية كان قد فقدوها او افاقدها اسلافه اياها فالتعق مطلوب الشريعة لأن فيه المساواة بين افراد البشر ولم تجوز الشريعة الرق الا لضرورة والضرورة تقدر بقدرها ولذلك حث على العتق حتى جعل عقبات جهنم لا يستطيع العبور عليهما من لم يعتق نسمة وكان في مقدوره ذلك والا فان الله لا يكلف نفسا الا وسعها وجعل ظلام من كفارة قتل الخطأ وكفارة الظهار وكفارة اليمين عتق رقبة فاذا ان الرق عبارة عن دور موقت متى انتهى لزومه ينبغي أن يزال *

نعم انه مؤقت لأن الرق اجيز على المحاربين الذين وقفوا في وجه الاسلام وحاربوا لأجل قمع الدعوة الدينية فجعل الشارع السلطة على الارقاء بيد الامير لما يشاء فاما القتل واما الرق واما الفداء ولا ينفعه اسلامه من الرق بل يخلصه من القتل فقط لأنه يحتمل أن يكون كاذبا يريد غش المسلمين فيبقى رقيقا حتى إذا ظهر صلاحه وتبين صدق اسلامه فان سيده بطبيعة الحال وحسب الشفقة والحنان الاسلاميين يعتقه واحتمال الصدق كان سبب نجاته من القتل *

ولأنما سرى الرق الى نسله من بعده لأن المرء اذا علم انه اذا وقع أسيراً
تبقى العبودية والرق في عنقه وعنق اولاده من بعده تخور قواه ولا يستطيع
مصادمة الاسلام ومحاربة المسلمين وأما اذا علم ان الرق ينحصر فيه فقد
يسوقه العداء الى مفاداته بنفسه لأنه آمن على عياله واولاده فيحارب
الدين غير هياب ولا وجل ولا يرتدع عن غيه. فاذن ان حكمه الرق بينة
لأنه لا يكون إلا لمن بلغ به العداء الى حصر أوقاته في سلوك اسباب
عرقلة انتشار الاسلام واذية المسلمين وهذا حق الرق حتى اذا امن من
كيد ومكره وقبل الدين كأن يريد ان يزول هو ومن وجه الارض وثبت الدين
فقد استحق العتق وكان عتقه سبباً لغفران ذنب المعتق لإرشاء الله تعالى *
قوله «فلا تقتحم العقبة» أى لم يقدم على الامور العظام من مجاهدة النفس
والهوى ولم يعبر العقبة ليعبر من جسر جهنم وما ادراك ما العقبة الكاملة من
نوعها هي فك الرقبة بواسطة اعانة الغير عليها كمساعدة مالية أو مكانية
ولما بعثت السمعة لما روى الامام احمد في مسنده عن البراء بن عازب الانصارى
«ان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله جاءه أعرابي فقال يا رسول
الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال عتق السمعة وفك الرقبة قال يا رسول
الله اليسا واحداً قال لا عتق السمعة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها»
ولأنما كان العتق عقبة لأن الانسان يحب بطبعه ان يمدح وأن
يكرم فكيف اذا رأى من بنى جنسه عبداً له يأتمر بأمره ويستعمله كبهيمة
عندئذ تشح نفسه باخراج ذلك من يده فسماه الله عقبة لأن الطريق
المحتوى على العقبات قل من يسلكه من الناس غير ارباب الهمم العالية *
وقوله «حتى فرجه بفرجه» اشارة الى فضل العتق وأنه افضل الاعمال مكفراً
للدنوب لأن الفرج مصدر للزنا الذي هو افحش الذنوب واعظم القبائح
وأشنع الامور ولذلك جعل الشارع نصاب الشهادة لاثباته اربعة رجال

(٣١) الْكَفَّارَاتُ الْوَاجِبَاتُ (١) بِالْجَنَائِيَّاتِ وَهِيَ
 بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَرْبَعُ كَفَّارَاتٍ كَفَّارَةُ الْقَتْلِ ، وَكَفَّارَةُ الظُّهْمِ
 وَكَفَّارَةُ الْيَمِينِ ؛ وَكَفَّارَةُ الْمَسِيئِ فِي صَوْمِ رَمَضَانَ ، وَمَا يَقْرُبُ
 مِنْهَا مَا يَجِبُ بِاسْمِ الْفِدْيَةِ لِأَنَّهَا إِمَّا عَنْ ذَنْبٍ سَبَقَ أَوْ يُرَادُ بِهِ التَّقَرُّبُ
 إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِشَيْءٍ يَعْنِي إِثْرَ أَمْرٍ قَدْ وَقَعَ ذَنْبًا كَانَ أَوْ غَيْرِ ذَنْبٍ ۝

ومع هذا فإن العتق يكون وسيلة لمغفرة هذا الذنب . وفي هذا الحديث
 دلالة على أن يكون العبد المعتق غير خصي ولا فاقد عضو من الاعضاء
 النافعة فانه وإن كان عتق الناقص صحيحاً مأجوراً عليه صاحبه لكن
 لا يخفى انه اذا كان خصياً فالمنفعة قد انحسرت في المعتق بخلاف الملوكان
 غير خصي فانه يكون له نسل وذرية ويبقى الاجر ممتداً لسيده والجميل
 الذي في ذمة أولاده والذكرى الحسنة عند الله وعند الناس ۝

(١) قوله «الكفارات» جمع كفارة وهي اسقاط ما لزم الذمة بسبب الذنب
 والجناية وانواعها ثلاثة : عتق . وصدقة . وصيام . وسميت كفارة لأنها
 تكفر الذنوب اى تستترها في أول الامر حتى اذا ما اخلص فيها
 وتاب توبة نصوحاً تبدل حسنات قال تعالى (الامن تاب وآمن وعمل
 عملاً صالحاً فاؤلئك يبذل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً)
 فاداء الكفارة برهان واضح على صحة التوبة وأنه قد ندم على ما فرط
 منه واعترف بما صدر منه حيث بدأ يتقرب الى ربه بما يرضيه من الاعمال
 التى تشق على النفس وتنفع المسلمين فالعتق شاق على النفس حيث اضاع
 عز ما يملكه وكان في مقدرة أن يستفيد منه ويستعمله في شؤونه

(٣٢) الْإِيْفَاءُ بِالْعُقُودِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) قَالَ

الخاصة والعامة لئلا ين ندمه حال دون هذه الافادة وجعل نفسه تسمع
بالغالى مرضاة الله تعالى وخلص نفسه مؤمنة من رق العبودية ونقلها
الى دور سعادتها فاذا قها لذة الحرية وعيش الاستقلال فكان بعمله هذا
قد استغفر وتاب ، وأما الصدقة فان مقدارها بينته الشريعة كي لا يحصل
اضطراب واختلاف وعينت لكم جرم صدقة تليق بعظمه بخلاف
العتق فانه للجميع لانه مطلوب بحد ذاته وكفارة العتق وسيلة لترويجه
ولا يخفى ما فى بذل الاموال من المشقة على نفوس جبلت على الشح والطمع
والهلع فالصدقة تهذب النفس وتنفع الذى أخذها ليزيل فاقته واحتياجه
وأما الصوم فانه الزاجر للنفس عن غيرها المضعف لقواها ولا سيما اذا
كان متتابعاً كما فى كفارة القتل وكفارة المسيس وانه عند قرب المدة
اذا افطر يجازى عقوبة له باعادة ما صامه كله . وامثال المكفر أمر الله
فى تطبيقه ما اراده منه توبة صريحة يرجى منها تلافى ما فرط منه قال تعالى
(ومن تاب وعمل صالحاً فانه يتوب الى الله متاباً) أى يرجع الى الله ذى اللطف
قابل التوب رجوعاً مقبولا مرضياً ماحياً للذنوب محصلاً للثواب الفائت
ان شاء الله تعالى هـ

قوله « الْإِيْفَاءُ بِالْعُقُودِ » وهو حفظ ما يقتضيه العقد قياماً بواجبه
لا فرق أن يكون بين العبد وربّه كالنذر ونحوه وبين العبد وعبد
آخر مثله كالمعاملات ، وإنما كان الإيفاء بالعقد من شعب الإيمان لأن
الإيمان عبارة عن معرفة الله تعالى بذاته وصفاته واحكامه وافعاله فلا
يكون مؤمناً من لم يصدق بالقرآن المشتمل على الاحكام ولا يخفى أن

أَبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَعْنِي مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَمَا حَرَّمَ وَمَا فَرَضَ وَمَا حَذَرَ
 فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ * وَقَوْلُهُ (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ) ، (وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ)
 (وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ) ، (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا
 تَنْقُضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) (الآيَةُ) *

من جملة الاحكام الانقياد لله تعالى في جميع تكاليفه واوامره ونواهيه فيكون
 هذا العقد اثبات بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) احد الامور
 المعتبرة في ماهية الايمان . وسماها عقوداً لأنه تعالى ربطها بعبادته بما
 يربط الشيء بالشيء بالحبل الوثيق فكل عهد يجب مراعاته وتنفيذه الا
 ما لا يرضى به الشرع من موجب ظلم أو اجحاف في حق أو نذر في معصية
 فان ذلك لا ينعقد اصلاً . فلا يمكن ان يقال عنه ان الوفاء به واجب أو أنه
 من جنس الايمان؛ روى الامام مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن
 رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: ما بال اناس يشترطون شروطاً
 ليست في كتاب الله من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فليس له
 وان شرط مائة مرة شرط الله احق واوثق « اهـ »

فاذن العقود المعتبرة هي التي اجازها الشرع ففقود لم يجوزها الشرع
 كالربا لا ينعقد الزائد ولهذا قال تعالى : (فان تبتم فلاكم رؤس اموا السكم
 لا تظلمون ولا تظلمون) اي لا تظلمون باعطاء اقل من رأس المال ولا
 تظلمون بلزوم اداء الزائد فيكل ماورد به الشرع من العهود والعقود خاص
 بالجائز شرعاً *

وقوله « يوفون بالنذر » اي انهم اذا نذروا طاعة ففعلوها لان النذر

لا ينعقد في الامور المنكرات والمعاصي وسائر مالا ترضاه الشريعة لما روى الامام احمد في مسنده عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «لا نذر في معصية» وفي رواية عمران بن حصين «لا نذر في معصية الله ولا فيما لا يملكه ابن آدم» فالنذر الذي مدح الله الموفين به هو النذر المقربى على طاعات يرضى بها الله تعالى ۞

وقوله «وليوفوا نذورهم» النذر فعل ما يلتزمه الانسان من المباحات بايجابه على نفسه تعظيماً لله تعالى اى فليؤدوا النذور التي التزموها وشددوا على انفسهم فيها والنذر لا شبهة في وجوب ادائه لكن صدوره في نذر المال يدل على ان الناذر بخيل اذ لو كان كريماً لعجل وتصديق على الفقراء بما نذره وفي العبادة لعبد الله قبل ان يكون واجبا ويعصى بالمخالفة أو بالتقصير. وترى الشريعة الاسلامية كيف تلاحظ جانب العدل والانصاف اذ قد يضطر الانسان الى نذر مضر به يخالف لما امر الله به فلا تازمه وتجعله لغراً لما روت عائشة «ان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله قال «من نذر ان يطاع الله تعالى فليطعه ومن نذر ان يعصيه فلا يعصه» حتى ولا يلزم الناذر كفارة في الايمان التي لا تنعقد ۞

قوله «واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم» اى أوفوا بكل عهد تلتزمونه باختياركم لا فرق بين أن يكون لله أو لغيره وسواء كان ذلك لغير مسلم أم كافراً قال ميمون بن مهران: من عاهدته وف بعهده مسلماً كان أو كافراً انما العهد لله تعالى «ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها» اى لا تبطلوها بعد ذلك التوكيد فان حكمها باق وإن تنفيذها واجب إلا اذا كان الصلاح في عدم لزوم الوفاء فينتقل تنفيذ اليمين الى بدله وهو الكفارة وذلك لما روى الامام احمد في مسنده ومسلم في صحيحه والترمذي في سننه عن ابي هريرة «ان رسول الله ﷺ قال: من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها

وَحَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ
«لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُقَالُ هَذِهِ غَدْرُ فُلَانٍ» ❦

فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه « اه فالدين الاسلامي الذي جعل
الكذب لا يجتمع مع الايمان في قلب واحد لاشك انه لا يريد انتقاض
اليمين بمعنى افسادها بل لا بد من تنفيذها ما لم يكن المقبول شرعا عدمه
لان النذر اذا كان في المعصية لا ينعقد فقائده ظاهرة بانه لزوم توكيد
الطاعة فمتى وجدت فهي المقدمة لانها مقصود النذر الاصلى ولذا ورد
الحديث الصحيح الذي ذكرناه محسنا المخالفة والكفارة فيما اذا كان انفع
كمسئلة حلف اني بكر على مسطح يوم حادثة الافك على ان لا ينفق عليه
فنزلت آية (ولا يأتل اولوا الفضل منكم والسعة ان يؤتوا اولى القربى
والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفووا وليصفووا لا تحبون ان يغفر الله
لكم والله غفور رحيم) ❦

قوله «لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» هذه رواية البخاري وفي مسلم
زيادة وهي «يقال هذه غدرة فلان» كما هنا والمعنى لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ
غدرته في الدنيا راية تنصب له بقدر غدره وهو عبارة عن علامة يشتهر فيها
لدى اهل الموقف ليدموه، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني. هذا خطاب
منه للعرب بنحو ما كانت تفعل لانهم كانوا يرفعون للوفاء راية بيضاء
وللغدر راية سوداء ليوموا الغادر ويدموه فاقتضى الحديث وقوع مثل
ذلك للغادر ليشتهر بصفته في القيامة فيذمه اهل الموقف وأما الوفاء بالعهد فلم
يرد فيه شيء ولا يبعد ان يقع كذلك وقد ثبت لواء الحمد لنبينا محمد صلى
الله عليه وسلم اه ❦

وَحَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَاهَا إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ۖ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ۖ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ۖ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ ۖ»

و «الغادر» هو من يواعد على أمر ولا يفى به وهو من أفبح الخصال واذمها ولا سيما إذا كان من صاحب ولاية أو نفوذ لأن غدرة وضرره يتعدى أناسا كثيرين مع أن في قدرته أن يحتجب ذلك لأنه غير مضطر إليه ، وغدر الأمير يشمل ترك شفقته على رعيته وعدم الاعتناء بهم بحيث لا يحافظ عليهم ولا يهتم بشؤونهم وكذلك الرعية إذا شقت عصا الطاعة على الأمير بغير وجه مشروع فإنها تعد غادرة ، والغدر عام يشمل ارتكاب خلاف كل ما اودع المرء من احكام وتكاليف ومعاملات وغير ذلك ۖ

قوله «أربع من كن فيه كان منافقا» الخ، وفي صحيح البخارى عن أبى هريرة «آية المنافق ثلاث» الخ واستشكل بعض العلماء الجمع بين الحديثين لتعارضهما وأجاب باحتمال أنه استجدله صلى الله عليه وسلم من العلم بخصالهم ما لم يكن عنده فاخبر أولا بثلاث وآخر بأربع . قال الخافض شهاب الدين ابن حجر: ليس بين الحديثين تعارض لأنه لا يلزم من عد الخصلة المذمومة الدلالة على كمال النفاق كونها علامة على النفاق لاحتمال أن تكون العلامات دالات على اصل النفاق والخصلة الزائدة إذا أضيفت الى ذلك لمل بها خلوص النفاق على أن في رواية مسلم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة ما يدل على (م ٧ مختصر شعب الايمان)

أرادة عدم الحصر فان لفظه « من علامة المنافق ثلاث » وكذا أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد واذا حمل اللفظ الأول على هذا لم يرد السؤال فيكون قد أخبر ببعض العلامات في وقت وبعضها في وقت آخر ، وقال القرطبي أيضا والنووي : حصل من مجموع الروايتين خمس خصال لانهما تواردتا على الكذب في الحديث والخيانة في الأمانة وزاد الأول الخلف في الوعد والثاني الغدر في المعاهدة والفجور في الخصومة اهـ .

ووجه الاقتصار على العلامات الثلاث في رواية أبي هريرة انها منبهة على ما عداها اذاصل الديانة منحصر في ثلاث القول والفعل والنية فنبه على فساد القول بالكذب وعلى فساد الفعل بالخيانة وعلى فساد النية بالخلف لان خلف الوعد لا يقدح الا اذا كان العزم عليه مقارنا للوعد أما لو كان عازما ثم عرض له مانع أو بدله رأى فهذا لم توجد منه صورة النفاق قاله الغزالي في احيائه ، وفي الطبراني من حديث طويل ما يشهد له فقيه من حديث سلمان « اذا وعدوه ويحدث نفسه انه يخلف » وكذا قال في باقي الخصال قال الحافظ ابن حجر : واسناده لا بأس به ليس فيهم من اجمع على تركه وهو عند أبي داود والترمذي من حديث زيد بن ارقم مختصر بلفظ « اذا وعد الرجل اخاه ومن نيته أن يفي له فلم يفي فلا اثم عليه » اهـ .

والنفاق في اللغة مخالفة الباطن للظاهر فان كان في اعتقاد الايمان فهو نفاق الكفر والا فهو نفاق العمل ويدخل فيه الفعل والترك وتفاوت مراتبه : والخصلة - بفتح أوله الشعبة والجزء من الايمان ، او حالة من حالاته ، ويحمل النفاق هنا على نفاق العمل لانفاق الكفر ولا يأتي اشكال على هذا من حيث أن هذه الخصال قد توجد في المسلم المجمع على عدم الحكم بكفره ويقويه ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قال لحذيفة : هل تعلم في شيئا من النفاق ؟ ولا ريب أنه لم يرد نفاق الكفر بل أراد نفاق

وَحَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ
« أَنَّ أَحَقَّ الشُّرُوطِ أَنْ يُوفَى بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ » *

العمل ، وقيل المراد باطلاق النفاق الانذار والتحذير عن ارتكاب هذه
الخصال وأن الظاهر غير مراد ، واذا اردت زيادة البحث في ذلك فعليك
بشرح الامام النووي على صحيح البخارى طبع ادارتنا ص ١٩٤ والله أعلم
وقوله واذا وعد أخلف قال صاحب المحكم يقال وعده خيرا ووعدته شرا
فاذا اسقطوا الفعل قالوا في الخير وعده وفي الشر وعده ، وحكى ابن الاعراب في
نوادره اوعدته خيرا بالهمزة فالمراد بالوعد في الحديث الوعد بالخير وأما الشر
فيستحب اخلافه وقد يجب ما لم يترتب على ترك انفاذه مفسدة ، وأما الكذب
في الحديث فحكى ابن التين عن مالك أنه سئل عن جرب عليه كذب فقال
أى نوع من الكذب لعله حدث عن عيش له سلف فبالغ في وصفه فهذا لا
يضر وإنما يضر من حدث عن الأشياء بخلاف ما هي عليه قاصدا الكذب
اتمى أفاده الحافظ في الفتح *

قوله « ان احق الشروط ان يوفى به » الخ هذا الحديث ليس على
اطلاقه بل هو محمول عند الشافعية على شرط امر مرضى لدى الشرع
كالعشرة بالمعروف والنفقة وما يتعلق بها وتعيين التصرف وثيقة السلوك
وانتظام الحركة البيتية لامطلقا كأن يشترط ان لا يقسم لها ولا ينفق عليها
فانه ضرر بها ولا يسافر بها ولا يتزوج عليها فانه ضرر عليه ولا ضرر
ولا ضرار في الاسلام ولما ذكرنا قبل الحديث « كل شرط ليس في كتاب
الله فهو باطل » وقال الامام احمد بوجوب مراعاة الشرط مطلقا استدلالا
بهذا الحديث . وقوله احق الشروط ، أى اليق من غيرها بالوفاء *

(٣٣) تَعْدُدُ نِعَمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا يَجِبُ مِنْ شُكْرِهَا قَوْلُهُ
 تَعَالَى : (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ) وَقَوْلُهُ (وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا) (وَأَمَّا
 بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) ، (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ)
 وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ وَذَكَرَهُمْ فِي كِتَابِهِ *

قوله « تعدد نعم الله عز وجل » فانها من شعب الايمان لأن النفس
 عند ورود النعم عليها تغفل عن المنعم بها ولا تتصور ان حق هذه النعمة
 لا تزال ذمتها به مشغولة يجب اداؤها بالشكر لمعطى هذه النعم خالق
 السموات والارض وخالق الخلق لاعلى مثال سبق فاذا كان الانسان
 حينما ترتع نفسه في مجبوحة الهناء والعيش الرغد يلاحظ شكر المنعم فقد
 اثبت ان له ايمانا راسخ البنيان وطيد الاركان حيث لم تغشه النفس الامارة
 بالسوء ولم يصبغ الى الوسوس التي تشعر بها النفس وهي الغرور بسبب فتنة
 الغنى فبين ان تعداد النعم اعتراف بالمنعم وانه من فضل الله عليه لانه ليس
 احق من كثير من المحرومين لولا العناية الربانية فلا بد لهذا الواصل
 من ثمن يكون كالعوض وهو شكر المنعم الواجب *
 نعم كالعوض لأن الشكر على النعمة نعمة عظيمة كما يأتي في نفس هذا
 البحث عن المصنف فهو صورة عامل ولكن التوفيق من الله تعالى نعمة
 منه وكرما *

قوله « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » لأن الحساب يضيق عنها
 والعد ينتهي دونها فلو قطع الانسان النظر عن النعم كافة ونظر بامعان
 وحكمة الى نفسه لوجدها مشتملة على نعم غير قابلة للانحصار ذلك لأن

الجسم مركب من دم ولحم وعظم وكل قطرة من الدم فيها الالاف المؤلفات
من الكريات الحمراء والبيضاء *

ولا شك ان هذه الالوف المؤلفات عبارة عن حيوانات حية كل
واحد منها له جسم وهيئة بالنسبة الى نفسه فالقطرة الواحدة من الدم لا يمكن
الوقوف على ما تركبت منه فكيف بالجسد كله وما فيه من اللحوم والشحوم
والغضاريف والعظام والشرابين والاوردة وصورة انتظامها وكيف انسجامها
وتراكيها باتقان بدیع ووضع عجيب فتبارك الله احسن الخالقين *

فاذا كان الانسان يحل ماهيته ولا يدري عن نفسه وما يشتمل عليه جسده
من الاضداد والمختلقات والنقائص كما يتيه فيه العقل ويحير اليب جعل
في الرأس نفسه مجار متعددة مالح وحامض وحلو ومر ولم يجاوز احد
الآخر ولم يؤذه بل لم يؤثر فيه وتأمل في حركة الوجود وعدم استقراره
على حالة واحدة فهو في كل شئونه وادواره في تطور لا يقف عند
حد ولا ينتهي سيره مادام النفس جاريا والحياة موجودة وهذا ما اعجز
علماء النفس وفطاحل الاطباء فاذا كان الانسان لا يخبر نفسه على حقيقة تامة
فكيف لا يخجل من دعوى العلم وزعمه الوقوف على حقيقة الافلاك
وقياسها بالاذرع بشكل يعد من خالف رأيه جاهل احمق لا يتسع صدره
للعولم العصرية ولا يدري عن المدنية شيئا *

مهلا ايها الرجل ادرك نفسك ثم سر الى غيرها من الارضيات فاذا
كنت لا تدري عنها الا ظنونا وأوهاما كيف جسرت على دعوى علم
اليقين في الافلاك والسموات وانكار أعدادها أو انها غير موجودة ؟
لا نقول لك لا تعلم ذلك لان الله قد أمرنا في قوله (ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع
الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها

من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض
 لآيات لقوم يعقلون) ولكن نقول لك لا تذكر كل ما لا تعلمه فانك لم تعلم الا النذر
 اليسير التافه وما أمامك مما تجهله شئ بضيق عنه نطاق الحصر فالعلم أن
 تعلم أنك لا تعلم والادب ان تقول رب زدني علما *

الانسان يقف مبهورا في كيفية تركيب جزء من اجزاء البدن الظاهرة
 فكيف بما في داخله من جوف الصدر أو جوف الدماغ وهذه كلها نعم
 من الله بالبدهة يعلم انه لا يستطيع حصرها . هذا بقطع النظر عن
 الغذاء الذي يأكله وعن كيفية استحالته الى نافع وغيره والى دم وقوة
 وفضلات وغير ذلك ، ثم في كيفية حصول نفس الغذاء لانه لا يخلو اما
 أن يكون حيوانا وإما ان يكون نباتا فان كان حيوانا فاز وجوده قائم بالتغذى
 من النبات ، وافكر في النبات وكيفية نموه ووصول الحياة اليه عن طريق
 الماء ثم نموه ثم استعماله بواسطة الآت لم يتوصل اليها المرء الا بالهام وعلم الهى
 حتى اخرجها من معادنها من قلب الجبال وتحت الارض وهذه النعم لا
 يحصيها العد فكيف بغيرها من نعمة الهواء والماء والنار وتسخيرها باحداث
 قوى لا اعمال كثيرة عديدة ولا سيما في عصرنا هذا عصر البخار والكهرباء فمن أمعن
 في هذه النعم غاب عن احصائها وان كان عمره آلاف السنين وخصه الموقف
 على ماهية هذه النعم فليف بعمره القصير الذى لا يتسع الا لدعوى العلم والفخفخة
 والدعاوى الكاذبة والظن والاثرة واحتقار من خالف رأيه زاعما ان
 كل ما لا يصل اليه فهمه القاصر ينبغي ان يكون غلطا صريحا او باطلا محضا
 ولم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم * وهذه الفكرة هى التى
 حدث بمن يزعم التنور في الأفكار ان يطعن بالدين اعتقادا منه ان ما تلقاه
 من الحدسيات عن علماء الغرب هو مقدم على كلام الله تعالى جهلا منه حيث جعل
 الواجب المطابق القديم تحت ارادة تصور الممكن الحادث القائم بوجوده بغيره *

والأنكى من هذا ان الفكرة العلمية لا تثبت الامدة يسيرة ثم يظهر للناس خطأها او ضعفها ولا ينجل من يعتقد فكرة أوريا أن يكون نصيبه ما اصاب من قبله وهذا هو الغرور والجهل المركب *

الانسان مهما بلغ من الرقى والعلم وقوة الذكاء وسعة الادراك فهو في درجة الامكان وفي دائرة العجز وضمن منطقة الاحتياج فكيف يتسنى له التناول على من ساواه من الممكنات ان يقسره على شئ يجهل حقيقته الطرفان لأن مركزهما الأرض فمن ادراهما ان قد اصابا بما جزما في الشئون السماوية حتى قالوا بما هو رجم بالغيب *

ان احدهما يجهل ما في بلده وما في ضمن بيته بل ما تشتمل عليه جوانحه فكيف يحيط بما في السموات احاطة علم اليقين ؟ اليس هذا امر اعجيبا ؟ ايها الزاعم انك احطت بما عليه السماء من التركيب والانتظام - بربك ان كنت تعتقد ان لك ربا - متى احطت علما بعدد النجوم وكم منها سيارات وثوابت وكم فيها من الأقمار والتوابع ؟ وكم المسافة بيننا وبين آخر كوكب تراه ؟ اذا كنت لا تستطيع جوابا عن ذلك فكيف تدري مقدار السموات وانها جسم لطيف أو كثيف ؟ ومن ادراك من عدها ؟ مادمت لا تعتقد بكلام رب العالمين المنزل لتحدى الناس باقصر سورة منه . ان نعم الله لا تعد ولا تحصى ومعرفة عدم احصائها هو احترامها فينبغي اداء الشكر بامثال ما امر من العبادات *

قوله «واما بنعمة ربك فحدث» لان التحديث بها شكرها ولا سيما اذا كان ممن يقتدى بعمله فينبغي له ان يجاهر كي لا يكون سببا لوقوع الناس بالحرام اذا نالوا من عرضه بفاحش القول وكلام المهجرو بمجاهرتهم يكون قد قوى جانب أهل الخير وجعل عددهم زائدا وأن القاعدة الجارية في السكون أن كل عمل كثر أتباعه فهو مقبول محمود تتسابق الناس للاشتراك به وقد روى البخارى في الادب

وابوداود والترمذى عن جابر « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اعطى عطاء فوجد فليجز به فان لم يجد فليشرب به فمن أنشأ به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بمالم يعط كان كلابس ثوبي زور » وهذا كله اذا لم يشتمل على رياء ويتضمن غرورا وانفة والا فان التكتيم أولى، وقد روى أن أمير المؤمنين عليا كرم الله وجهه سئل عن الصحابة فأنشأ عليهم خيرا فقالوا له حدثنا عن نفسك فقال مهلا فقد نهى الله عن التزكية اشارة الى قوله تعالى (فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى) فقيل له اليس الله تعالى يقول (واما بنعمة ربك فحدث) قال فاني احدث كنت اذا سئلت اعطيت واذا سئلت ابتديت وبين الجوانح علم جم فاسألوني »

واخرج ابوداود والترمذى وحسنه ابويعلی والبيهقي والضياء عن جابر ابن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من ابلى بلام فذكره فقد شكره وان كتمه فقد كفره » واخرج احمد والطبراني في الاوسط والبيهقي عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أولى معروفا فليكنافى به فان لم يستطع فليذكره فان من ذكره فقد شكره »

وقال في الآية (فحدث) اشارة الى انه ينبغي ان يكون ذكر النعمة حديثا بان تعيده مرة بعد اخرى ولا تنساه ليكون شكرك في القلب واللسان معاً، وقوله « واذكروني اذكركم » اي اذكروني بالطاعة والاخلاص والمجاهدة في الدنيا اذكركم في الهداية ومزيد الاختصاص في الدنيا وبالرحمة في الآخرة فلا احل عليكم بعده غضبي ابدا . وذكر الله معلوم بانه توجه القلب وصرفه الى التفكير في اسرار المخلوقات لينعكس شعاع بصره الى عالم الجلال استدلالا بالاثار على المؤثر على ان تكون الجوارح مستغرقة في الاعمال المأمور بها وبعيدة عن الاعمال المنهى عنها ولذلك سمي صلاة الجمعة ذكرا في قوله (فاسعوا الى ذكر الله) فاذن قوله تعالى (فاذكروني) متضمن للعبادات كافة »

وَلَحْدِيثٍ أَنَّى ذَرَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ « قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانِي بَعْدَ مَا أَمَاتَنِي وَآلِيهِ النَّشُورُ » *

وَحَدِيثٍ صَهَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ أَنْ أَمْرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » *

قوله « باسمك اللهم اموت واحيا » اى احيا باسمك مدة حياي و اموت عليه فان اعتقادى ثابت فى الحياة وبعد الموت ان شاء الله تعالى ، وقوله « الحمد لله الذى احيانا بعد ما اماننا » سمي النوم موتا لانه يزول معه العقل والحركة فلا يزولان بالموت ومنه قوله تعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها) اى يتوفاهن حين ينامون فلا يتصرفون بشئ ولا يميزون شيئا كحالة الموتى ، وعن ابن عباس فى ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل والتمييز والروح التى بها النفس والتحرك فاذا نام الانسان قبض الله نفسه ولم يقبض روحه ، وبمحتمل ان يكون المراد هنا السكون كما قالوا ماتت الريح اى سكنت فىحتمل ان يكون اطلق الموت على النائم بمعنى ارادة سكون حرركته لقوله تعالى (وهو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) الآية قاله الطيبى والله اعلم *

قوله « ان امره كله خير » اى انه ما جور فى سرائه وضرائه اى لا ينفك الاجر ملازما مادامت نيته حسنة فى اداء العبادة والانسان لا يمكن ان يخلو

وَبِهِ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ قَالَ أَنَا الْخَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ قَالَ أَنَشِدْنِي
 أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي ذُهْلٍ . قَالَ أَنَشِدْ أَبُو الْحَسَنِ الْكِنْدِيُّ الْقَاضِي
 إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ تُزِيلُ النِّعَمَ

عن هاتين الحالتين اما السراء فيشكر الله وينال رحمته وجنته واما الضراء
 فيصبر عليها وينال اجره بغير حساب وجنات لهم فيها نعيم مقيم وهذه نعمة
 عظيمة لا يقوم بها الا الشكر ولذلك جاء في الثناء الحمد لله على سرائه وضرائه
 لان في كل منهما اجر اعظم واو با جز بلا ما عدا الحكمة الالهية التي اوجدت
 ذلك الفعل بما يتعلق من اصلاح النفس او منفعة المجتمع لان افعال الله تعالى
 تصان عن العبث وكلها صادرة عن حكمة بالغة تدل على قدرة الخالق وعلمه
 انه على كل شيء قدير وقد احاط بكل شيء علما *

قوله «فان المعاصي تزيل النعم» وذلك لانها تسبب غضب الله تعالى لمنافاتها
 العبودية اذ ان من عرف قدرة سيده وكرمه وعلمه لا يسعه ان يخالف امره ويظهر
 عصيانه فالعاصي لسان حاله يتكلم عنه بانه غير معترف بوعيد الاله ولا مكترث
 بعذابه اذ لو كان مصدقا بما قاله الله في ذنابه لما اقدم على المخالفة فان المسافر
 اذا اراد سلوك طريق واخبره احد بوجود اشقياء فيها يسلبون الناس اموالهم
 دون ارواحهم فتجد ذلك المسافر يترك السفر او ينهج طريقا آخر لا اعتقاده
 صدق المخبر وان كان جبانا يكفيه الخبر ولو من كاذب كي تغلب الواهمة
 اما العاصي لو صدق الرسول بما جاء به لما ارتكب المعصية ولا سيما عقب
 النعمة اذ بدل الشكر بالمعصية فكان حقه زوال النعمة لمخالفته كما ان دوامها
 لمن راعى حقوقها بالشكر والاعتراف بفضل الآله جل جلاله

قَالَ أَخْبِرْنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ قَالَ سَمِعْتُ الْحُسَيْنَ بْنَ يُونُسَ
الْقَزْوِينِيَّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ أَحْمَدَ بْنَ اسْحَاقَ قَالَ سَمِعْتُ الْجَنِيدَ
قَالَ سَمِعْتُ السَّرِيَّ يَقُولُ: الشُّكْرُ نِعْمَةٌ وَالشُّكْرُ عَلَى النِّعَمِ نِعْمَةٌ إِلَى
أَنْ لَا يَتَنَاهَى الشُّكْرُ إِلَى قَرَارٍ *

وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي أَوَّلِ كِتَابِ الرِّسَالَةِ: الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي لَا يُودَى شُكْرُ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِهِ إِلَّا بِنِعْمَةٍ مِنْهُ تُوْجِبُ عَلَى
مُودَى ذَلِكَ الشُّكْرِ (١) *

وَبِهِ أَنَا الْبَيْهَقِيُّ قَالَ أَنبَاْنَا أَبُو الْقَاسِمِ أَنبَا أَحْمَدَ بْنَ سُلَيْمَانَ أَنَا ابْنُ
أَبِي الدُّنْيَا الْخِ قَالَ فَأَنْشَدَنَا مُحَمَّدُ الْوَرَّاقُ

لِأَنَّ كَانَ شُكْرِي نِعْمَةً اللَّهُ نِعْمَةٌ	عَلَى لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ
فَكَيْفَ يَصِحُّ الشُّكْرُ إِلَّا بِفَضْلِهِ	وَأَنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ وَاتَّصَلَ الْعُمُرُ
أَذَا مَسَّ بِالسَّرَّاءِ عَمَّ سُرُورُهَا	وَأِنْ مَسَّ بِالضَّرَّاءِ عَقَبَهَا الْأَجْرُ
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ مَنَّةٌ	يَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالْبُرُوجُ الْبَحْرُ

(١) الَّذِي فِي الرِّسَالَةِ هَكَذَا «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُودَى شُكْرُ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِهِ إِلَّا بِنِعْمَةٍ
مِنْهُ تُوْجِبُ عَلَى مُودَى مَاضِي نِعَمِهِ بِأَدَائِهَا نِعْمَةً حَادِثَةً يَجِبُ عَلَيْهِ شُكْرُهَا بِهَا»

وَأَخْبَرَنَا مَنْ غَيْرِ رَوَايَةِ السَّيِّمِيِّ جَمَاعَةً يَبْتَنِينَ فَقَطُّ *

إِذَا كَانَ شُكْرِي نِعْمَةَ اللَّهِ نِعْمَةً * عَلَى لَهُ فِي مِثْلِهَا يَجِبُ الشُّكْرُ

فَمَا لِي عَذْرٌ غَيْرَ أَنِّي مُقَصِّرٌ * وَعَذْرِي إِقْرَارِي بِأَن لَيْسَ لِي عَذْرٌ

(٣٤) حَفِظَ اللِّسَانَ عَمَّا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَيَدْخُلُ فِيهِ الْكَذِبُ

قوله « ويدخل فيه الكذب » وهو اخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه فهو اشنع الخصال واقبح الفعال اس المآثم وعلة الخباثت والفساد ذلك لانه محل للنظام ومزيل للثقة والتبادل للذين لا يستغنى عنهما المجتمع في حال من الأحوال فلا يحصل مرض ولا تنفع فتنة الا وكان للكذب اليد الطولى في ترويجها وتمهيد الشروع فيها لم يذم الدين الاسلامي خصاصة كما ذم الكذب وعن عبد الله بن جزء قال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل يزني المؤمن قال قد يكون ذلك قال يا نبي الله هل يكذب المؤمن قال لا ثم اتبعها صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقول الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله » الآية *

فتراه اجاز وقوع الكبائر من المؤمن ولكنه لم يجوز وقوع الكذب منه لما فيه من المضار التي اقلها رفع الاعتماد الذي يعيش به العالم وفيه أعظم ميزة للانسان لانه مدني بالطبع لا يمكن ان يعيش وحيدا عن العالم بل لا بد له من اعوان يتبادل معهم المنفعة حيث ان الوظائف الموزعة بين افراد النوع الانساني يستحيل أن يقوم بها واحد مهما عاش من العمر فهو كيف

يزرع مثلاً ويوجد آلات الزراعة ومتى يستخرج المعادن من الأرض ليسببها
الآن بل ان الاستخراج نفسه يحتاج لأدوات تكفل بايجادها توحيد المسعى
البشرى وانتقال الأعمال التي لم تكمل في عصر الى العصر الذي بعده وهذا
قسم العمل ولا بد من قسم يكفل النظام ويحفظ التوازن وعدم التعدى سواء
أكان من المجموع نفسه ام من غير المجموع فاصبح هذا الجمع الغفير او الامة
او سم ما شئت محتاجا للتفاهم بعد اضطرار المجتمع الى كل واحد لانه
لا معنى له الا انه جملة الأفراد وهذا يقوم به النطق ولذلك كان الفصل المميز للانسان
عن غيره من الأنواع فلا يحصل الحد التام للانسان مع الجنس القريب
الحيوان الا بالفصل القريب النطق حيث جعلوه في مرتبة الذاتيات لشدة
الاحتياج اليه فاذا لاتم بيان ماهية الانسان التي هي الحيوان الناطق الا
بالنطق لان الحيوان يشمل الانسان وغيره *

وحيث ان النطق هو الركن الأعظم الكافل لاتنظام المجتمع البشرى
فاذا كان خلاف الواقع فقد اصبحت لا وجود له حكماً اذا قيمة له اصلاً بنظر
العاقل فاتضح لنا ان الكاذب ليس انساناً لفقده الفصل المميز له كما قلنا وهو
النطق فلا فرق بين كلام الكاذب وبين نبح الكلاب ونهيق الحمير من حيث
ان كلا منهما لا تنتج منه فائدة *

هذا بحسب الصورة واما بحسب الحقيقة فان نبح الكلاب جدير بالتقديم
عليه لأنه يستفاد منه فيما اذا هزأوا او خائفوا او طامعاً لا تخفى على صاحبه
حالته لأنه لا يعرف خلاف الحقيقة اما الكاذب فانه يشوه الحق ويقلب
الحقيقة فليت الأمر وقع عنداهما له ولذاته قد يجد من لا يدري عنه شيئاً وينخدع
حتى يقع في براثنه او برائنه سيده ان كان عالماً ما جوراً لغيره وهذا ما جعل الشرق
مستعمرة حيث لعب فيهم الكذب ادواراً مهمة لا اعتقادهم انه لا وجود له عند المستعمر
فيصدقونه ولا يصدقون كلام الله في قوله (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) فوقع ما

وقع وكان امر الله قدرا مقدورا هـ

والمصيبة العظمى ان هذا المرض الذى قضى على الشرق واوصله الى ما هو عليه من التعاسة والشقاء ظن به الناس أنه كما كان سبب شقوتهم فسيكون سبب نجاحهم لذلك عم امره وطم وشهر واشتهر ولم يترك بيتا الا وتربع فيه او استوطنه بل اصبح امرا لازما يعد من ضروريات الحياة فقاتله محترم وتارك الكذب يعدونه مغفلا او لا يدري من الحضارة والمدنية شيئا هـ
والاغرب من هذا ان الوقاحة بلغت في عصرنا الحاضر حدا لا يمكن تعريفه بعبارات مهما كانت بليغة ومهما اطنب فيها قائلها او اتسع ذلك لأن الكاذب لا يخجل من ان يكلفك بتصديقه اذا كان داعيا الى ضلالة او ان له غاية الا يقاع بك رغما عن علمه بانك عا لم بكذبه فاذا وجد صلابته منك يزعم بان الكذب للصلحة جائز وانه يريد منفعتك ويقدم بعض النقود بينة على صحة القول او ثمنا للحكم بالصحة فيخدع المغفل ويقع الاثنان فى قبضة ذلك الكاذب فيأخذهما وما ملكا وتكون تلك النقود اليسيرة بمثابة طعم يوضع فى الفخ للاصطياد ، والعجب ان كلمة « الكذب » ينفر عنها كل من يسمعها ولا تجد من يستحسنها ومتى وقع الخبر كاذبا تجد له انصارا مروجين له فلا أدري لماذا ؟ وهل فقد الناس عقولهم ؟ ام ان ماهية الكذب تعاب من حيث هى فاذا وجد الكذب فى قول انقلب قبجه حسنا وخطره فرضا وعد قائله مخنكا مجربا سياسيا مفكرا هـ

وقد اشتهر امر الكذب حتى لم يترك صنعة ولا طبقة الا وزاع فيها امره فالتاجر او صاحب الصنعة يعتقد ان بضاعته تأسدة اذا لم تروجها الايمان الكاذبة وهذا سبب ذم التجار فى حديث البيهقى عن عبد الرحمن بن شبل قال سمعت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله يقول « ان التجار هم الفجار قالوا يا رسول الله أليس قد احل الله البيع قال بلى ولكنهم يحلفون

فيأثمون ويحدثون فيكذبون اه هـ

وقس عليها الطبقات العالية والبائسة الأولى تستعمله للتهديد وتهويل أمرهم
والثانية للذكر والخداع والتخلص من اضرار الاغنياء والزعماء وان نفس
الطائفة تستعمله في مدح الرجل والاطناب في فضله ولاسيما في وجهه
واظهاره بمظهر الاجلال والتكريم مع أنه لا يستحق الا الاهانة واللعن
والطرد ، ولكن مصيبة الكذب وعمومها امر تغفل في النفوس حتى ازاح
الايمان عن موضعه واشغل محله . هذا كله في الكذب على الناس واما الكذب
على الله ورسوله فذلك الخطب العظيم والطامة الكبرى ، وهو البلاء الذي
اقعد المسلمين عن طريق السلف الناجح حيث زوروا على لسان الرسول
احاديث قضت على مجد الاسلام ومزقت شمله بل كادت تزيل الاسلام من
عالم الوجود لولا غناية الله ووعد الصديق على لسان رسوله لما رواه مسلم
في صحيحه عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم « لن
يربح هذا الدين قائما يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم
الساعة » اه هـ

وذلك لان هذا الطريق اهون عليهم من غيره مادام امر الله باتباع
السنة في قوله تعالى : « وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »
ولان كلام الله لا يمكن دخول تحريف عليه بعد قوله (انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون - كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد) وكان الرسول قد اطاعه الله على ما تبخيه الطائفة
السلفية من افتراء الاحاديث فقال صلى الله عليه وآله وسلم كافي مسند احمد
والصحيحين واصحاب السنن عن انس « من كذب على متعمدا فليتبوأ
مقعده من النار » ولكن طمعهم في الاضلال عداوة اول للحصول على مظهر
دينوى وقت اغفلهم عن هذا الوعيد الذي برهن على ان اعتقادهم غير

صحيح لانه لو كان تاما لاحتجموا عن النار ولو وقفوا عند حدود الشريعة
واتباع المأثور *

﴿واقبح﴾ من ذلك كله نعمة جديدة هي اخت الكذب بل العن منه هي
انكار السنة او الطعن فيها والخط من كرامة كل حديث يرويه أئمة المذاهب
مقيد عنهم بمن روى بعدهم من المحدثين الذين هم اتباع أولئك الأئمة فلم
يخرجوا من الزام السابق بمن بعده بسنين واخبار المتبوع على ان يكون تابعا
لمن بعده بسبب ان هؤلاء الجهلة وانجال السلولين معنى اذا لم يعلموا
الامر ولم يطلعوا على الحديث او الدليل او كانت فكرتهم تقصر عن
تصور تلك المعاني العالية فما اسهل من انكار الحديث اذا لم يوافق ذوقه
واذا جاء الحكم حسب مزاجه فيؤيد صحته بحديث موضوع أو هو يفتره أربوسع
لنفسه مجالا لتحكيم العقل واما الخصم فلا يحق له الفهم ولا القياس
بل يجب عليه ان يقف عند ظاهر العبارة ولا يحمل حديثا مطلقا على
آخر مقيد سبحانه هذا بهتان عظيم *

قوله « والغيبة » وهي ذكرك اخاك بما يكره وذلك بان تشيع
عنه اولا من الاعمال التي لا مدخل له فيها وكانت موجودة بغير كسبه
وارادته فهذا هو اساس الغيبة التي نهى عنها الشارع وذمها ذما قبيحا
لان الديانة الاسلامية جعلت المرء مؤاخذا عن نفسه فقط فقد قال
تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة) فما يقع الآن من شتم الرجل بما عليه ابوه
أو امه او خاله او عمه او اخته او اخوه فان هذا غيبة تحرم واكل لحم اخيه
المحرم فلا يحق الكلام على هؤلاء من جراء هذا ولا على هذا من جراء
أولئك واى ذنب له في وجوده في وسط بيئة ليس راضيا عن فعلها ، واشنع

من هذا أن يعيب خلقته باظهار ما في جسده من عيوب كعور وعرج وبشاعة صورة فان هذا في الحقيقة ليس غيبة للرجل وانما هو انتقاص لخلق الله وتحقير لصنعه البديع فهذا هو الذي ذمه الشارع بقوله «ذكرك أخاك بما فيه» فهذا هو الموجود فيه واما ما عليه من الاعمال الموبقة والافعال المنكرة فانه لا يكره ذكرها فهو لم يستح من الله ليستحي من الناس فمن كان مجاهر باظلم أو امر قبيح غير مشروع فذكر مثل هذا لا يسمى غيبة لأن صاحبه لا يكرهه بل يفخر به على الأقران وبعد ارتكابه فضلا يستحق به التقدم على غيره فمثل هذا لا مانع من ذكر ما هو عليه ليحذره الناس فلا يعتمدون عليه ولا ينجشون بالبراءة الأصلية بل قد يجب اذاعة حاله اذا ظن انه لا يقف عنده هذا الخد بل لا يبرح حاله السيئ في ازدياد وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم كما رواه الترمذي عن أبي هريرة «من غش فليس منا» فشخص ليس منا لماذا ندافع عنه ونزعم أن هذا حرام أمن العدل ان نسكت عن عيبه وهو يزداد في امره بغيا وعتوا؟ ثم ان الشريعة التي جعلت للعاصي حدودا وتغزيرات لا تقام الا بمشهد طائفة من المسلمين حاشاها ان تمنع التكلم بحق هذا العاصي الا ان يكون قد تاب عن غيه وسلك مسلكا حسنا فمثل هذا لا يجوز ذكر ماضيه لأنه لا داعي له الا اذى اخيه المسلم واضراره فهذا هو الحرام بلا شك وان ذكره لمساويه كان منبعثا عن مسائل شخصية وغضب وعداوة ولولا ذلك لستر جميع سيئاته فهذا هو الغيبة التي حرمها الشارع ونهى عنها هـ

(و النيمة) هي التحدث مع قوم ليكشف لهم ما يكرهونه فينقله لغيرهم «بعبارة او اشارة او غير ذلك وهذه من اقبح العيوب لأنها عبارة عن الغيبة

(م ٨ - مختصر شعب الايمان)

وَالْفَحْشُ إِذَا الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ مَشْحُونَانِ بِذَلِكَ

وتزيد عليها بان القصد السىء موجود في اول الامر وبداية الملاقاة
ففور شر باعتبار المبدأ والمنتهى اذ ان الغاية منها هو الفساد والافساد
فاذن جميع ما جاء في ذم الغيبة داخل فيها وكل ماورد في ذم الفساد يشملها
فهى مركبة من شيئين قبيحين الغيبة والفساد بين الاخوان او في الارض
اذا كان عاما

قوله «والفحش» هو ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقذه العقل الموزون وقد نهى الله
تعالى عنه بقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان وابتأذى القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر فحفظ اللسان من الفحش هو من شعب الايمان العظيمة بل ان الفحش مناف
لحديث البخارى وابى داود عن عبد الله بن عمر وقال قال رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر
ما نهى الله عنه» وفقرة الحديث الاولى رواها مسلم عن جابر ايضا فقول
الفحش ليس من شأن المسلم فقد روى الامام احمد في مسنده عن ابن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان
ولا الفاحش» فهذا يكفى ذم للقائل بالفحش المتنافى الايمان لان اللسان غالبا
يترجم عما في النفس فما يكنه الفؤاد ويمتلا منه يفيض على لسانه فينطق
بما هو عليه من خير وشر ولذلك عرفوا الحلليم بانه من يملك نفسه عند الغضب
حيث يعرب عن خلوه عن مادة الفحش أو انها وان وجدت شان طبيعة
الانسان فان وعاءه اوسع من ان يمتلى بهذه المادة الصغيرة بنسبة اخلاقه
الفاضلة ومزايه العالية بخلاف من يتكلم بالفحش فهو يدل على دناءة طبعه وان
في دماغه نقصان فهو لا يتسع لما يرد عليه من المؤثرات فيطور ويتغير وعلى كل فانه
نقص مناف لاصل الايمان عادة او كماله حقيقة والله اعلم *

كَقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ) وَقَوْلِهِ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) وَقَوْلِهِ (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)
 وَقَوْلِهِ (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصَّدَقِ إِذْ جَاءَهُ) وَقَوْلِهِ
 تَعَالَى (وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) وَقَوْلِهِ
 (إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ) ٥

قوله «ان الذين يفترون» أى ان من كانت صفته افتراء الكذب على الله
 فى المعتقدات الدينية اوفى المعاملات بين الناس اوفى نفسه ليعش به الغير مستعملا
 هيشته مصيدة للخلق ليعشهم لا يفلحون فلا يفوزون بمطلوب اخر وى ولا ينجون
 من بلاء دنيوى فلهم فى الدنيا متاع قليل مدة حياتهم الجزئية بالنسبة
 لمضجع القبر والآخره الباقية فلا يغرك ما ترى من رواج احواله او كمال
 شؤنه فان ذلك موقت ليزدادوا عذابا فوق العذاب بما كانوا يعملون
 ولذلك قال تعالى فى تكملة الآية (ثم اليها مرجعهم) أى ان مصيرهم اليها
 فى الآخرة لحكمنا بذلك عليهم فيجازون اشد الجزاء ويرون الاهوال
 والشدائد (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) فى الحياة الدنيا فالعاقلة
 يدرك ان نعيم ساعة خلفه عذاب دائم هو عين العذاب بل اشدّه لان الانتقال
 من الرفاهية الى الشدة ومن النعيم الى الجحيم عذاب فوق العذاب ولهذا كان
 عذاب الكفار يوم القيامة اشد ما يكون عند ما يرون اصحاب الجنة كما قال
 تعالى (ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم
 الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم هوا ولعبا وغرتهم
 الحياة الدنيا فاليوم ننسأهم كانسو القاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يحمدون)

وَلَحَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّاحِحَيْنِ «إِنَّ الصَّدَقَ
يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَصَّدَّقَ حَتَّى يُكْتَبَ
عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى
النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَكْذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا» *

وهذا جزاء الافتراء يوم القيامة اذ يفتضح صاحبه على ملائكة الشهاد ولا
يكفيه ذلك حتى يطلب من اهل الجنة ما كي يعرفوه لينتشر حاله وما كان
عليه من القول بالباطل واختلاق الامور التي ما انزل الله بها من سلطان
فخسأله تعالى ان يحفظنا من الخطا في القول والعمل انه سميع الدعاء *
قوله «ان الصدق يهدي الى البر» أي يوصل بجميع انواعه الى طرق
الخيرات كلها لانه يطلق على صدق اللسان ويقابله الكذب ويطلق على
صدق النية أي الاخلاص فيها فيراعى معنى الصدق ولا يغفل عن عمله بحيث يشرد
ثقله وفكره عند مباشرة العبادات ويطلق على الصدق في العزم بحيث
يقوى عزمه انه اذا ولي امرا يؤديه حقه من اقامة قسطاس الحق وعدم ظلم
احد من خلق الله ويطلق على الصدق في الوفاء وذلك عند استيلائه فعلا
على منصب بحيث لا يدخل في قوله تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا
من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به
وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا
الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم
وان الله تلام الغيوب) ويطلق على الصدق في الاعمال بحيث تستوى سريره
وعلايته فمن انصف بالجميع فهو الصديق الحقيقي *

وَحَدِيثَ سَهْلَ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ «مَنْ يَضْمَنْ
لِي مَا بَيْنَ الْحَيَّةِ وَمَا بَيْنَ فِخْذَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ» *

وقوله «وان البر يهدى» أى يوصل الى الجنة وان الرجل يصدق
فى السر والعلانية ويتكرر ذلك منه الى ان يصل به فرط صدقه الى الصديقية
وهى اعلى مرتبة بعد مقام النبوة فيدخل فى عداد تلك الزمرة التى من احبها
فقد نجا وحشر معها فكيف بمن يعد منها وان الكذب ليهدى ويوصل
الى الفجور وان الفجور يهدى أى يوصل الى النار لقوله تعالى (ان الأبرار لفى
نعيم وان الفجار لفى جحيم) *

وقوله «وان الرجل ليكذب» ويتكرر منه بدوامه عليه «حتى يكتب
عند الله كذابا» فيحكم عليه بذلك ويظهره الله للملأ الاعلى وينتقل الى قلوب
اهل الأرض والسنتهم فيستحق عقاب الكاذبين من لعن وغيره
وفى هذا الحديث اشارة الى ان التمرن له تأثير عظيم فى اثبات الخصلة
التي عليها المرء من خير وشر فينبغى ان يواظب الانسان على عمل الخير
ليكون له خلقا كما يجب عليه هجر الشر حتى يبلغ به الحال الى ان ينقر منه
عند رؤيته فلا تطيب به نفسه لى لا يجد الشيطان والنفس مسلكا لافساد
لان اكل امرئ من دهره ما تعود *

قوله (من يضمن لى ما بين الحية) بفتح الياء وسكون الضاد المعجمة والجزم
من الضمان بمعنى الوفاء بترك المعصية فاطلق الضمان واراد لازمه وهو
اداء الحق الذى عليه وقوله (الحية) بفتح اللام وسكون المهملة والتننية هما
العظمان فى جانبى الفم واراد بما بينهما لسانه لانه الواقع بين اللحين أى
حائطا الفم اللذان فيهما الاسنان من داخل الفم من كل
ذى لى وهو الناطق المعبر عما فى الفؤاد من الخفايا والمكونات وقد جعل

الشارع العقوبة منوطة به والا فان الانسان قد يتصور امورا منكرا لو يؤخذ
عليها لما بقيت له حسنة ولحبط عمله في اليوم الواحد مرات عديدة كما
انه يؤاخذ في قوله وان يكن غير مهم بما يحصل منه بداعي المزح او نحو
ذلك فقد روى البخارى عن ابى هريرة مرفوعا «ان العبد ليتكلم بالكلمة
لا يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم اربعين خريفا» حيث صدرت
باختياره لها وكان عليه ان يحص ما يتفوه به حتى لا يصدر عنه
الا ما يرضى به الله تعالى *

وقوله «ما بين فخذه» يريد بذلك الفرج لانه منبع الفساد وخراب العائلات
والبيئات حيث ان الانسان يتعاق قلبه بمن كان من ارحامه فافشاء الزنا
يسبب اهمال الاولاد الحاصين منه لعدم وجود من يربهم تربية صحيحة
فيعيشون غير كاهلى الاخلاق محتقرين ينظرون يعرفهم ناعمين على المجموع
الذى جمعهم منقطعين بلا رابطة صلة ولا وشيجة رحم يتعاقون بها لاسيما
ان انتشار هذا الداء الفتاك في امة يقلل نسلها الذى هو الجيل الآتى ويتركها
متدهورة في السقوط ونقصان المال والرجال والهبة حتى لو كانت في اوج
العلا حالها فان مصيرها الى المحو والهلاك مستقبلا اما تدريجا واما
بصورة مستعجلة *

وتأمل ادب الشارع حيث عبر عن الفرج بما بين الفخذين ليعلمنا كيف
يجب ان نسلك مع الغير في مخاطباتنا وحادثتنا بانتقاء الالفاظ البعيدة عن
كل فحش وسفاهة ومجون *

ومن امعن النظر يجد الشر ينشأ من هذين الشئيين اللسان والفرج فكل
الشر فيهما فن حفظهما فقد استكمل انواع الايمان وحاز على اشرف حلية
الآداب والفضائل *

وقوله «اضمن له الجنة» جواب الشرط مجزوم به

وَحَدِيثُ أَبِي شُرَيْحٍ الْخَزَاعِيِّ فِيهِ أَيْضًا «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمِتْ» *

قوله «فيه ايضا» اى فى صحيح مسلم وكذلك فى البخارى فيكون متفقاً عليه ورواه ايضا الامام احمد فى مسنده . والنسائى . وابن ماجه .
وقوله «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت» اى انه اذا اراد ان يتكلم فان كان ما يتكلم به خيرا يثاب عليه واجبا او مندوبا فليتكلم وان لم يظهر له انه خير فليصمت عن الكلام سواء ظهر له انه حرام او مكروه او مباح مستوى الطرفين فعلى هذا يكون المباح مأمورا بتركه مندوبا الى الامساك عنه مخافة من انجراره الى المحرم او المكروه وهذا يقع فى العادة كثيرا او غالبا وقد قال الله تعالى (ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) وقد اخذ الامام الشافعى معنى هذا الحديث فقال اذا اراد ان يتكلم فليفكر فان ظهر له انه لا ضرر عليه تكلم وان ظهر له فيه ضرر أو شك فيه امسك، وروينا عن الاستاذ ابى القاسم القشيرى رحمه الله قال الصمت سلامة وهو الاصل والسكوت فى وقته صفة الرجال كما ان النطق فى موضعه من اشرف الخصال قال وسمعت ابا على الدقاق يقول من سكت عن الحق فهو شيطان اخرس قال فاما ايشار اصحاب المجاهدة السكوت فلما علموا ما فى الكلام من الآفات حم ما فيه من حظ النفس و اظهار صفات المدح والميل الى ان يتميز من بين اشكاله بحسن النطق وغير ذلك من الآفات وذلك نعت ارباب الرياضة وهو احد اركانهم فى حكم المنازلة وتهذيب الخلق، وروينا عن الفضيل بن عياض رحمه الله قال من عد كلامه من عمله قل كلامه فيما يعنيه وعن ذى النون رحمه الله اصون الناس لنفسه امسكهم لسانه والله اعلم اه من كلام النووى على مسلم باختصار *

(٣٥) الْأَمَانَاتُ وَمَا يَجِبُ فِيهَا مِنْ أَدَائِهَا إِلَى أَهْلِهَا • لَقَوْلِهِ تَعَالَى
(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) • وَقَوْلِهِ تَعَالَى (فَلْيُؤَدِّ
الَّذِي أُتُمِنَ أَمَانَتُهُ) •

قوله «الامانات» الخ جمع امانة وهي كل ما افترض على العباد كصلاة وزكاة
وصيام واداء دين واوركدها الودائع وأوكد الودائع حفظ الاسرار ولعظم
هذه التكاليف وصعوبة العمل بها على الوجه اللائق قال تعالى (انا عرضنا الامانة
على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
انه كان ظلوما جهولا) باعتبار اغلب افراد النوع حيث لم يحصل في عصر
من الاعصار ان كان المؤمنون هم اغلبية افراد العالم فكيف لو جمعت
الازمنة كافة ؟ فهذا الاعتبار حكم على المجموع بانه ظلم لأنهم لم يؤد الامانة
التي قبلها بحسن رضائه فخالف الفطرة الاصلية وعصا قلبه متبعا هواه
جهولا حيث اضاع الاجر العظيم الذي وعده الله عليه من دخول
الجنة فالرضاء الذي يحل عليهم فلا يسخط ابدا •

فان قيل ان الامانة هي التكاليف وقد رضى بها الناس جميعا لأن
الكفار مكلفون باحكام الشريعة فينبغي ان يكونوا مأجورين من هذه
الجهة ايضا فالواجب كما افاده الفخر الرازي ان الفعل اذا كان على خلاف
الامر لا يستحق الاجر فلو قال لعامل احمل هذه الاغراض الى قرية
فحملها الى اخرى في جهة ثانية لا يستحق العامل اجرا لمخالفته بل يجب
عليه ضمان الضرر وبما ان الكافر لم يؤد ما قبله بفطرته السليمة وعمل
بالعواطف وهوى النفس فهو يستحق العقاب والعذاب الدائم وانما لم تحملها
السموات والأرض لفقدانها مزية العقل والادراك التي بها امتاز البشر

على بقية المخلوقات ان عمل بموجبها هـ

وقوله «ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها» المروى عن زيد بن اسلم ان هذا خطاب لولاة الامر في اداء واجب الوظيفة حفظا لحقوق الرعية من ان يصيهم اجحاف او ظلم لان ازالة ذلك حق في رقبة الولاة واجب عليهم فهم المسؤولون عن كل ما يصيب الامة من ضرر واذى لاختيارهم منصب الرئاسة وعليهم ان يقوموا بواجب التربية والشرعية فان فعلوا ذلك فلهم من الاجر ما لا يمكن حصره لتضاعفه بمقدار من عمل به تتسع دائرة حسناتهم بقدر ما ينتشر العدل والاصلاح وإقامة شعائر الدين وعليهم من المسؤولية بمقدار ما يعم من الظلم فهم المتحملون لكل وزر ومسئولية عامة كما ان لهم الاجر العام ولذلك كان كتاب النبي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الى قيصر ملك الروم «أما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتلك الله اجرک مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسيين - اى العمال والفلاحين - ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون هـ

وقوله «فليؤدوا الذى اؤتمن امانته» نزلت هذه الآية في الذى ائتمن اخاه ولم يشهد عليه ولم يأخذ منه رهنا أى هذا المديون يجب ان يتقى الله ولا يجحد لأن الدائن لما عامله المعاملة الحسنة حيث عول على امانته ولم يطالبه بالوثائق من الكتابة والاشهاد والرهن فينبغى لهذا المديون أن يتقى الله ويعامله بالمعاملة الحسنة في ان لا ينكر ذلك الحق وفي ان يؤديه اليه عند حلول الاجل اهـ من الفخر الرازى ومن المعلوم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالمقصود وجوب اداء كل امانة واما هذه بخصوصها فيجب ان تكون المحافظة عليها اهم لانها عبارة عن تأسيس تبادل الثقة التى هى حياة الامة ولهذا كان التشديد على حفظ الامة عظيما

وَلَحْدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «إِذَا الْأَمَانَةُ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ ،
وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» وَلَحْدِيثِهِ فِي الصَّحِيحَيْنِ ، «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ

حتى انه روى الطبراني عن ابن عمر لايمان لمن لا امانته له ورواية البزار لادين
لمن لا امانته له ولا صلاحه ولا زكاه له اهـ . وهذا حق مشروع لان من لا امانته
له كاذب في عبادته فلا ينبغي ان يحكم الانسان على رجل بمجرد صلاته
انه رجل طيب فان سيدنا عمر لم يرض بتزكية من عدل شخصا لكثرة
صلاته وقال له هل عاملته بالصفراء والبيضاء الى اخره فالدين المعاملة ولا
عبارة بالظواهر ولا سيما في عصرنا هذا فقد اتخذ الناس العبادة شركا
لاصطياد الناس والاستيلاء على اموالهم ولهذا قال تعالى ان الصلاة تنهى عن
الفحشاء والمنكر وقد حذرنا الرسول عن قوم بقوله فارواه البخارى . يحقر
احدكم صلاته عند صلاتهم وصيامه عند صيامهم لا يجاوز حناجرهم يمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية «فالدين المعاملة واعظم دعامة لها هي الامانة *
ترك المصنف عزو الحديث الى مخرجه خلاف عادة ، ولعله سهو منه عفى الله
عنه ، وعزاه الحافظ السيوطي الى البخارى في تاريخه الكبير وسنن أبي داود
والترمذي وحسنه والحاكم عن أبي هريرة ، والدارقطني . والحاكم والضياء
المقدسي عن أنس بن مالك ، والطبراني وكذا ابن عساكر عن أبي امامة
الباهلي ، وأبي داود والدارقطني عن أبي بن كعب ، واختلف علماء الحديث
في تصحيحه فصحيحه جماعة منهم ابن السكن ، وضعفه آخرون منهم ابن الجوزي
لكن كثرة طرقه تقويه هذا في السند واما المتن فصحيح المعنى

قوله «إِذَا الْأَمَانَةُ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» هذا
الحديث يمثل مزية الدين الاسلامي وانه دين السماح ودين العفو ودين
المرحمة حيث يقابل المسي بالاحسان والظلم بالرحمة والجور بالعدل

فَهُوَ مُنَافِقٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ . إِذَا حَدَّثَ كَذِبًا . وَإِذَا
وَعَدَ أَخْلَفَ . وَإِذَا أَتَمَّنَ خَانَ * »

والتعدي بالصفح وأنه يشير إلى الآية (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي
حميم) فلا تؤاخذ به بما فعل ونغمض النظر عن عيوبه فتتجاهل عنها ليرتدع ويعود
إلى الصواب إذا كان حرا كامل الإدراك حسن الفكرة *

وما قتل الأحرار كالعفو عنهم ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا
ولكن لما كانت الأمة غير متساوية فى الأخلاق والتصور والتحمل
جعل الشارع هذه مرتبة كبرى للذين لهم قدم راسخ فى الإيمان وتحقيق
فى الدين وأما الجماعة الذين لا يزالون فى دور البدء أو فى حالة الغفلة ولم
يصلوا إلى تلك المرتبة فقد أباح لهم الشارع أن يأخذوا حقهم بلا ظلم
ولا تعد قال تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)
وهذه رخصة لمن رأى أن نفسه لا تطيب بالمساحة لأن نفسه لم تهذب كما
ينبغي ولا يزال مدفوعا بالعوامل النفسية *

قوله « فهو منافق وإن صلى وصام » الخ إشارة إلى وجوب عدم الاغترار
بالصورة والأعمال الظاهرة فلا يجوز أن نسى الاعتقاد باحد ولكن لا يسوغ
لنا أن نقدره قبل أن نعرف ما تنطوى عليه نفسه فكيف نثق بالرجل
الذي كذب ولو كان اعلم الناس ؟ ولا سيما بعض المشايخ الذين يزعمون أن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحضر دروسهم وغير ذلك من الافك العظيم
ليحصلوا على شهرة ومكانة ونسوا عذاب الله وإن ربك لبالمرصاد . ولا
ينبغي أن نثق بالخائن ولو كان أكثر الناس عبادة ولا نعتمد على مخلف
الوعد وإن ظهر بمظهر الصلاح والورع . فالدين لم يترك لنا شيئا من الخير
إلا أمرنا به ولا جزءا يسيرا من الشر إلا نهانا عنه ؟ وحاشاه أن يقبل

(٣٦) ، تَحْرِيْمُ قَتْلِ النُّفُوسِ وَالْجَنَائِيَّاتِ عَلَيْهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى
 (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا أَجْزَأُ مِنْهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ) الْآيَةُ
 وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) الْآيَاتُ ۞

وَلِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ « قَاتِلُ
 الْمُسْلِمِ كُفْرٌ وَسَبَابُهُ فُسُوقٌ » ۞

التغفل وان يكون المؤمن مغفلاً يصدق كل ما قيل له ويتبع كل ناعق بل
 لو صدف ان وقع مرة فلا يحق له ان يقع فيها مرة أخرى بعد قوله صلى
 الله عليه وسلم كما في مسند الامام احمد والصحيحين عن ابى هريرة « لا يلدغ
 المؤمن من جحر مرتين » ۞

قوله « تحريم قتل النفوس » وهو من اكبر الكبائر واجمعت الامم قاطبة على تحريمه
 فلم يجوزده شرع ولم يستحسنه عقل لانه طاعة النفس في داعية الانفعال والغضب وهو
 اعظم سبل الفساد في الارض فيما بين الناس لمخالفته لسنة الله في ارسال الرسل ونشر
 الاديان محافظة على بقاء النوع الانساني وتكثير افراده وعيشهم بلا تعد
 على بعضهم ولا تجاوز بل ان القتل تغيير لخلق الله حيث يسعى في ازالة الموجود
 وافناء الحاضر واسكات الناطق واسكان المتحرك فيكون هادما لبنيان
 الله العجيب الذي هو الانسان الجرم الصغير الذي انطوى فيه العالم
 الاكبر . فيكون جزاء فاعل هذا الجرم العظيم جهنم خالدا فيها
 وغضب الله عليه لما ان الساعي لابقائها له الاجر العظيم كما قال تعالى (ومن
 احياناها فكأنما احياناها جميعا) ۞

قوله « قاتل المسلم كفر وسبابه فسوق » الذي في الصحيحين « سباب المسلم

وَحَدِيثُهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ، « أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ » *

وَلِحَدِيثِ أَبِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ « لَا يَزَالُ الْمُسْلِمُ فِي فِسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصَبْ دَمًا حَرَامًا »

(٣٧) تَحْرِيمُ الْفُرُوجِ وَمَا يَجِبُ فِيهَا مِنَ التَّعَقُّفِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى

فَسَوْقَ وَقْتِهِ كُفْرًا ، وَلَعَلَّ الْمَصْنِفَ اخَذَ الْمَعْنَى مِنَ الصَّحِيحَيْنِ لِاعْتِمَادِ أَكْثَرِ النَّاسِ عَلَيْهِمَا وَاخْذَافَ اللَّفْظَ مِنْ رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ الْمُوَافَقَةِ لِمَا نَقَلَهُ الْمَصْنِفُ وَانَّمَا كَانَ قِتَالُ الْمُسْلِمِ كُفْرًا مَنْ اسْتَحْلَ ذَلِكَ فَإِنْ اسْتَحْلَالَ كُلَّ مُحَرَّمٍ مَعْلُومٍ مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ كُفْرًا مَا كَانَ غَيْرَ مُسْتَحْلٍ ذَلِكَ فَيَصْدُقُ عَلَيْهِ بِكُفْرَانِ النِّعَمِ حَيْثُ عَمِلَ خِلَافَ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ وَعَكْسَ حِكْمَتِهِ تَعَالَى *

« قَوْلُهُ أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ » لِأَنَّهَا أَكْثَرُ الذُّنُوبِ وَأَقْبَحُ الْأَفْعَالِ وَأَسْوَأُ الْمَعَامَلَاتِ وَلَا تَنَافَى بَيْنَ هَذَا الْحَدِيثِ وَبَيْنَ حَدِيثِ النَّسَائِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا « أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ » فَإِنَّ هَذَا فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ وَلِذَلِكَ جَعَلَهُ حِسَابًا وَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي أوردَهُ الْمَصْنِفُ فَإِنَّهُ مِنَ الْمَعَامَلَاتِ بَيْنَ النَّاسِ وَلِذَلِكَ قَالَ يُقْضَى أَيْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَصْمِهِ وَفَرَّقَ بَيْنَ الْقَضَاءِ وَبَيْنَ الْحَاسِبَةِ *

وَقَوْلُهُ « لَا يَزَالُ الْمُسْلِمُ فِي فِسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصَبْ دَمًا حَرَامًا » فَإِذَا أَصَابَ دَمًا فَقَدْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ لِمَا أَوْعَدَهُ اللَّهُ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَالْعِقَابِ الشَّدِيدِ وَلِأَنَّ الْعَفْوَ مَبْنِي عَلَى مَسَامَحَةِ الْمَقْتُولِ بَعْدَ إِرْضَاءِ وَرَثَتِهِ بِالْقَوْدِ وَالْأَدْيَةِ وَقَدْ خَرَجَ السَّمَاخُ عَنْ دَائِرَةِ الْأَمْكَانِ فِي الدُّنْيَا فَلَا يُمْكِنُ ذَلِكَ الْيَوْمَ

(وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) ، (وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ فُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) (وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)

القيامة ولا شك ان هذا هو منتهى الضيق وغاية الرب والازدراء *
وقوله « تحريم الفروج » اى الزنا واللواطه ويزاد على التحريم ان
جعل لها حدا خاصا وذلك لكثرة وقوعه بحسب النفس البهيمية عند هيجان
الشهوة والشبق عند وجود دواعيه من جمال امرأة او مداعتها او
الخلوة بها فوضع الحد مع الحرمة اذ يجوز ان تغلب العاطفة على العقل
فلا يلتفت الى ما ينتج من العار العظيم ووقوع العداوة واستحكامها
الى حالة قد تكون سببا فى سفك دماء كثيرة ولهذا جعل الشارع الشهادة
عليه باربعة شهود عليه فى الدنيا لى لا ينتشر الفساد فى الأرض وان كان
فى الآخرة قد اعد له العذاب الاليم لأن الله يهمل ولا يهمل ان ينالها بهم
ثم ان علينا حسابهم *

واللواطه داخلة طبعاً فى الزنا بل هى اسوأ حالا منه لأنها مخالفة
لسنة الله فى تكثير نسل النوع البشرى وتعطيل التناسل الذى حث عليه الشارع
حتى جعله عبارة عن السنة ولهذا احرق ابو بكر النار لوطيا باتفاق الصحابة
لشناعة فعله ولأنه مخالف للطبيعة ينفر عنه كل صاحب ذوق سليم ولذلك
اختلفوا فى حده فقال بعضهم: القتل مطلقا وقال بعضهم: حد الزنا رجم
المحصن حتى يموت وجلد غير المحصن أى غير المتزوج وتغريه عاما واحدا
وروى البيهقى عن جابر بن عبد الله « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان من اخوف ما اخاف على هذه الامة عمل قوم لوط » اهـ

وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وسلم فقد انتشرت هذه
الجرثومة المضرة والفعلة القبيحة وتطايير شرر ضررها وعم فسادها وراج

وَلَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِينَ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَنْتَهَبُ نَهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» *

سوقها فراج الكساد وعم الغضب وارتفعت البركة وكثرت الفتن وغلت الاسعار وصارت الارواح تذهب هدرًا وتعدد الخسف والخراب بالزلازل وطغيان المياه والحريق غفرانك ربنا واليك المصير ربنا لا تنزع قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب *

«وقوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» الخ أي اذا استحل له لان استحلال ما علم تحريره من الدين كفر كما قلناه سابقا وانه محمول على كمال الايمان فان نفى كمال الايمان الزاجر عن المعاصي لا يخرج المسلم من الايمان خلافا للخوارج وللحسن البصري كما في شرح النسفية القائل بكفر من تركب الكبيرة وخلافا للخوارج الذاهبين الى أنه منزلة عذاب دون عذاب الكفر *

ويحتمل عندي وانه الارجح ان الايمان يسلب عنه حال تلبسه بالمعصية ويعود اليه بعد الاقلاع عنها ، ويؤيده قول ابن عباس الآتي فعن عكرمة قلت لابن عباس كيف ينزع منه الايمان قال هكذا وشبك بين اصابعه ثم اخرجهما فان تاب عاد اليه هكذا وشبك بين اصابعه ، ويستدل على ذلك بما في سنن ابي داود والحاكم من طريق سعيد المقبري بسند صحيح عن ابي هريرة رفعه «اذا زنى الرجل خرج منه الايمان فكان عليه كالظلة فاذا اقلع رجع اليه الايمان» وعند الحاكم من طريق اس حجية انه سمع ابا هريرة رفعه من زنى او شرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلم الانسان قميصه عن رأسه *

(٣٨) قَبْضُ الْيَدِ عَنِ الْأَمْوَالِ وَيَدْخُلُ فِيهَا تَحْرِيمُ السَّرِقَةِ *
وَقَطْعُ الطَّرِيقِ وَأَكْلُ الرِّشَاءِ وَأَكْلُ مَالٍ يَسْتَحِقُّهُ شَرْعًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى :

قوله «تحریم السرقة» هي اخذ انسان مكلف خفية قدر ربع دينار محرز
بمكان او حافظ بلا شبهة وهذا تعريف لما يوجب الحد وهي قطع اليد اليمنى
فان كان اقل من المقدار المذكور فانه يوجب التعزير بما يستحقه المجرم
حسبما يراه الحاكم كافيا لتأديبه مع ملاحظة اعتبار الغير به ليمتنع
عن مثل عمله *

وانما جعل الشارع لها حد القطع لان الاشخاص الذين جبلت نفوسهم
على التقاعد والكسل والنظر الى ما في ايدي الناس من المال مع شره النفس الخبيثة
يميلون الى السرقة لانها اقل تعباً وكلفة واكثر ايراداً ومكسباً فيستفيد احدهم
من الخلسة فلا يجد له ما يردعه عن ارتكاب السرقة الا حداً كبيراً في
قطع عضو من انفع اعضائه واعزهم لديه والزمهم اليه لان المال عرض
زائل وفي مذهب الامام الشافعي ان عليه الضمان مع قطع اليد فيبقى خاسراً
في الدنيا كما يكون خاسراً في الآخرة اذا لم يطهره الحد مع التوبة منه على
ان لا يعود فيضطر لان يحارب الطمع ولا يلتفت الى الهوى ووساوس
الشیطان لعلمه بما يصيبه من ضمان المال وایلام القطع ونقصان القوة العاملة
والعار الذي يلصق به ولا يفارقه اصلاً وعدم قبول شهادته حتى تتحول
نفسه الى حالة ثمانية يكون فيها معروفين الناس بالصدق والاخلاص وحسن
المعاملة واداء حقوق الله تعالى وحقوق العباد *

قوله «وقطع الطريق» اي منع الناس من المرور في الطريق لا خذار واحهم
او سلب اموالهم معتمداً على قوته او سلاحه سواء اثنان في المصرام كان
في الصحراء وهو اشد جزاء من السرقة لاعتماد فاعله على الظهور والقوة

ولأنه يخيف الناس ويرفع الأمن المطلوب لكل احد ولهذا كان حده جسيما
 وجزاؤه مضاعفا لأنه ان القى عليه القبض قبل توبته واثابته الى ربه ففيه تفصيل
 فان كان قاتلا وءاخذا للمال فيقتل ويصلب على خشبة تشهيرا له ليرتدع بقية
 المجرمين امثاله وتراه الناس فيزول من ذهنهم ما ارتكز من خوف وخشية
 وان قتل فقط يقتل لأنه يجوز ان تكون غايته غير قطع الطريق حيث لم يأخذ
 مال احد فحده القتل فقط وان اخذ مالا فقط فيجازى بقطع يده ورجله
 من خلاف لأنه اشبه السارق فقطعت يده وزاد عليه فقطعت رجله لذلك
 ولأنه اذا حدثته نفسه بقطع الطريق مرة اخرى تخونه رجله المقطوعة لأنه
 يجوز ان يخفى يده ويستعمل الثانية معتمدا على ماله من الهبة في قلوب
 السائرين في الطريق اما اذا رآه لا يستطيع المشي فيذهب هذا الاحتمال
 وان قطع الطريق ولم يقتل احدا ولم يأخذ مالا كان جزاؤه النفي حسبا
 يراه الامام الى ان يعلم ان شره قد زال وقد تاب توبة نصوحا واستقامت
 احواله، واما كان الجزاء شديدا لأن الدافع لهذا العمل هو جمع المال اولا
 بسهولة والاستحصال على الشهرة والنفوذ لان لذة الظفر والغلبة يعجز القلم
 عن ذكر جزء يسير منه . واما من تاب قبل ان يقدر ولاية الامر
 عليه فان كان قاتلا فتتناط قضيته بورثة المقتول ان شاءوا اقتصوا منه
 وان ارادوا أخذوا الدية أو ساحوه بها وان اخذوا اموالا فلا بد من
 الضمان بان يؤدي لأرباب الحقوق كل ما لهم فليعيد الموجود ويضمن المفقوده
 قوله «واكل الرشاش» وهو تناول الحرام شيئا من الاموال مما لا يستحقه
 لا فرق بين ان تكون لاهياء باطل او احقاق حق لقوله تعالى : (ولا
 تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل) هذا في المرتشى واما الراشي فانه يحرم عليه
 دفع شيء الى القاضى اذا كان يريد بعمله احقاق الباطل او امانة حق وعليه

تحمل الاحاديث الواردة بهذا الخصوص ، روى الامام احمد في مسنده وأبوداود والترمذى وابن ماجه عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لعن الله الراشى والمرتشى » وروى الامام احمد ايضا والترمذى والحاكم عن ابى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لعن الله الراشى والمرتشى فى الحكم » وروى الامام احمد فى مسنده ايضا عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لعن الله الراشى والمرتشى والرائش الذى يمشى بينهما » واما اذا كان محققا فى دعواه ولكن القاضى لا يرضى ان يقيم حقه الابتناول رشوة فان دفعها اليه حينئذ رخصة فى حقه ان شاء فعل وان شألم يفعل واما القاضى فانه عاثم قطعاً لانه أصبح من الفريق الذين حرم الله عليهم طيبات احلت لهم بظلمهم والظلم اموال الناس بالباطل *

ومع ان الله تعالى حرم هذا الفعل فى جميع الشرائع لا يرضى به العقل ونسبته الى شخص من اكبر العيوب فانه اصبح مرضا ساريا وداء عضال لم يترك امة الا ودخل فى نفوس حكامها وامرائها ولا سيما فى عصرنا الحاضر هذا فان الكارثة اشد وطأة والمصيبة اكبر واجسم وما من ناصر للحق ولا مغيث للمظلوم فقد يبقى البرى سنين عديدة فى السجن لان مالىته فى الحقيقة لا تساعد على دفع شىء واما فى الصورة فان التحقيقات لم تنته والشهود لم يكملوا او المعاملة فيها نقصان والمحامى لم يتم دفاعه او اعتراضه والمدعى العام لم يبد رأيه ومن اغرب ما علمت انه فى دور الحكومة التركية انهم رجل بسرقة حمار وبقي مسجوناً فى سجن حلب قريبا من سبع سنين مع انه برى واخيرا وجد من لقنه الاقرار بجرم السرقة فحكمت عليه المحكمة بالسجن ثلاثة اشهر وذهبت السنون الطوال هدرًا *

(وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى : « فَظَلَمَ مَنْ
الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَهُمْ » إِلَى قَوْلِهِ : « وَأَكْلَهُمْ
أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ » وَقَوْلُهُ : « وَيَلُ لِّلْمُظْطَفِّينَ » وَقَوْلُهُ :

ليت شعري لو كان غنيا اما كانت حضرة الرشوة المحترمة سببا في
اخلاء سراحه أو على الاقل متى بقى في السجن مدة لا يساعد القانون على
حكمه باكثر منها ان يترك ريشما تتم التحقيقات *

بمثل هذه الاساليب يضطر الرجل لتقديم الرشوة التي عمت الى أن
ارتقت الى الأمراء فيبيع الشرق بثمان بخس استوفاه المشترون الاستعماريون
في بضعة ايام وبقيت البلاد ومن عليها ربحا ومكسبا *
فقاتل الله الرشوة التي كان الشر مقلوب حريفها الأولين وزادت عليه
حتى لم يعد له اسم يذكر فاصابنا ما اصابنا منها ونحن لانأبه لذلك فاننا
لله وانا اليه راجعون *

قوله « واكل ما لا يستحقه » اي من جميع الانواع التي لا يسوغ الشارع تناولها
من أخذ يمينين فاجرة او من طريق غش او من طريق رشوة او سرقة او
اي شيء آخر سواها كان بتطفيف الكيل وترجيح الوزن عند الشراء
ونقصانها عند البيع ام كان بطريق الاغفال وخيانة الامانة فكل ذلك ارتكابه
مخالف للايمان والعدول عنه من اعظم شعب الايمان فقد اوعده الله من
ارتكب مثل هذه الموبقات فقال ما ذكره المصنف (ويل للمطففين الذين اذا
اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون) فلهم
العذاب الشديد والنقمة الكبرى والغضب العام ، وكان ظلم بني اسرائيل
واظلم اموال الناس بالباطل سببا في تحريم طيبات كانت حلالا

« وَأَوْفُوا السَّكِيلَ إِذَا كَلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ » *
 وَحَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنِي فَقَالَ : « إِنَّ دِمَاءَكُمْ
 وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ » الْحَدِيثُ *

على أسلافهم الصالحين *

قوله « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ » أي لا يحل منها
 شيء وأكد ذلك حيث كان هذا الحديث في أشرف المواقع وأفضل الأيام
 وأكمل حالات العبادة حيث كان في يوم الجمعة يوم عرفة والنبي صلى الله
 عليه وسلم محرماً بحجة الوداع فتألم بذلك وتبينه في مثل هذا المحفل العظيم
 إشارة إلى أن الدين لا يبيح شيئاً من ذلك فلا يحل الدم إلا أن يكون
 قاتلاً أو زانياً محصناً والمال لا يحل أخذه إلا استيفاء حق وأما العرض
 وهو موضع المدح والذم من الإنسان فلا يحل انتهاكه بوجه من الوجوه
 ولذلك كان تكملة الحديث تشبيهها بما لا يحل جاهلية ولا إسلاماً حيث
 قال « كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وفيه دليل على جواز
 ضرب الأمثال والحق النظير بالنظير كما قاله الإمام النووي
 في شرح مسلم * »

قوله « حرمت عليكم الميتة » الخ وإنما حرم الله بالنص هذه الأشياء الأربعة
 لما ينشأ عنها من الأضرار فإن الميتة بجميع أنواعها لم تمت إلا وقد زالت
 عنها المنفعة وأصبحت ضرراً لعروها عن المنفعة حتى إنك إن عرضت شيئاً من
 لحومها على النار ينكمش ويتقلص كحجمهم المذبوح مما لا يخفى على الذين يعرفون

(٣٩) وَجُوبُ التَّوَرُّعِ فِي الْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَالْاجْتِنَابِ

عَمَّا لَا يَحِلُّ مِنْهَا *

لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِهِ

الطَّبِّ وَمَا فَصَلَ فِي مَضَارِّ الْمَيْتَةِ وَأَمَّا الدَّمُ فَلِأَنَّهُ عِبَارَةٌ عَنْ مَجْمُوعَةِ جَرَائِمِهِ وَهُوَ مَرْكَزُ الْأَمْرَاضِ وَمَحَلُّ ظُهُورِ الْعِلَلِ وَالْفَسَادُ غَالِبًا يَكُونُ مِنْهُ فَحَرَمَهُ اللَّهُ لِأَجْلِ الْمَصْلَحَةِ إِذْ قَدْ يَتَوَهَّمُ أَنَّهُ خِلَاصَةُ الْجَسَدِ فَيَقْطَعُ فِيهِ وَتَنْشِبُ فِيهِ الْأَمْرَاضُ الَّتِي كَانَتْ كَامِنَةً فِي الدَّمِ *

قَوْلُهُ «لَحْمُ الْخَنزِيرِ» لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنَ الدَّوْدَةِ الْوَحِيدَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْفَتَكِ فِي كُلِّ مَنْ أَصَابَتْهُ وَقَلْبًا يَنْجُو مِنْهَا مِنْ حَصَلَتْ لَهُ وَإِضًا فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَظْهَرُ فِيهِ مَادَّةُ غِذَائِهِ وَالْخَنزِيرُ هُوَ أَقْلُ الْحَيَوَانَاتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ غَيْرَةُ عَلَى اتِّبَاعِهِ وَلِهَذَا تَجِدُ غَالِبَ الَّذِينَ يَقْتَاتُونَهُ قَدْ فَقَدُوا الْغَيْرَةَ وَلَا يَهْمُهُمُ الزُّنَا وَلَا كَلِمَةٌ عَرَضُ وَلَا نَحْوُ ذَلِكَ فَحَذَرُ اللَّهُ مِنْهُ مَحَافَظَةً لِلصَّحَّةِ وَالْأَخْلَاقِ وَأَمَّا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ فَلَا يَخْفَى ضَرَرُهُ لِأَنَّهُ اعْتَرَفَ بِنُكَرَانِ الصَّانِعِ الْحَقِيقِيِّ وَمَنَافٍ لِلتَّوْحِيدِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ كَافَّةً وَدَعَتْ إِلَيْهِ جَمِيعُ الشَّرَائِعِ إِلَّا مَا تَسَنَّخَ وَصَارَ الْعُوبَةُ لِرِجَالِ الدِّينِ التَّابِعِينَ لَهُ فَحَرَّمَ مَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ تَنْفِيرًا مِنَ الشَّخْصِ الذَّابِحِ وَلَكِي تَنْقَطِعَ عِلَاقَةُ الْمَوْجُودِينَ عَنْ غَيْرِهِمْ لِي لَا تَسْرَى عَلَيْهِمْ أَمْرَاضُهُمُ الْإِعْتِقَادِيَّةُ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَسْتَحْسِنُ الْقَبِيحَ إِذَا كَثُرَتْ مَشَاهِدَتُهُ لَهُ فَقَلْعًا لِلشَّرِّ مِنْ أَسَاسِهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْنَا الْإِسْتِفَادَةَ مِنْ ذَلِكَ خَشْيَةً أَنْ تَكُونَ سَبِيلًا فِي إِفْسَادِ عَقَائِدِنَا الَّتِي تَحْتَمِدُ الشَّرِيعَةُ فِي الْمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا وَصَوْنِهَا مِنْ عِبَثِ الْعَاشِينَ *

الله به وَالْمُنْحَنَةُ) الْإِيَّةَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ
مَحْرَمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ
خَمْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَلْ لَّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (إِنَّمَا
الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ)

قوله «إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه» لأنها من أقمح القبائح ولذلك جعل الشارع قربها حراما ففعلها
بطريق الأولى لأن منع الاجتناب أبلغ من تحريم الشيء نفسه وذلك لأن
التحريم قد لا يمنع المشاهدة التي قد يتخذ الإنسان بها وهذه الأربعة هي
الرجس العظيم لأن الخمر الكبائر وأساس القبائح وانك لو فحصت
الجرائم تجد معظمها حاصلًا أثناء عريضة السكر وأما الشر والنزاع
فإنه لا يبرح مستفحلا مادامت الخمر مستعملة وهذا ما حدا بالأمريكيين
أن يحرموه ويطاردوا الذين يستعملونه ويجازونهم بأشد الجزاء وانكل
العقاب الرادع نظرا لما تحملوا من مساويه والعجب أن ديننا يحرمه ونحن
لأنابه لهذا من أغرب مافرات في الجرائد المصرية أن جمعا طلبوا منع
المسكرات أسوة بأمريكا كأنهم يخجلون أن يقولوا دين الإسلام يحرم
ذلك لأنهم لا يعابون إذا اقتدوا بأمريكا نظرا لأنها قوية والعادة الجارية
أن الإنسان لا يقلد إلا القوي أما الدين الإسلامي فإنه لما فقد من يذب
عنه أصبح لا يصلح للاستشهاد وإقامة الحججة ولو على من يدعون الإسلام
ويزعمون الإيمان *

وقوله «والميسر» هو القمار وأنه لشرعظيم وبلاء مستطير يحدث أسوء
 «الفعال ويورث اقبح الطباع لا يخلو من مشاحنة وبغضاء اذا عرا عن
 اتجار واغتيال اذا كان كل من اللاعبين طامعا في اخذ مال صاحبه على أن
 النتيجة في الطرفين خسران لأن المستهلك يحصل من المال المجموع
 ولذلك تجد المقامرين بحسب الجمع اموالهم في نقصان لأن نموها غير
 ممكن اللهم الا من السرقة وارتكاب الفظائع وهذا هو الشر الذي
 يجب اجتنابه . تجد المقامر بينما هو لباس أفخر الثياب واذا به عار لا يملك
 خبز يومه ولا قوت ساعته يستعطي الناس وقد يبلغ به الامر الى السعى لأخذ مال
 الغير بلا وجه مشروع فيكون آلة لترويج الشرو و نشر الفساد بين الناس وهذا
 هو الخسران المبين ، واما الكاسب فانه يبذر ماله لانه لم يتعب به فلا يلبس الا اياما
 يسيرة حتى يكون عرضة للضياع والهلاك وقد نكب الشرق بمصيبة القمار
 سواء كان بمسابقة الخيول او برمي الطيور أو بغير ذلك من الالعاب التي اتخذها
 الاجنبي في بلادنا فحالا اختلاس اموال الشرقيين موها بكسب جزئى مع
 انه بالنسبة لما يجمعه ضرورة شئ ضئيل لأن الربح للشركة قطاعوا الناس
 غافلون و اموالهم تتسرب الى اعدائهم وهم ينظرون *

وقوله «والانصاب» هو الذبح لغير الله وقد تكلمنا عليه قبل .

قوله «والالزام» وهى عبارة عن عدة اسهم موضوعة فى كسنانة يستخرج
 منها سهمان فان كان فيه افعل فعل وان كان فيه لا تفعل ارتدع وهذا وان
 كان لا يوجد الآن ولكن من نوعه الاشياء كثيرة كالطيرة وعشرة الدابة
 وروية الارنب وغير ذلك من الخرافات التي تكون سببا لعدل المسافر
 أو تشاؤمه من سفرته كل ذلك حركات صبيانية اجتنابها من شعب الايمان
 النافعة دنيا واخرى .

الآيَات ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ) الْآيَةُ فَأَثْبَتَ فِيهَا الْإِثْمَ وَقَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى : (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ) حَرَّمَ الْإِثْمَ نَصًّا ، وَيُقَالُ : إِنَّ الْإِثْمَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ وَيُشَدُّهُ

شَرِبْتُ الْإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي كَذَاكَ الْإِثْمُ يَذْهَبُ بِالْعُقُولِ

وَلَحْدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي الصَّحِيحَيْنِ «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبَتْعِ فَقَالَ كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ»

قَوْلُهُ (قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ) لَمَّا يَنْتَجِ عَنْهُمَا مِنَ الشَّرُورِ وَالْقَتَنِ وَاحْدَاثِ الْقَلَاقِلِ شَأْنِ السُّكْرَانِ وَالْخُسْرَانِ بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ إِضَاعَةِ الْعَقْلِ وَاضْرَارِ الْجَسَدِ فِي الْأَوَّلِ وَاتْلَافِ الْمَالِ فِي الثَّانِي *

قَوْلُهُ (إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) لِأَنِّ إِصْلَاحَ النَّفْسِ الْوَاحِدَةِ مَطْلُوبٌ بِإِصْلَاحِ الْمَجْمُوعِ بَلِ الثَّانِي مَتَوَقَّفٌ عَلَى الْأَوَّلِ نَهَ لَيْسَ الْإِعْبَارَةُ عَنْ أَفْرَادِهِ فَالْفَاحِشَةُ حَرَامٌ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ فَلَا تَحِلُّ الْمُحَرَّمَاتُ وَلَوْ كَانَ الْإِنْسَانُ فِي وَسْطِ بَيْتٍ مَغْلُوقٍ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ رَقِيبٌ عَلَيْهِ وَمُظْلَعٌ عَلَى أَعْمَالِهِ وَأَفْعَالِهِ .

(١) قَوْلُهُ «الْبَتْعُ» بِكَسْرِ الْبَاءِ الْمَوْحِدَةِ وَسُكُونِ التَّاءِ الْفَوْقِيَّةِ نَبِيذُ الْعَسَلِ وَهُوَ خَمْرُ أَهْلِ الْيَمَنِ فَتَأْمَلُ قَوْلَ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ ﷺ «كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ» لِأَنَّ الْمُرَادَ تَحْرِيمَ كُلِّ مَا يَزِيلُ الْعَقْلَ بِسُكْرِ أَيْ أَنَّهُ يُوْدِي هَذَا الْفِعْلَ عَنْ لَذَّةِ يَجِدُهَا الْإِنْسَانُ وَأَمَّا مَا يَزِيلُ الْعَقْلَ وَلَوْ بِالنَّوْمِ فَإِنَّ هَذَا يَوْجِدُ فِي جَمِيعِ

وَحَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ» وَحَدِيثُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا حَرَمَهَا فِي الْآخِرَةِ»

وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِمَا «أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرَى بِهِ بِأَيْلِيَاءَ بِقَدَحَيْنِ خَمْرٍ وَلَبَنٍ فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا ثُمَّ أَخَذَ اللَّبَنَ فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ لَغَوَتْ أَمَّتُكَ»

أنواع المأكولات فإن الإنسان لو أكل كثير من أكل الخبز في مجلس واحد يحس بدوران في رأسه ولا يلبث أن ينام فلا يقال الخبز حرام بل المدار على المسكر الذي يوصل الإنسان إلى حالة يستلذ بها ويتخيل أنه تطور حتى أصبح في مصاف العظماء يقال المنخل يشكرى :
وإذا شربت فانتى رب الخورنق والسدير
وإذا صحوت فانتى رب الشويهة والبعير

وهذا هو السكر بعينه، والخورنق قصر للنعمان بن المنذر اللخمي أحد ملوك العرب، والسدير نهر في الحيرة له أيضا.

قوله «الحمد لله الذي هداك للفطرة» لأنها تحت على النافع وتمنع من الضار واللبن لا شك أنه له منفعة يتغذى به الصحيح والعليل والكبير والصغير ومما اتقلب في تطوراته فهو منفعة بحته ويؤدي وظيفة أنواع الأغذية لاشتماله على المواد المغذية والسكرية فهو غذاء وفاكهة ويؤدي وظيفة الأرواء وخال عن التسكاف والعناء بخلاف الخمر فإنها مضيعة للعقول ومضرة

وَحَدِيثُهُ فِيهِمَا «وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرُ الشَّارِبُ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»
 الْحَدِيثُ (١) وَبِهِ أَنَا الْبَاهِقِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ بِبَيْتِ
 إِلَى أَحَبِّ خَلَقِ اللَّهِ إِلَيْهِ حَتَّى أَفْسَدَهُ يَعْنِي الْعَقْلَ ، وَقِيلَ لِبَعْضِ الْعَرَبِ
 لَمْ لَا تَشْرَبُ النَّبِيذَ؟ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَرْضَى عَقْلِي صَحِيحًا فَكَيْفَ ادْخُلُ إِلَيْهِ
 مَا يُفْسِدُهُ (٢) وَعَنِ الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ أَنَّهُ قَالَ لِابْنِ لَهُ يَا بَنِيَّ أَيَّاكَ وَالنَّبِيذَ
 فَانَّهُ قَى فِي شِدْقِكَ وَسَلَحَ عَلَى عَقْبِكَ وَحَدَّثَ فِي ظَهْرِكَ وَتَكُونُ ضُحْكَةً

بالأجسام متلفة للبال وهى نفسها تكلف بعملها الذى يحتاج لزمان وبشرها
 الذى يمتنع منه الانسان حيث تجرح بحرارتها حلقومه وتلدع فمه فهى
 خلاف الفطرة وينفر منها الذوق السليم *

(١) تقدم البحث فى ذلك عند قوله «لا يزنى الزانى» الخ فى صفحة ١٢٧
 (٢) أى العقل لأنه لا شئ يوازىه فى الثمن فهو الكل فى الكل وبه
 امتاز الانسان على غيره ولذلك قال عباد لو كان العقل علقا- أى شيئا نفيسا-
 لنتعالى الناس فى شرائه فالعجب من أقوام يشترون بأموالهم ما يذهب بعقولهم
 والاعرب انه أصبح الآن من متممات المدنية يتباهون ويتفاخرون به
 من يبرهنون لنا على أن المدنية الحاضرة أساسها الفساد وأركانها الضرر والاضرار
 وانتشار الظلم والبغى وتعميم الشر وايداء العباد الضعفاء .

(٣) قوله «فى شديق» لأن السكران لا يفارقه القى فشدقه يحتويان على
 هذه المادة القدرة وقوله وسلاح على عقبك لأنه لا يدرى ما يفعل فهو غالب
 يسلم على نفسه ويلوث ثيابه حتى تسيل على عقبه ، وقوله «وحد فى ظهرك»

لِلصَّبِيَّانِ وَاسِيرًا لِلدِّيَّانِ * وَعَنْ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ أَنَّهُ قَالَ لَا بُنْتِ يَابَنِي مَا
يَدْعُوكَ إِلَى النَّبِيذِ قَالَ يَهْضُمُ طَعَامِي قَالَ وَاللَّهِ بَنِي هُوَ لَدَيْنِكَ أَهْضُمُ
وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَدْرِيسَ *

كُلُّ شَرَابٍ مُسْكِرٌ كَثِيرُهُ مِنْ تَمْرَةٍ أَوْ عِنَبٍ عَصِيرُهُ
فَإِنَّهُ مُحَرَّمٌ يُسِيرُهُ إِنِّي لَكُمْ مِنْ شَرِّهِ نَذِيرُهُ

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي الدُّنْيَا أَنَّهُ أَنْشَدَهُ أَبُوهُ :

وَإِذَا النَّبِيذُ عَلَى النَّبِيذِ شَرِبْتَهُ أَرَى بِدِينِكَ مَعَ ذَهَابِ الدَّرْهِمِ
وَأَنْشَدَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ :

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ يَحْفَظُونَ حَرِيمَهُمْ وَلَيْسَ لِأَصْحَابِ النَّبِيذِ حَرِيمٌ
إِذَا جِئْتَهُمْ حَيَوُكَ الْقَاوِرُ حَبِوَا وَإِنْ غَبَتْ عَنْهُمْ سَاعَةٌ فَذَمِيمٌ

وهو الجلد أربعون الى ثمانين او ثمانون وقوله وضحكة للصبيان لأن شأنهم
أن يجتمعوا على السكران لأنهم يرونه أقل منهم عقلا لذلك يعشون
به لأن عقولهم وان كانت صغيرة فهي على حالها اما هو فإنه لا يفرق بين
شيء مطلقا وقد حكى لي من أثق به أن شخصا وقع من سكره فجاوشاب وشرع
يبول عليه حتى عممه من رأسه الى قدمه فلما أحس بحرارة البول شرع
ينادي انسكب أيها المطر المبارك والناس تضحك منه وقوله «اسير للدبيان»
يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار *

أَخَاهُمْ إِذَا مَا دَارَتْ الْكَاسُ بَيْنَهُمْ وَكُلُّهُمْ رِثَ الْوَصَالِ سُؤْمُ
 فَهَذَا ثَنَائِي لَمْ أَقُلْ بِجَهَالَةٍ وَلَكِنْ بِحَالِ الْفَاسِقِينَ عَلِيمٌ
 ﴿فَصَلِّ﴾ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ
 اللَّهُ عَنْهُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ (١) لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
 أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ : (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ
 الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) وَقَالَ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا
 مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا) وَقَالَ : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ
 مَا رَزَقْنَاكُمْ) ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ (٢) يَمْدِيدَهُ إِلَى

(١) قوله «طيب» أي مقدس عن النقائص والافات ومنزه عن العيوب
 والعياهات فلا يقبل من الأعمال إلا الحسن المقبول الموافق لأمره تعالى
 فهو الغنى المطلق منزّه عن الاحتياج في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله لا تنفعه
 الطاعة ولا تضره المعصية وإنما تنفع الطاعة فاعلمها وتؤذى المعصية مرتكبها
 فلا يقبل الله الأعمال الجرى وفق أمره ويرفض كل ما جاء منكراً ويرد كل
 صدقة من مال حرام أي أنه لا يقبلها المعطيها وأما هي فإنها محفوظة لصاحب المال
 الأصلي إن كان من أهل الخير وذوى النية الحسنة ولذلك قال (كُلُوا
 مِنَ الطَّيِّبَاتِ) وقال (ويحرم عليهم الخبائث) *

(٢) وقوله «يطيل السفر أشعث أغبر» الخ أي أن الرسول صلوات الله
 وسلامه عليه وعلى آله يعلمنا كيف يجب أن نحذر الذين يتحننون القيافة

السماء يارب يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام ومشربه حرام وغذى
بالحرام فإني يستجاب له *

وفي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير «إن الحلال بين
والحرام بين وبين ذلك مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى
الشبهات فقد استبرأ عرضه ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام
كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه إلا وإن لكل ملك حمى
وحى الله في الأرض محارمه» (١) *

مظهر الزهد والنقوى كي يصطادوا الناس ليكونوا لهم عبداً أو على الأقل
يكونون دعاة لنشر اسمهم وأنهم يستحقون التقديس والاحلال لأن النفوس
مجبولة على حب المدح والاطراء وقوله «فإني يستجاب له» أى لو لم
يظهر وجوده من المال الحرام فينبغى لنا حينئذ إذا رأينا رجلاً يظهر بمظهر
الصلاح أو الإصلاح أن نسأل عن ملبسه ومطعمه ومشربه فإن رأيناه من
حرام فهو لاخير فيه أصلاً بل يجب اجتنابه والتباعد عنه لأن مرضه قد يسرى
الى الاصحاء فيؤثر فيهم فلا يستجاب له وقد تعجب الرسول من استجابة
الله دعاءه لأنه يستهزئ بالله حيث ينهاه عن تناول الحرام فلم يكتف بذلك
حتى جعل العبادة شبكة للصياد فكانت صلاته أضرم تركها على أنها لا فائدة
فيها ولذلك قال الامام أحمد رحمه الله من صلى فى أرض مغصوبة أو ثوب حرام
أو حج بمال حرام فلا يصححانه منه وتجب عليه الاعادة مستدلاً بهذا الحديث وأمثاله
(١) قوله «الحلال بين والحرام بين» أى لا يخفيان على أحد وبينهما مشبهات

وَفِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ إِنِّي لَأَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِي
فَأَجِدُ الثَّمَرَةَ سَاقِطَةً عَلَى فِرَاشِي أَوْ فِي يَدَيَّ فَأَرْفَعُهَا لِأَكْلِهَا ثُمَّ أَخْشَى
أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ فَأَلْقِيهَا *

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ كَانَ
لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يَخْرُجُ لَهُ الْخَرَّاجُ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَّاجِهِ فَجَاءَ
يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ أَتَدْرِي مَا هَذَا ؟ فَقَالَ

لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ وَأَمَّا الْقَلِيلُ فَإِنَّهُ عَارِفٌ بِهَا وَفِي هَذَا رَدٌّ صَرِيحٌ عَلَى الْجَمَاعَةِ
الَّذِينَ أَكْثَرُوا مِنْ كَلِمَةِ الْبِدْعَةِ وَجَعَلُوا كُلَّ مَا لَمْ يَكُنْ فِي عَصْرِ الرَّسُولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْبِدْعِ وَغَابَ عَنْ ذَهْنِهِمْ هَذَا الْحَدِيثُ وَلَيْتَ
شَعَرُوا مَا مَعْنَى الْمَشْتَبِهَةِ حِينَئِذٍ وَلَوْ نَظَرْنَا إِلَى قَوْلِهِمْ بَعْدَ اعْتِرَافِ بَاقِيِ
الْأَئِمَّةِ وَالْعُلَمَاءِ الْمَاضِي فَمَنْ يَأْتِيهِ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى « وَلَوْ رَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ
وَالِى أَوَّلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ » ، أَذْ تَسَاوَى النَّاسُ
كَلِمَةً فِيهَا مَا دَامَ فَهْمُهُمْ مُنَوَّعًا وَهَلِ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَ هُمُ الزَّائِفُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْعَصْرِ
الْحَاضِرِ الَّذِينَ لَا يَفْهَمُونَ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ فَضْلًا عَنْ الِاسْتَنْبَاطِ وَأَمَّا الْبِدْعُ مَا لَمْ
يَكُنْ فِي عَصْرِ الرَّسُولِ وَلَا أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَغَيْرِ دَاخِلٍ
تَحْتَ الْقَوَاعِدِ الْعَامَةِ الْمُسْتَنْبَطَةِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَقَدْ تَكَلَّمَ الشُّوْكَانِيُّ
عَنِ الْمَشْتَبِهَاتِ بِكِتَابِ أَسْمَاءِ كَشْفِ الشَّبَهَاتِ عَنِ الْمَشْتَبِهَاتِ وَقَدْ نَشَرْنَا هَذَا فَعَلَيْكَ بِهِ
(١) قَوْلُهُ « مِنَ الصَّدَقَةِ فَأَلْقِيهَا » وَهَذَا هُوَ الْوَرَعُ حَيْثُ يَعْلَمُ أَنَّ بَيْتَ الْمَالِ
حَقٌّ لِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ لَا يَرِيدُ أَنْ يَسْتَأْثِرَ بِهِ رَغْمَ احتِجَاجِهِ بَلْ يَرِيدُ أَنْ
يَشْتَرِكَ مَعَ غَيْرِهِ فِي هَذَا الْحَقِّ الْعَامِ

أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَكْمُنَتْ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
وَمَا أَحْسَنَ السَّكْهَانَةَ إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ فَلَقِينِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ فَهَذَا
الَّذِي أَكَلْتُ مِنْهُ قَالَتْ فَادْخُلْ أَبُو بَكْرٍ يَدُهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ *

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَرِبَ لَبَنًا
فَاجْعَبَهُ فَقَالَ لِلَّذِي سَقَاهُ مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا اللَّبَنُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ وَرَدَ عَلَى مَاءٍ
قَدْ سَمَاهُ فَاذَا نَعِمَ مِنْ نَعِمِ الصَّدَقَةِ وَهُمْ يَسْقُونَ فَجَلَبَوْهُ لِي مِنْ
الْبَابِ فَجَعَلْتُهُ فِي سِقَاتِي وَهُوَ هَذَا فَادْخُلْ عُمَرُ يَدُهُ فَاسْتَقَاهُ *

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي طَيْبِ مَطْعَمِهِ أَنَّهُ كَانَ يَجَاءُ بِخَبْزِهِ فِي
جَرَابٍ مِنَ الْمَدِينَةِ *

أَنْبَاؤُا أَبِيهِقَى بِإِسْنَادِهِ عَنْ بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ قَالَ يَوْسُفُ بْنُ

(٢) قوله «تكمُنَتْ» أى تكلفت صنعة السكهانة مع أنى لست أعرفها
والسكاهن هو عبارة عن العالم بالأمور الخفية التى لا يدريها الا الذى له قدم
راسخ فى العلم وهو الساحر بمعنى واحد وقد يلجئون اليه فى طلب الخير ودفع
الشّر ولذلّك خاطبوا سيدنا موسى عليه السلام بما قال تعالى (وقالوا يا أيها
الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون) وقد كان عند العرب فى
الجاهلية من السكهنة كثير كشق ومسطح وغيرهما *

أَسْبَاطُ إِذَا تَعَبَدَ الشَّابُّ يَقُولُ أَبْلِيسُ انْظُرُوا مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ فَإِنْ كَانَ
مَطْعَمُهُ مَطْعَمٌ سَوَاءٌ قَالَ دَعُوهُ لَا تَشْتَغَلُوا بِهِ دَعُوهُ يَجْتَهِدُوهُ وَيَنْصَبُ فَقَدْ
كَفَاكُمْ نَفْسَهُ

وَعَنْ حَذِيفَةَ الْمَرْعَشِيِّ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى النَّاسِ يَتَبَادَرُونَ إِلَى الصَّفِّ
الْأَوَّلِ فَقَالَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَبَادَرُوا إِلَى أَكْلِ خَبْزِ الْحَلَالِ (١)
وَعَنْ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ سَأَلَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ عَنْ فَضْلِ
الصَّفِّ الْأَوَّلِ فَقَالَ انْظُرْ كَسْرَتِكَ الَّتِي تَأْكُلُ مِنْ أَيْنَ تَأْكُلُهَا وَصَلِّ فِي
الصَّفِّ الْآخِرِ ۝ وَعَنْهُ أَيْضًا انْظُرْ دَرَاهِمَكَ مِنْ أَيْنَ هُوَ وَصَلِّ فِي

(١) قوله «أن يتبادروا إلى أكل خبز الحلال» لأنه حينئذ يستحق التقدم
فإن الحالم لا يجزأ على الإقدام على حكمة الأمان كان بريئاً مطيعاً لأمره
وأما المجرم فإنه لا يبرح خجلاً من ذنبه والتقدم في الصف الأول معناه
تقدم أخوانه في الحضرة الإلهية لأن الصلاة وصلة بين العبد وربّه فهو في
مسابقته للصف الأول أثبت أن في عقله خللاً لأنه ما زال يعتقد بأن الله
عالم بالخفيات كيف يجزأ على هذا ويظهر بمظهر التقى البار فهو قد تمسك
بالظاهر وهو الحث على الصلاة في الصف الأول وما درى المسكين أن
المراد من ذلك هو التحقق بما يؤهله للوقوف في هذا المركز الخرج ولهذا
قال صلى الله عليه وسلم في حديث مسلم عن ابن مسعود «وإلني منكم أولوا
الاحلام والنهي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» وهم الذين استعملوا عقولهم
فأطاعوا أمولاهم وفهموا ماذا يراد من الصلاة وهو النهي عن الفحشاء والمنكر

الصف الأخير (١) *

وَعَنْ سَرَى السَّقَطِي أَنَّهُ كَانَ لَا يَأْكُلُ مِنْ بَقْلِ السَّوَادِ وَلَا مِنْ ثَمَرِهِ
وَلَا مِنْ شَيْءٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْهُ وَيَشْدُدُ فِي ذَلِكَ وَكَانَ غَايَةً فِي الْوَرَعِ (٢) وَمَعَ
ذَلِكَ قَالَ كُنْتُ بِطَرْسُوسَ وَكَانَ مَعِيَ فِي الدَّارِ فَتَيَانٌ يَتَعَبَّدُونَ وَكَانَ
فِي الدَّارِ تَنُورٌ يَخْبِزُونَ فِيهِ فَأَنكَسَرَ التَّنُورُ فَعَمَلْتُ بَدْلَهُ مِنْ مَالِي
فَتَوَرَعُوا أَنْ يَخْبِزُوا فِيهِ *

ويلزم منه اتباع الاوامر وقولاء الذين حقهم المبادرة الى الصف الاول .
(١) قوله «وصل في الصف الاخير» اذا كنت اهلا للتقدم وحائزا على
رضاء الله تعالى ولا تأكل كل الا من الحلال فان تأخر الصورة لا يضر فان
القاعدة العربية إن تأخر الفاعل عن المفعول لفظا لا يضره فقد وقع في
أفصح الكلام قال تعالى : (واذا ابتلى ابراهيم ربه) فامير القوم اذا جلس
في أى محل شاء فان الاعين شاخصة اليه وان المتقى لربه هو أمير طبعا *
(٢) الورع يقال صاحب النهاية : في الاصل الكيف عن المحارم
والتخرج منه يقال ورع الرجل يرع ، بالكسر فيهما ، ورعا ورعة فهو
ورع ، وتورع في كذا ثم استعير للكيف عن المباح والحلال ، واختلف القوم في
رسمه على أقوال قال ابن أدهم ، الورع ترك كل شبهة ، وقال يحيى بن معاذ
الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل * وسأل الحسن البصري غلاما
فقال له . ما مالك الدين ؟ قال الورع . قال فما آفته . قال الطمع ، فعجب
(م-١٠- مختصر شعب الايمان)

وَعَنْهُ قَالَ كَانَ أَبُو يَوْسُفَ الْغَسُولِي يُلْزَمُ الشُّغْرَ وَيَغْزُو فَكَانَ إِذَا
غَزَا مَعَ النَّاسِ وَدَخَلُوا بِلَادَ الرُّومِ أَكَلَ أَصْحَابُهُ مِنْ ذَبَائِحِهِمْ وَفَوَّاهِهِمْ
وَهُوَ لَا يَأْكُلُ فَيَقَالُ لَهُ يَا أَبَا يَوْسُفَ أَتَشْكُ أَنَّهُ حَلَالٌ فَيَقُولُ لَا فَيَقَالُ
لَهُ فَكُلْ مِنَ الْحَلَالِ فَيَقُولُ إِنَّمَا الزَّهْدُ فِي الْحَلَالِ *

وَعَنِ السَّرِيِّ قَالَ رَجَعْتُ مِنْ بَعْضِ الْمَغَازِي فَرَأَيْتُ فِي طَرِيقِي
مَاءً صَافِيًا وَحَوْلَهُ عَشَبٌ مِنْ حَشِيشٍ قَدْ نَبَتَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي يَاسَرِي
أَنْ كُنْتُ يَوْمًا أَكَلْتُ أَكْلَةَ حَلَالٍ وَشَرِبْتُ شَرْبَةَ حَلَالٍ فَالْيَوْمَ
فَنَزَلْتُ عَنْ دَابَّتِي فَأَكَلْتُ مِنْ ذَلِكَ الْحَشِيشِ وَشَرِبْتُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ
فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ سَمِعْتُ الصَّوْتَ وَلَمْ أَرَ الشَّخْصَ يَاسَرِي بْنُ الْمَغْلَسِ
فَالنَّفَقَةُ الَّتِي بَلَغَتْكَ إِلَى هَهْنَا مِنْ أَيْنَ هِيَ؟ فَقَصَّرَ إِلَى نَفْسِي *

وَرَوَى عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ كَانَ يَطْلُبُ الْحَلَالَ فَاسْتَدَلَّ عَلَيْهِ فِدْلٌ عَلَى الْحَسَنِ

الْحَسَنِ مِنْهُ . وَقَالَ بَعْضُ السَّامِ لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَى حَتَّى يَدْعَ
مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ * وَقَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ . كُنَّا نَدْعُ سَبْعِينَ
بَابًا مِنَ الْحَلَالِ مَخَافَةَ أَنْ نَقَعَ فِي بَابٍ مِنَ الْحَرَامِ ، وَقَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ
الْوَرَعَ كُلَّهُ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَالَ ، مَنْ حَسَنَ إِسْلَامَ الْمَرْءِ تَرَكَهُ مَا لَا يَعْنِيهِ * وَتَرَكَ
مَا لَا يَعْنِي هُوَ تَرَكَ الْفَضَالَاتَ كُلَّهَا وَفَقِنَا اللَّهَ وَابْيَاكَ لِذَلِكَ *

الْبَصْرِيُّ بِالْبَصْرَةِ فَسَافَرَ إِلَيْهِ مِنْ بِلَادِهِ الْبَعِيدَةِ فَقَالَ لَهُ الْحَسَنُ أَتَى رَجُلٌ
 وَأَعْظَمُ أَكْلٍ مِنْ هَدَايَا النَّاسِ وَضِيَافَاتِهِمْ لَكَ كُنْتُ أَدُلُّكَ عَلَى رَجُلٍ بِبِلَادِ
 سَجِسْتَانَ تَرَاهُ فِي مَزْرَعَتِهِ لَهُ بَقْرَةٌ قَدْ جَعَلَ لَهَا فِي أَحَدِ طَرِيقَيْهَا تَبْنًا
 وَشَعِيرًا وَفِي الْآخَرِ مَاءً أَفَازًا وَصَلَتْ إِلَى التَّيْنِ وَالشَّعِيرِ عَرَضَهُمَا عَلَيْهَا
 وَإِذَا وَصَلَتْ إِلَى الْمَاءِ عَرَضَهُ عَلَيْهَا فَقَالَ فَتَوَجَّهَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ فَوَجَدَهُ
 كَذَلِكَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَصَّ عَلَيْهِ حَالَهُ فَبَكَى الرَّجُلُ وَقَالَ قَدْ صَدَقَكَ الْإِمَامُ
 أَبُو سَعِيدٍ لَكُنْ زَالَ ذَلِكَ عَنِّي بِسَبَبِ أَنَّ الْبَقْرَةَ عَبَرَتْ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى
 أَرْضٍ جَارِيٍّ وَقَدْ اشْتَغَلْتُ عَنْهَا بِصَلَاتِي فَعَادَتْ إِلَى أَرْضِي وَقَوَّائِمُهَا
 مُلَطَّخَةٌ بِطَيْبِهَا وَاخْتَلَطَ ذَلِكَ بِطَيْنِ أَرْضِي فَصَارَتْ شُبْهَةً عُدَّ إِلَيْهِ لَيْدُكَ
 عَلَى غَيْرِي وَبَكَى *

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَلَاءِ قَالَ أَعْرِفُ مَنْ أَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثِينَ سَنَةً لَمْ
 يَشْرَبْ مِنْ مَاءٍ زَهْمٍ إِلَّا مَا اسْتَقَاهُ بِرُكُوتِهِ وَرَشَائِهِ وَلَمْ يَتَنَاوَلَ مِنْ
 طَعَامٍ جُلْبٍ مِنْ مَصْرٍ شَيْئًا *

وَعَنْ بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ الْحَافِي بْنِ عَلِيٍّ قَالَ سَمِعْتُ الْمُعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرِانَ
 يَقُولُ كَانَ عَشْرَةٌ فِيْمَنْ مَضَى مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَنْظُرُونَ فِي الْحَلَالِ النَّظَرَ

الشَّدِيدَ لَا يَدْخُلُونَ بَطُونَهُمْ إِلَّا مَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْأَسْتَفْوَاءِ التَّرَابِ (١) ثُمَّ عَدَّ بَشَرًا. إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدِمْ. وَسُلَيْمَانَ الْخَوَاصَّ.
 وَعَلِيَّ بْنَ فُضَيْلٍ بْنِ عِيَاضٍ. وَأَبَا مُعَاوِيَةَ الْأَسْوَدَ. وَيُوسُفَ بْنَ
 أَسْبَاطَ. وَوَهَيْبَ بْنَ الْوَرْدِ. وَحَذِيفَةَ شَيْخًا مِنْ أَهْلِ حَرَّانَ. وَدَاوُدَ
 الطَّائِيَّ. وَعَدَّ بَشَرًا عَشْرَةً. وَعَنْ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ الْمَحْدِثُ قَالَ
 الْمَالُ يَذْهَبُ حَلَهُ وَحَرَامُهُ يَوْمًا وَيَبْقَى فِي غَدٍ أَثَامُهُ
 وَسُئِلَ سَفِيَّانُ الثَّوْرِيُّ عَنِ الْوَرَعِ فَأَنْشَدَ:
 إِنِّي وَجَدْتُ فَلَا تَظُنُّوا غَيْرَهُ هَذَا التَّوَرَعُ عِنْدَ هَذَا الدَّرَمِ
 فَإِذَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ ثُمَّ تَرَكْتَهُ فَأَعْلَمَ بِأَنَّ هُنَاكَ تَقْوَى الْمُسْلِمِ
 وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْمَرْوُزِيِّ لِمَا دُلِّيَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ الْقَضَاءُ
 كَتَبَ إِلَيْهِ أَخُوهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَكْثَمٍ مِنْ مَرْوٍ وَكَانَ مِنَ الزُّهَادِ

(١) قوله «والاستفواء التراب» لعله أراد ما يخرج من التراب وهو العشب
 والكلاء الذي يشبه التراب في بيسه والا فان اكل التراب حرام لاضراره
 ولأن فيه القاء النفس في التهلكة ولم يبح لنا الشارع عند الاضرار الميعة
 الا لأن التراب ليس معدا للاكل والا لو كان الاقيات منه ممكنا لما قال
 الا ما اضطررتم اليه قوله «وسئل سفيان» الخ هو زيادة من النسخة النورية

وَلَقَمَةً بِجَرِيشٍ الْمَانِحِ تَاظَهَا الذِّمَّةُ تَمْرَةٌ تُحْشَى بِزُبُورٍ
وَأَكَلَهُ قَرِيبٌ لِلْهَلْكِ صَاحِبَهَا كَبَّةٌ الْفَخَّ دَقَّتْ عُنُقَ عَصْفُورٍ
وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَشِيمٍ أَنَّهُ اسْتَوْصَاهُ صَاحِبٌ لَهُ عِنْدُودَاعِهِ فَقَالَ
أَوْصِيكَ أَنْ يَكُونَ عَمَلُكَ صَالِحًا وَتَأْكُلَ كُلَّ طَيِّبٍ ۝

لَيْسَ التَّقِيُّ بِمُتَّقٍ لَالِهَةٍ حَتَّى يَطِيبَ شَرَابَهُ وَطَعَامَهُ
وَيَطِيبَ مَا تَحْوِي وَتَكْسِبُ كِفَهُ وَيَكُونَ فِي حُسْنِ الْحَدِيثِ كَلَامَهُ
نَطَقَ النَّبِيُّ لَنَا بِهِ عَنْ رَبِّهِ (١) فَعَلَى النَّبِيِّ صَلَاتُهُ وَسَلَامُهُ
(٤٠) تَحْرِيمُ الْمَلَابِسِ وَالزِّيِّ وَالْأَوَانِي وَمَا يَكْرَهُ مِنْهَا
لِحَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ « مَنْ لَبَسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا
فَلَنْ يَلْبِسَهُ فِي الْآخِرَةِ (٢) » ۝

(١) يشير إلى ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة وذكره المصنف رحمه الله تعالى صفحة ١٤٠ أرجع إليه إن أردت
(٢) وفي الباب أحاديث كثيرة منها ما رواه عمر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « لا تلبسوا الحرير فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة »
متفق عليه فالأحاديث تدل على تحريم لبس الحرير لما فيها من النهي وتعليل ذلك بأن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ، والظاهر أنه كناية عن عدم دخول الجنة . ولذلك قال ابن عمر ، والله لا يدخل الجنة واستدل

وَحَدِيثُ حَذِيفَةَ « لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ وَلَا الدِّيَابَجَ وَلَا تَشْرَبُوا فِي
 آتِيَةِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صَحَافِهَا ، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ
 لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ » *

وَحَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ « أَنَّ اللَّهَ

على ذلك بقوله تعالى (ولباسهم فيها حرير) . ويشهد له أيضا ما رواه الشيخان عنه . إنما يلبس الحرير في الدنيا من لاخلق له في الآخرة . والخلق كما في شروح الحديث وكتب اللغة - النصيب . وقد أجمع المسلمون على التحريم ، وهذه الأحاديث إذا لم تفد التحريم فليس في الدنيا محرم ، ولم تنحصر الزينة عند أبناء الدنيا على الحرير فالهم ان يتزينوا بالجوخ والصوف والكشمير وغير ذلك من المباح النفيس ، ولا تلتفت الى قول في المذهب او رأى لبعض العلماء فان ذلك من اتباع الهوى ، ودسائس الشيطان ، والعادات القومية المخالفة للشريعة المحمدية ، اصرح منه في الدلالة على المنع مطلقا ما رواه البيهقي بسنده عن ابي اسحق قال دخلنا على عبد الله بن عمر وهو بالبطحاء ، فقلنا يا ابا عبد الرحمن ان ثيابنا هذه قد خالطها الحرير وهو قليل . قال اتركوا قليله وكثيره ، ويدل على صحة هذا ما روى عن علي رضي الله عنه قال : أهدى الى النبي ﷺ حلة سداها من حرير ولحمتها سيرة فارس لها الى فقلت ما اصنع بها ألبسها قال اني لا ارضى لك ما لا ارضى لنفسى اجعلها خمر ابي فاطمة امك وفاطمة ابنتي ، والسيرة هو من السيراء برود اليمن وهذا بالنسبة للذكور دون الاناث لقوله صلى الله عليه وآله وسلم « أحل الذهب والحرير للاناث من أمي وحرم على ذكورها » رواه احمد والنسائي والترمذي ، وصححه وأبيح أيضا لعله الحكمة كما في كتب الفقه *

جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكَبِيرُ مَنْ بَطَرَ الْحَقَّ وَغَمَطَ النَّاسَ (١) *
 وَحَدِيثُ أَبِي بُرْدَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ * قَالَ أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ
 كِسَاءً مَلْبَدًا وَازَارًا غَلِيظًا (٢) فَقَالَتْ قَبِضْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَيْنِ *

(١) البطر الطغيان عند النعمة . وهو ان يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا : او يمنع عن الحق فلا يقبله * والغمط الاستهانة والاستحقار ووقع في الأصل اللبر بطر الحق وغمط الناس على حذف من *
 (٢) قوله كساء ملبدا وازار اغليظا ليعلم أمته ان اللباس ليس هو عبارة عن الانسان الكامل المدرك بل جعل ذلك اللباس لوقايته من الحر والبرد ولا تأثير له على ما يحتويه الجسد ومن الحماقة المفاخرة في الالبسة واعتبار صاحبها لأن المرء يعلو بادراكه وعلو همته وشرف نفسه وكرم اخلاقه فان قيمة اللباس تزيد وتنقص بحسب دفعه البرد ووقايته الحر ومع أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان له في الدنيا كل ما يشاء وليس ما كان يختار اللباس والغذاء الا الذي يوافق حالة الفقير متباعدا عن الكبر والخيلاء واتصافا بمعنى الانسانية المحضة وان الانسان لا ينبغي له التعاطف فان البشر ابناء شخص واحد ولا فضل لاحد هم على الآخر الا بالعمل الصالح والناس مدينون لبعضهم فليس الامير غير محتاج الى احقر عاقل لأن الكناس لو لم يكنس داره للزم أن يكنسها بنفسه فاذا هو مدينون له لا يحق له التكبر وكيف يتكبر من خرج من مجرى البول مرتين وهو في حياته لا يبرح حاملا للعدرة والنجاسة ومصيره جيفة قدرة فمن أين يجيء اليه الغرور والكبرياء ؟ أم يلبسه أم مما يحمله في جوفه ؟ أم يفخر بمصير جسده في اللحد ؟ الكبرياء لله وحده

وَحَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فِيهِمَا «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١) إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا» *

(٤١) ﴿تَحْرِيمُ الْمَلَاعِبِ وَالْمَلَاهِي الْمُخَالَفَةِ لِلشَّرِيعَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى :
قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ *

وَلَحَدِيثِ سُلَيْمَانَ بْنِ بَرِيدَةَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
«مَنْ لَعِبَ بِالزَّرْدَشِيرِ فَكَأَنَّمَا صَبَغَ يَدَهُ فِي لَحْمٍ خنزِيرٍ وَدَمِهِ (٢)» *

(١) قوله «لا ينظر الله تعالى يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلا» لانه اعتقد انه فوق مرتبة البشر واستحق من كرمه تعالى ولم يعرف لنفسه قدرا لما ذكرنا سابقا فان عمله هذا اعراض عن عبيد الله الذين هم اشرف المخلوقات فكان الجزاء من جنس العمل حيث لا ينظر الله اليه أعنى نظر رحمة فينال ما يستسبه من الغرور والحقاقة (٢) قوله «من لعب بالزردشير» هو الزرد وهو اسم أعجمي معرب على ما قاله ابن الأثير وشير بمعنى حلو والمعروف في العصر الحاضر بالطاولة واستنادا الى هذا الحديث افقى معظم الفقهاء بحرمة اللعب فيها وألحق الحنفية بالزرد الشطرنج وقالوا بانه مكروه تحريما الا بآيوسف فانه قال لا بأس به ولذلك يقول صاحب الوهبانية ولا بأس بالشطرنج وهى رواية عن الجبر قاضى الشرق والغرب توثر وأما الشافعية فقالوا بجواز لعب الشطرنج للعب كثير من سلف الأمة فيه لانه مبنى على التمرينات العقلية ويشبه ترتيب الحروب المطلوب تعلمها وتعلم كل ما يفيد فيها وكذلك كل الالعب العقلية بخلاف الزرد فانه مبنى على الصدق

(٤٢) الاقتصاد في النفقة وتحریم اكل المال بالباطل لقوله تعالى : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) *

تطلب عددا فيأتيك آخر ذلك قالوا انه مكروه تحريما ، وقوله «كأنما صبغ يده في لحم خنزير» وفي نسخة «فكأنما غمس» قال النووي في حال اكله منها وهو تشبيه لتحريمه بتحريم اكلها به ويحتمل أن يكون تنقيرا من التضمخ بالنجاسة في حيوان حرم أكله بالنص القطعي والتضمخ بالنجاسة حرام مطلقا فكيف بمن هو أسوأ حالا من الكلب الذي جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة «إذا ولغ الكلب في اناء احدكم فليغسله سبعا»

(١) قوله «الاقتصاد في النفقة» أي الاعتدال فيها فلا يسرف فيكون فقيرا بائسا عالة على الناس يتكففهم ولا يقتتر فلا ينفع الناس ولا يستفيدون من أمواله فيكون ضررا عليهم كالمسكين وذلك لأن كلا منهما يضايق الناس باخذ قسم من أموالهم الاول للصرف والاخر للجمع والكنز ، ولذلك قال تعالى «ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك» فلا تصرف شيئا كأن يدك لا تصل الى الاموال . ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا» شاخصا بصرك إلى ما يمنحك به الناس من فضلات الصدقات وقد ورد في مسند احمد وسنن أبي داود عن جد عمرو بن شعيب قال قال رسول الله ﷺ «كل واشرب وتصدق من غير سرف ولا مخيلة» أي كبرياء فاباح الشارع الاعتدال والصرف ولكن بالطرق المشروعة وبشكل لا يجعله عالة على الغير فالاعتدال في كل أمر محمود وهو الذي قضت الشريعة

وَلَحْدِيثُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ « نَهَى
عَنْ ثَلَاثٍ قِيلَ وَقَالَ (١) وَإِضَاعَةُ الْمَالِ وَالْخَافِ السُّؤَالُ » *

به في احكام الدين كافة عباداتها ومعاملاتها *

(١) قوله ونهى عن قيل وقال بالتنوين وفي رواية بغير تنوين حكاية
للفظ الفعل ورواية البخارى « وكره لكم قيلا وقالا » على النقل من الفعلية
إلى الاسمية وهو الاكثر والمراد به نقل الكلام الذى يسمعه فاذا كان
مقصوداً لذاته أو لم يدر القائل بعينه قال قيل كذا وإذا أراد فاعلا بعينه
قال قال فلان كذا. فنهى النبي ﷺ عن ذلك لأن كثرة نقل ذلك تورث الزلل
إذا لم يكن النقل نفسه كبيرة كالغيبة والنيمة والأعمال المذمومة التى تورث
الفساد والتفرقة أو تسبب اللذذ الذى لعن الله قائله وهذا زجر منه
تعالى عن كل ما يحتمل أن تنجم عنه خطيئة أو يحصل منه ذنب أو عمل
يغضب البارئ تعالى فوقفه « وإضاعة المال » هذا هو الشاهد للباب وذلك
بصرفه على غير الوجه المرغوب فيه شرعا لافرق بين أن يكون دينيا أو
دنيويا ولذلك وضعت الشريعة الحجر على المبدزين لإضاعتهم أموالهم
صورة وإلا ففي الحقيقة أنها أموال جميع المسلمين ولذلك خاطبنا بقوله تعالى
(وَلَا تَقْتُلُوا السَّفَهَاءَ أَمْوَالُكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ) فالله سبحانه
وتعالى كلفنا عبادته وفي الوقت نفسه أمرنا بالعمل في الدنيا وعلمنا أنها مزرعة
الآخرة لا غنى لها عنها ولذلك جاء في آية الدعاء « ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار » إن دين الاسلام يحث على الدنيا
كما يحث على الآخرة إلا أن الفرق بينهما أن هذه لذاتها وتلك لغيرها ولذلك
فإن الشغل والعمل يعد عبادة وجهاداً في الحياة ليحفظوا للاسلام عزه
ولا يصح إضاعة المال بل يجب أن يسعوا ليكون لدى المسلمين أضعاف

مالدى الكفار كى لا يحصل اعتقاد فاسد فى نفوس ضعفاء المسلمين من قبل دسائس الاعداء من أن الاسلام لا يسمح للعمل ولا يبيح الثروة والصنائع ولهذا حذرنا الله من ذلك وعلمنا على طريق الدعاء فى قوله « ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا » فقول المسلمين أنه فتنة يسبب احتقار المسلمين وقد وقع حتى أصبح أبناؤه يفرون من كل ما جاء به إذا لم يوافق أذواق الغربيين حتى أنهم ينكرون كتاب الله إذا لم يسلمه أعداء الدين . والاعرب أن بعض من يزعم الاسلام وأنه من حماته ينكر الجن لأن الفن لم يؤيده ولأنه لم يره ولا ندرى بعد أن نشرت المجلات الانكليزية قبل سنة وجود الجن واستدلت بحادثة البنتين اللتين كانتا فى واد ، هل يصحح رأيه ويقول رجعت إلى كلام الانكليز لا إلى كلام رب العالمين ؟ أم يبقى مصرأ على عناده ولو أثبتته العلم الحديث . وهذا هى الحماقة بعينها حيث يعترف أن العلم فى تقدم فيؤول ويحرف كلام الله على الذوق الحاضر المعروض للتغير فى كل لحظة وهكذا شأن المغلوب تقليد الغالب فى كل شىء *.

وقوله « والخاف السؤال ، أى الاحاح فيه والتزامه فان ذلك حرام لأنه قد يسوقه إلى صدور ذنب أو ان الحدة يسوقه إلى الكفر والعياذ بالله تعالى فيكون المالحف سبب الاثم وعليه الوبال والعقاب والاحلاف مذموم فى كل شىء حتى ولو فى النصيح والارشاد فقد قال تعالى لموسى وأخيه عليهما السلام حينما ارسلهما الى فرعون « فقل لاله قولا لنا لعله يتذكر أو يخشى » * وقد شرعت الدولة المصرية قريبا قانون منع التسول والقبض على كل متسول وزجه فى السجن معتقدة أنها جارت الدول الأوروبية فى ذلك وغفلت عن أن هذا هو الدين الاسلامى وباليها نسبت هذا القانون

(٤٣) تَرَكَ الْغُلَّ وَالْحَسَدَ (١) وَنَحَوَهُمَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى :
 (وَمَنْ شَرَّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ
 اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) *

الى القواعد الشريعة الاسلامية وتفاخر بذلك الدول الاوربية في أنه
 الدين الاسلامي *

(١) الحسد أن يرى الرجل لآخيه نعمة فيتمنى أن تزول وتكون له
 دونه فالحسد حسدان محمود ومذموم فالمحمود أن ترى عالما عاملا فقتشهى
 أن تكون مثله أو زاهدا فقتشهى مثل فعله وهو المسمى غبطة وقد تقدم
 والمذموم أن ترى عالما عاملا أو فاضلا أو تنظر الى ذى مال أو جمال أو
 جاه أو عافية فقتشهى أن يموت أو يزول مافيه من الأوصاف *

فالمؤمن يغبط والمنافق يحسد وهو خلق ذميم مضر بالبدن مفسد
 للدين وهو مرگوز في طباع البشر لأن الانسان يكره أن يفوقه أحد من جنسه
 في شىء من الفضائل والناس على أقسام في ذلك فمنهم من يسعى في زوال
 نعمة المحسود بالبغي عليه بالقول والفعل ومنهم من يسعى في نقل ذلك الى
 نفسه ومنهم من يسعى في ازالة نعمته عن المحسود فقط نسأل الله العصمة،
 فالحسد هو من أقبح الاوصاف لأنه يورث التفرقة والاختلاف مع أن
 تعاليم الدين الاسلامي أساسها أن يكون المسلمون كجسد واحد فالحسد
 أتعب نفسه فيما لا يعود عليه من نفع لأن التمنى لا يكون سببا لاىصال المرء
 الى ما ربه فلم يحصل الا على العناء ومرض القلب وعصيان الرب وتعيب
 الجسد واشغال القلب وقد يستطيل عن العمل لما يجيش في نفسه بما يسبب

وَحَدِيثُ أَنَسٍ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَقَاطَعُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا» *

وَحَدِيثُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ «لَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا يَجِلْ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ يَصُدُّ هَذَا وَيَصُدُّ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي

مرضه هذا اذا لم يسقه الحسد الى اعمال اخرى منكرا كالكذب والافتراء والتزوير وارتكاب جناية القتل فيكون قد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ، وما أحسن ما قاله بعضهم :

ألا قل لمن كان لي حاسدا أتدرى على من أسأت الادب
أسأت على الله في ملكه اذا انت لم ترض ما قد وهب
وقال بعضهم .

وأظلم خلق الله من بات حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب

قوله «لَا تَبَاغَضُوا» لأن البغض يفرق كلمتكم ويطمع فيكم عدوكم ويوهن عزمكم ويضعف قوتكم ولا تحاسدوا فإنه يسبب لكم اضرارا يزيد على التباغض بل قد يكون سببا في اتلاف نفس الحاسد ولا تدابروا بأن يعطى كل شخص دبره أى ظهره لأخيه كأنه لا يعرفه مع أن بينهما المعرفة التامة والصلة القرابية التي هي صلة الايمان قال تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا) بين أخويكم وكونوا عباد الله إخوانا) ينصرون بعضهم بعضا على الحق ولا تتركون يدا غريبة تعبت بكم ، بقوله ولا يجل لمسلم أن يهجر أخاه فوق

يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ « (١) »

وَبِهِ أَنْبَأَنَا الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : (وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) قَالَ هُوَ أَوَّلُ ذَنْبٍ كَانَ فِي السَّمَاءِ ، وَعَنْ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ خَمْسَ هُنَّ قَوْلٌ لِرَاحَةِ لِحْسُودٍ وَلَا مَرُوءَةٍ لِكَذُوبٍ

ثَلَاثَ لَيَالٍ « إشارة الى ان المرء اذا شغله عمله في نهاره فان الليل يذكركه بأن له صديقا أخلص له وهو اخوه في الله فلا بد ان يذكره خلال ليل ثلاث ليصلح معه اما مشافهة او مكاتبة لتزول الشحناء والبغضاء ، وفيه تحريم الهجران فوق ثلاثة أيام بالنص . ويباح في الثلاث بالمفهوم وحكمة ذلك أن الأدمى مجبول على الغضب ، فسومح بذلك القدر ، ليرجع ويزول ذلك عنه ، وهذا فيمن لم يحن على الدين جنائيا . وأما من جنى عليه وعصى ربه وارتكب المخالفات . وتلبس بالبدع والسيئات فجاءت الرخصة في عقوبته بالهجران على الثلاث كالثلاثة المتخلفين عن غزوة تبوك فامر الشارع بهجرانهم فبقوا خمسين ليلة حتى نزلت توبتهم ، ولبعضهم : ياهاجرى فوق الثلاث بلا سبب خالفت شرع المصطفى أزكى العرب هجر الفتى فوق الثلاث محرم مالم يكن فيه لمولانا سبب (١) وقوله وخيرهما الذى يبدأ بالسلام « لأنه فهم معنى الأخوة الاسلامية فرجح العواطف والعصبية ولم يكثرث بالعوائد والتقاليد فهو خيرهما ان رضى الطرفان لأنه البادى والا فيكون افعال التفضيل على غير بابيه ويبقى الخير منحصرا فيه وحده هذا فى المسائل الدنيوية واما فى الدين فالهجر يدوم ويجب دوامه حتى يرعوى ويتوب توبة صادقة »

(٢) قوله « لاراحة لحسود » لأنه يجد فى فؤاده شعلة نار تتأجج فهو متعب

وَلَا وَفَاءَ لِمُلُوكٍ وَلَا حِيلَةَ لِبَخِيلٍ وَلَا سُودَّ لِسِيٍّ الْخَلْقِ ۝

وَعَنِ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ مَا رَأَيْتُ ظَالِمًا أَشْبَهَ بِمَظْلُومٍ (١) مَنْ حَاسَدَ لَهُ
نَفْسَ دَائِمٍ . وَعَقْلَ هَائِمٍ . وَحُزْنَ لَا زَمَ . وَعَنْ بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ الْحَافِي
الْعَدَاوَةَ فِي الْقَرَابَةِ وَالْحَسَدَ فِي الْجِيرَانِ وَالْمَنْفَعَةَ فِي الْأَخْوَانِ ، وَعَنِ
الْمُبَرِّدِ أَنَّهُ أَنْشَدَ :

الفكر والقلب حتى يسرى الى جسده ولا مروءة لكاذب لانه لا يستحي
من الله والناس ليستحي من الناس وحدهم والمروءة تتعلق بهم وحدهم
فهو لا يهتم بها ولا يبالي ، ولا وفاء للملوك لانهم يقصدسون المنصب فهم
يتوهمون من كل شيء فالشبهة القليلة من اعز اصدقائهم تخيل اليهم
انه يريد اضرارا بعرشهم فيقبلون له ظهر المجن او يتلفون حياته
لانهم لا يرون فوقها مرتبة وغاب عن ذهنهم ان الملك هو خادم الرعية
والخدمة لا تستحق هذا النزاع الا اذا كان على ضرر بين يصيب المخدوم وهو
الرعية ، ولا حيلة لبخيل لان الحيلة قد تحتاج لدفع مال فهو لا تساعد نفسه على
بذل شيء لذلك لا يقدر عليها ولا على غيرها من الاعمال خشية على ماله من
الضياع او لاحيلة لبخيل في ازدياد ماله اذا أمسكه ولا سودد لسية الخلق لان
الناس تنفر منه ولا تريد بحالسته فكيف ترضى بسيادته ؟ قال تعالى لرسوله
(ولو كنتم غافلين لقلبكم بالغيب لانقضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم
وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله) ۝

(١) قوله ما رايت ظالما اشبه بمظلوم لما يصيبه من المضار والبلاء كما

عَيْنُ الْحَسُودِ عَيْنُكَ الدَّهْرُ حَارِسَةٌ تَبْدَى الْمَسَاوِي وَالْأَحْسَانُ تُخَفِّيهُ
يَلْقَاكَ بِالْبَشَرِ يُدِيهِ مُكَاشَرَةٌ وَالْقَلْبُ مِنْكُمْ فِيهِ الَّذِي فِيهِ
إِنَّ الْحَسُودَ بِلَا جَرَمٍ عَدَاوَتُهُ وَلَيْسَ يَقْبَلُ عَذْرًا فِي تَجَنُّيهِ

(٤٤) ﴿تَحْرِيمُ أَعْرَاضِ (١) النَّاسِ وَمَا يَجِبُ مِنْ تَرْكِ الْوَقِيعَةِ
فِيهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ (١) فِي الَّذِينَ
آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّ الَّذِينَ

جاء بعد ذلك في تفصيله من قوله نفس دائم لان الحسود يبقى يتنفس
الصعداء فهو لا يبرح نفسه يجرى بصورة غير اعتيادية كأنه ينفخ في شيء
وهذا تعب غير يسير ٥

وقوله وعقل هائم لانه لو كان مدر كالعلم ان هذا العمل لا ياتيه بفائدة ولكن
هام أعز ما عنده فارتكب اقبح ما يقدر عليه وحزن دائم لان مجرد نمطه
لا يزيل نعمة الآخر فالحزن ملازم له مادام الحسود حيا او مادام الحاسد
في قيد الحياة اى قبل ان يقيم الحسد عليه قانون العدالة فيبدأ به فيقتله ٥

(١) الاعراض اجمع عرض بكسر فسكون وهو كما قال ابن الاثير موضع
المدح والذم من الانسان سواء كان في نفسه أو في سلفه أو من يلزمه أمره
وقيل هو جانه الذى يصونه من نفسه وحسبه ويحامي عنه أن يتقص ويثلب اه
(٢) قوله إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا الآية الفاحشة
والفحش والفحشاء كما قال الراغب: ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال
ولإشاعة الفاحشة انتشارها وحب الفاحشة ولو بدون إشاعة لها قبيح

يُرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعْنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) وَغَيْرِ
ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ الْكَثِيرَةِ (١) *

ولفاعل ذلك عذاب أليم تجاه هذا الحب المنافي للاداب الاسلامية
والشريعة المحمدية فان الدين حثنا على حب بعضنا بعضا فقد روى الامام
أحمد. والبخارى. ومسلم في صحيحيهما عن أنس « لا يؤمن أحدكم حتى
يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ولا شك أنه لا يجب أن تشيع الفاحشة
في نفسه فاذن قد أراد لأخيه خلاف ما يرضاه لنفسه فلم يعمل بمقتضى
التعاليم الدينية فاستحق العذاب الاليم في الدنيا لكل من علم فعله هذا
المخالف للشروع والدال على انقطاع جبل الاخوة الدينية وفي الآخرة
من العذاب الشديد. وهذا ابلغ من الزجر على الاشاعة لان المنع عن
حب الشيء أمتع لفعله بالاولى فايحترز المؤمن على إقدام مثل ذلك ولكن
مع الاسف إنها فعلة شنيعة قد عمت وانتشر بلاؤها فاصبحت لا يخجل
منها مرتكبها ولا يعيبه الغير عليها لانحلال عرى الرابطة والجامعة ، فانا
له ولانا إليه راجعون *

(١) قوله «إن الذين يرمون المحصنات» الآية . المحصنات جمع محصنة
العفيفة من الحرائر المتزوجات فمن أقبح العيوب وأشنع الفعال رمى العفيفات
وذلك لانه يجوز أن ينخدع أحد المغفابين بقوله في صدقه في المؤمنة الغافلة ويسرى
القذف إلى أبنائها فاراد الله أن يذوق بلاء ما جناه فاسر بجده ثمانين جلدة
وأن لا تقبل له شهادة أبدا لتكون ذكرى لعمله القبيح ولتكون ردها من
احتمال بقاء القذف في مخيلة من ليس واقفا على القضية ولم يحضر إقامة
(م-١١) - مختصر شعب الايمان

وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَسْلُمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسَبِ أَمْرٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ » *

وَحَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ « لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسْقِ وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا وَارْتَدَّتْ عَلَيْهِ أَنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبَهُ كَذَلِكَ » *

﴿ ٤٥ ﴾ اخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (١) وَتَرَكُ الرِّيَاءَ لِقَوْلِهِ

الْحَدِّ مَعَ اللَّعْنِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِيَكُونُوا بَعِيدًا عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِمَا افْتَرَفَ وَعَمَلٌ حَيْثُ ارْتَكَبَ ذَنْبًا قَدْ يَتَجَاوَزُ أَنْاسًا كَثِيرِينَ وَقَدْ يَحْدُثُ فِتْنَةٌ لَا تَسْكُنُ إِلَّا بَارَاقَةَ دِمَاءٍ كَثِيرَةٍ أَوْ تَوْجِبُ فَرْقَةً يَشُقُّ التَّائِمَهَا وَاجْتِمَاعَهَا *

(١) قَوْلُهُ « اخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ تَعَالَى » أَيْ أَنَّهُ يَقْصِدُ بِطَاعَتِهِ أَنْ لَا يَشْرَكَ مَعَهُ أَحَدًا فَلَا يَفْعَلُ شَيْئًا لِأَجْلِ أَحَدٍ وَلَا يَتْرَكُ شَيْئًا مَرَاعَاةً لِأَحَدٍ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ هَذِينَ مِهْلَكَ وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُهُمُ الْعَمَلُ لِأَجْلِ النَّاسِ رِيَاءٌ وَتَرَكُ الْعَمَلُ لِأَجْلِ النَّاسِ كُفْرٌ وَالْإِخْلَاصُ أَنْ يَعَافِيكَ اللَّهُ مِنْهُمَا *

وَقِيلَ الْإِخْلَاصُ هُوَ أَفْرَادُ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْقَصْدِ فِي الطَّاعَةِ وَتَصْفِيَةِ الْفِعْلِ عَنْ مِلَاحِظَةِ الْمَخْلُوقِينَ ، فَالْمُخْلِصُ لِرِيَاءِ لَهُ ، وَالصَّادِقُ لِأَعْجَابِ لَهُ ، وَلَا يَتِمُّ الْإِخْلَاصُ إِلَّا بِالصِّدْقِ . وَلَا الصِّدْقُ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ

تَعَالَى (وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّینَ حُنَفَاءَ) (مَنْ كَانَ
 یُرِیدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ (١) نَزَدَ لَهُ فِی حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ یُرِیدُ حَرْثَ الدُّنْیَا
 نُؤْتَهُ مِنْهَا وَمَالَهُ فِی الْآخِرَةِ مَنْ نَصِيبٌ) (مَنْ كَانَ یُرِیدُ الْحَیَاةَ الدُّنْیَا

ولا یتیمان إلا بالصبر

روى أبو داود والنسائي بسند جيد عن أبي امامة قال جاء رجل إلى
 رسول الله ﷺ فقال أرأيت رجلا غزا يلمس الأجر والذكر ماله؟
 فقال رسول الله ﷺ لا شيء له فأعادها ثلاث مرات ويقول رسول الله
 ﷺ لا شيء له ثم قال إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان
 خالصا وابتغي به وجهه والله جل جلاله ينظر إلى اخلاص القلب وطهارته
 لا إلى ظاهر الجسم وحسن صورته لكن إذا كان الجسم والصورة في
 نظافة وجمال تبعاً لنظافة القلب وطهارته يكون أتم وأسعد، أخرج مسلم
 في صحيحه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «ان الله لا ينظر إلى
 أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم»

وقوله «وترك الرياء» الخ وهو ترك الاخلاص في العمل بملاحظة غير الله
 فيه فترك الرياء شعبة من الشعب التي تبرهن على قوة الايمان وأنه لا يخشى
 عليه من التزعزع والتغير ذلك لانه فهم نفسه وأدرك معن البشرية
 واستطاع أن يعقل علو رتبة مقام الربوبية فلم يره دل على أنه ملاحظ الذات
 العلية وهذا هو المطلوب بل هو عين الاخلاص الذي حدث عليه الشارع *
 (١) قوله «من كان يريد حَرْثَ الْآخِرَةِ» أي أنه لا يريد أن تكون
 ثمرات أعماله غير ثواب الآخرة فان الله سبحانه وتعالى يزيد له في حَرْثِهِ

وَزَيَّنَتْهَا نُوفٌ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ
لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ، (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ
بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) ۞ وَلَحْدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ ، فَمَنْ عَمَلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ
غَيْرِي ، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ (١) وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ ۞ وَلَحْدِيثُ جَنْدَبِ رَضِيَ

لِيَكُونَ الثَّمَرُ وَقْتُ حَصَادِهِ عَظِيمًا حَيْثُ شَبِهَ الْأَعْمَالُ بِالْحَرْثِ الَّذِي هُوَ
الْقَاءُ الْبَذَرِ فِي الْأَرْضِ لَتَنْبِتَ أَضْعَافَهُ ، وَلَمَا كَانَ اللَّهُ وَعْدًا عَلَى الْحَسَنَةِ جَزَاءً لِي
سَبْعِمِائَةٍ ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ يَضَاعَفُ لِمَنْ يَشَاءُ أَيْ أَكْثَرَ مِنَ الْعَدَدِ الْمَذْكُورِ قَالَ
تَعَالَى نَزْدَلُهُ فِي حَرْثِهِ لِيَحْصِدَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الرِّضْوَانِ الْإِلَهِيِّ وَالْإِنْعَامَاتِ
الرَّبَّانِيَةِ فِي دَارِ الْخُلْدِ وَعَدَا مِنْ اللَّهِ حَقًّا . وَأَمَّا مَنْ أَرَادَ حَرْثَ الدُّنْيَا نَوْتَهُ
مِنْ دُنْيَاهُ الَّتِي لَا تَسَاوِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا يَسْتَحِقُّهُ فِي التَّوْزِيعِ وَلَسْكَتُهُ يَبْقَى
فِي الْآخِرَةِ مُحْرَمًا مِنْ نَصِيبِ الثَّوَابِ وَهَذِهِ الْآيَةُ تَرُدُّعُ الْمَرْءِ الْعَاقِلِ عَنْ أَنْ
يَجْعَلَ الدُّنْيَا مَقْصُودَةً لِذَاتِهَا فَيَقْصُرَ طَلِبُهُ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهَا وَأَمَّا يَطْلُبُهَا لِكُونِهَا
وَسِيلَةً وَالطَّلَبُ الْمَقْصُودُ يَكُونُ مُحْصُورًا بِالْآخِرَةِ ۞

(١) قَوْلُهُ «أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ» لِأَنَّ اللَّهَ غَفَى عَنِ الْعَالَمِ عَنْ
عِبَادَتِهِمْ فَلَمَّا أَشْرَكَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ فَمَا لَاعْتِقَادَهُ بِاحْتِيَاجِ اللَّهِ إِلَى الشَّرِيكِ وَهَذَا هُوَ
الْكُفْرُ وَأَمَّا أَنْ يَرَى أَنَّ الْغَيْرَ مَسَاوٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهَذَا هُوَ الشُّرْكَ فَلَا يَقْبَلُ
اللَّهُ هَذِهِ الْأَعْمَالُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ لِمَحْضِ الْعِبَادَةِ *

اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ « مَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ يَرَأِي يَرَأَى اللَّهُ بِهِ (١) » *

(١) قوله « من سمع » الخ يفتح السين المهملة والميم الثقيلة والثانية مثلها وقوله : « ومن يرأى » بضم التحتية والمد وكسر الهمزة والثانية مثلها وقد ثبتت الياء في آخر كل منهما أما الأولى فللاشباع وأما الثانية فلذلك أو التقدير فإنه يرأى به الله ووقع في رواية وكيع عن سفيان عنده مسلم « من يسمع يسمع الله به ومن يرأى يرأى الله به » ، وفي الزهد لابن المبارك « من سمع سمع الله به ومن رأى رأى الله به ومن تناول تعاطا خفضه الله ومن تواضع تحشعا رفعه الله » ، وتعريفهما عين تعريف الرياء لما ذكرناه في نفس هذا الباب إلا أن السمعة تملق بالسمع والرياء يتعلق بالبصر أى من سمع في الدنيا فإن الله يوم القيامة يسمع الناس ما نواه في دنياه فيفضحه ومن يرأى يرى الناس ما كان عليه فيشهره ليكون عذابه أبلغ وعقابه أشد ، روى مسلم في صحيحه والنسائي والترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة . قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال فلان جرى . فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه الناس وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت لي قال عالم وقرأت القرآن لي قال هو قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال ما تركت

أَنبَأَنَا الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ « أَنَّ أَبَا عُمَرَ سُئِلَ عَنِ الْإِخْلَاصِ فَقَالَ
مَا لِيُحِبُّ أَنْ يَحْمَدَهُ عَلَيْهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » * وَعَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
لَا يَعْرِفُ الرِّيَاءَ إِلَّا مُخْلِصًا ، وَلَا النِّفَاقَ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا الْجَهْلَ إِلَّا عَالِمًا
وَلَا الْمَعْصِيَةَ إِلَّا مُطِيعًا (١) *

وَعَنْ الرَّبِيعِ بْنِ خَثِيمٍ كُلُّ مَا لَا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ يَضْمَحَلُّ وَعَنْ
الْجُنَيْدِ لَوْ أَنَّ عَبْدًا أَتَى بِإِفْتِقَارِ آدَمَ وَزَهْدِ عِيسَى وَجَهْدِ أَيُّوبَ وَطَاعَةِ
يَحْيَى وَاسْتِقَامَةِ إِدْرِيسَ وَوُدِّ الْخَلِيلِ وَخُلُقِ الْحَبِيبِ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ ذَرَّةٌ
لِغَيْرِ اللَّهِ فَلَيْسَ اللَّهُ فِيهِ حَاجَةً *

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ يَسْرِىٍّ أَنْ يَكُونَ لِي فِي كُلِّ شَيْءٍ نِيَّةٌ حَتَّى فِي الْإِثْمِ
وَالشُّرْبِ وَالنَّوْمِ (٢) *

من سبيل تحب ان ينفق فيها الا انفق فيها لك : قال كذبت ولكمك
فعلت لي قال هو جواد فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ،
(١) قوله « لا يعرف الرياء الا مخلص » لبعده عنه فهو أدرى الناس به
بخلاف من وقع فيه فهو لا يستطيع المشاهدة لاشتغاله فيه او انه اصبح
يظنه هو الاخلاص وكذلك يقال في النفاق والجهل . حفظنا الله منهما
(٢) قوله « حتى في الاكل » اي انه لا يجعل شيئاً في الدنيا مقصوراً لذاته
وانما يعد كل ما في الدنيا آلة للآخرة فالأكل مثلاً للتقوى على عبادة الله

وَعَنْ سَفِيَّانٍ كُلِّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ، قَالَ مَا أَرِيدُ بِهِ وَجْهَهُ (١)
وَعَنْ هَلَالِ بْنِ يَسَارٍ . قَالَ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِذَا
كَانَ يَوْمَ صَوْمٍ أَحَدُكُمْ فَلْيَدْنِ لِحْيَتَهُ وَلْيَمْسَحْ شَفْتَيْهِ وَيُخْرِجْ إِلَى النَّاسِ
حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ بِصَائِمٍ وَإِذَا أُعْطِيَ يَمِينَهُ فَلْيَمْخُفْ عَنْ شِمَالِهِ وَإِذَا صَلَّى
أَحَدُكُمْ فَلْيَسْدِلْ سِتْرَ بَابِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْسِمُ الثَّنَاءَ كَمَا يَقْسِمُ الرِّزْقَ *
وَعَنْ ذِي النُّونِ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَا أَخْلَصَ الْعَبْدُ لِلَّهِ إِلَّا أَحَبَّ
أَنْ يَكُونَ فِي جَبِّ لَا يَعْرِفُ * وَعَنْ بَشْرِ بْنِ الْحَارِثِ عَنِ الْفَضِيلِ بْنِ
عِيَّاضٍ لَأَنْ أَكُلَ الدُّنْيَا بِالطَّبْلِ وَالْمَزْمَارِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُلَهَا
بِالْيَدَيْنِ (٢) * وَعَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِي أَسْتَاذِي رَبِيعَةُ
الرَّايَ يَا مَالِكُ مِنَ السَّفَلَةِ ؟ قُلْتُ مَنْ أَكَلَ بَدِينَهُ فَقَالَ مَنْ سَفَلَةُ السَّفَلَةِ
قَالَ مَنْ أَصْلَحَ دُنْيَا غَيْرِهِ بَفْسَادِ دِينِهِ قَالَ فَصَدَقْتَنِي *

واللباس لحفظ البدن كي لا يمرض فلا يقوى على العبادة او لستر العورة
التي نهى الله عن كشفها والزواج كي يخرج منه ذرية صالحة تعبد الله
وحده وهم جرا وهذا هو الذي كان عليه السلف الصالح رحمهم الله *
(١) اي كل شيء اريد به وجه الله تعالى فهو باق وثابت وما اريد به غيره
فهو هالك وفان .

(٢) قوله ولان اكل الدنيا بالطبل والمزمار الخ لانه لم يغش أحدا ولم يفعل

وَعَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَخْسَرُ الْخَاسِرِينَ مَنْ أَبَدَى لِلنَّاسِ صَالِحَ أَعْمَالِهِ
وَبَارَزَ بِالْقَبِيحِ مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ *

وَعَنْ سَفِيَّانَ يَامَعْشَرَ الْقُرَاءِ ارْفَعُوا رُءُوسَكُمْ لَا يَزِيدُ الْخُشُوعَ
عَلَى مَا فِي الْقَلْبِ فَقَدْ وَضَحَ الطَّرِيقُ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ
وَلَا تَكُونُوا عِيَالًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ *

وَعَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ خُوفُوا الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْمُنَافِقِينَ بِالسُّلْطَانِ
وَالْمُرَائِينَ بِالنَّاسِ

شيئا لم يخدع به أحدا ولم يراء الناس بخلاف من يأكلها بالدين فذلك قد جعله
مصيدة وشبكة وباطنه بخلاف ما هو عليه وأراد الله منه فاجيب بنفي أن تكون
أحب على بابها إلا أن يريد بالدين أجره التعليم حيث أن زمانه استأثر فيه
ولادة الأمر على بيت المال ولم يبق لأهل العلم سهم فاصبحوا يتقاضون
الأجرة لأجل احتياجهم وإلا فإن الخداع بالدين لا يقول أحد بأنه يوازي
شيئا بل هو انقص النقائص واقبح العيوب *

(١) قوله «وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا تَكُونُوا عِيَالًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ» يقال أجمل في
طلب الشيء أتأدوا اعتدل فلم يفرط قال الشاعر الرزق مقسوم فأجمل في الطلب أي
اعملوا كما عليه قلوبكم ولا تحذعوا الناس وتجعلوا الملكم أن رزقكم لا يكون إلا
من الصدقات والأوساخ بل أن القاريء يجب أن تكون همته أرفع
وعزيمته أمضى فلا يدهن الناس ويحتمد في أن لا يحتاج اليهم ليبقى معزز أمكرما *

(٢) قوله «خُوفُوا الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ» لأنهم لا يخافون سواه وخوفو المنافقين

(٤٦) السُّرُورُ بِالْحُسْنَةِ وَالْإِغْتِمَامُ بِالسَّيِّئَةِ (١) لحديث جابر
ابن سمرّة عن عمر بن الخطّاب رضى الله عنه في سنن أبى داود «ومن
سرته حسنة وساءلة سيئته فهو مؤمن» *

(٤٧) معالجة كل ذنب بالتوبة (٢) لقوله تعالى (وتوبوا إلى

بالسلطان لأنهم لا يرون أذى منه . والمرائن بالناس لأنهم لا يشهدون
سواهم ويعتقدون أنهم أعظم من الله قوة ونعمة والا ما عبدوا لأجلهم
فجدير بأن يخوف كل من الثلاثة بما ذكره البعض رحمه الله *

(١) قوله «السُّرُورُ بِالْحُسْنَةِ» السُّرُورُ ضد الحزن وهو لذة تقع في
القلب بادراك المحبوب ونيل المشتهى فيتولد من ادراكه حالة تسمى سروراً
كما ان فقد المحبوب يتولد منه حالة تسمى الحزن والغم . فسُرُورُ العبد
بالحسنة لانه برهان على احترامها وانها محبوبة في نظره . مبالغة لديه
وعلى قدر تعلقه بالشئ يعرف مقياس حبه ، والاعتِمَامُ بِالسَّيِّئَةِ لانه
دليل على أنها مكروهة لديه ينفر منها ولا يريد لها فيغتم لها كما
يغتم لمصيبة عظيمة وهذا هو الايمان الصادق لان حب الشئ يبعث على
الاكثار منه وملازمته أو اتيان أفضل أنواعه مما امر الله به من علم وعمل
وحسن خلق وكراهة الشئ تسوق الى النفرة والبعد عنه فيجفل منه
حتى لا يمكن أن يغش فيه فيكره كل الموبقات من ترك العبادات ومن
الحسد والغل وقول الزور والذب والفتنة والفساد في الارض *

(٢) قوله «معالجة كل ذنب بالتوبة» وهي اناة العبد الى مولاه ورجوعه
الى سيده ومالك أمره ولا يخرج عن دينه فيقلع عما كان عليه من ارتكاب
المعاصي او اجتناب الطاعات مع العزم على ان لا يعود الى تلك الحالة
الماضية التي تاب الى الله منها واناب . لما رواه البيهقي في السنن أن رسول

اللَّهُ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١﴾ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا
وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُوا إِلَهُ «الْآيَاتِ» *

* وَلِحَدِيثِ أَبِي بَرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَنِ الْأَعْرَابِيِّ الْمَزْنِيِّ
فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ . وَسَمِعْتُ أَبِي دَاوُدَ وَغَيْرَهُمَا أَنَّهُ لَيَغَانُ . عَلَى قَلْبِي (١)
وَأَنِّي لَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ *

اللَّهُ ﷻ قَالَ «التوبة من الذنب أن لا يعود إليه أبداً» وعلامة صدق
التوبة من العبد أن يكون بعدها أحسن حالاً قبلها وإلا فلا معنى لها مادام
حاله لم يتحسن ومعاييه لم تنقص وطاعاته لم تزد بل هو يستخر بالدين
ويجعله العوبة لما روى مصنف الأصل فيه عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله ﷺ «التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر
من الذنب وهو مقيم عليه كالمستزىء بربه»

(١) قوله «انه ليغان على قلبي» الخ أى يحصل لقلبي غشاوة وذلك عند
انصرافه عن الحق الى الخلق لرؤية مصالح الآمة وتدبير شئونها فيرى ذلك
انه غير الكمال الذى يتطلبه في وجوده بحضرة الانس القدسية فيرى ذلك
ذنبا لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين فيخشى ان يكون أضعاف
من وقته ولو يسيراً والافان هذا الانصراف عين العبادة وفيه رضاء الله
ووظيفة الرسول التي ميزه الله بها «قل إنما انا بشر مثلكم يوحى الى» أى
بتبليغ الأحكام الالهية فاحتمال التقصير بحيث أن فى امكانه أن يقوم بأكثر
مما أداه يجعله يخاف مقام ربه ويعد ذلك ذنباً فهو يستغفر الله من مثل
هذا فى اليوم الواحد مائة مرة وإليه الإشارة فى ثنائيه ﷻ سبحانه

(٤٨) الْقَرَابِينِ وَجَمَلَتْهَا الْهُدَى وَالْأَضْحِيَّةُ وَالْعَقِيقَةُ

لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (فَصَّلْ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ - وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ - وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَأَنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ)

الآيَات (١) *

لأحصى ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك . وهذا منه ﷺ تعليلنا بأن الانسان ينبغي له أن لا يغتر بعمله فان الرسول الذي بشره الله تعالى بقوله « ووضعتنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك » أى مما تراه وزرا وان لم يكن فى الحقيقة وزراً ولقوله تعالى « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » يخاف ربه هذه الدرجة فغيره ينبغي ان يكون أكثر واعظم خوفاً فيرى نفسه لم يكن شيئاً مذكوراً ويظهر بمظهر العبودية والتواضع والاخلاص لله تعالى .

(١) قوله « القرابين » جمع قربان وكان قربان الأمم السالفة ذبح البقر والغنم والابل ، وهى تقديم كل ما يتقرب به لله تعالى من الأنعام ولها أنواع كثيرة منها ما يكون لتحصيل الطاعة كما ذكره المصنف من هدى الحج والأضحية والعقيقة ومنها ما يكون توبة من الذنب وطهارة له كالذبح فى صيد المحرم والصيد فى الحرم أو لأجل الوطء فى اثناء الاحرام وكان اول قربان وقع هو مثلاً لبني آدم كما قصه الله علينا فى سورة المائدة بقوله « اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر » الآية فاذن هو من الشرائع القديمة التى جاء الإسلام به موافقاً لها لان شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا * وقوله « الهدى » هو ما يسوقه الحاج من ابل او بقرا وغنم ليزبحه بعد رمى جمرة العقبة وكما فعل النبي ﷺ حيث ساق مائة من الابل ذبح

وَلَحْدِيثِ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحَّاحِينَ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُضْحِي بِكَبْشَيْنِ أَقْرَيْنِ أَمْلَحَيْنِ (١) وَلَقَدْ
رَأَيْتُهُ يَضَعُ رِجْلَهُ فِي صَفَاحِهِمَا وَيَسْمِي وَيَكْبِرُ . وَفِي رِوَايَةٍ وَلَقَدْ
رَأَيْتُهُ يَذْبَحُهُمَا بِيَدِهِ (٢) .

(٤٩) طَاعَةُ أُولَى الْأَمْرِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) قِيلَ هُمْ أَمْرَاءُ السَّرَايَا وَقِيلَ هُمُ الْعُلَمَاءُ
يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَامًّا لِهَئَانِ كَانَ خَاصًّا فَبِأَمِيرِ السَّرَايَا أَشْبَهَ (٣) .

منها ثلاثا وستين وأمر سيدنا عليا كرم الله وجهه أن يذبح البقية ومنها
هدى وهو انه يذبحه المتمتع بالعمرة الى الحج كما ذكره الله بقوله : فما
استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم
تلك عشرة كاملة » ومثال المتمتع القارن وهو الذي احرم بالحج والعمرة معا
وقوله « والاضحية » هي اراقه دم من النعم في يوم عيد الاضحية
في ايام التشريق الثلاث عند الشافعي وعند مالك واني حنيفة تمتد يومين
بعد العيد وهي سنة عند جميع الائمة الا ابا حنيفة فانه قال بوجوبها على
مالك النصاب ، وقال مالك سنة واجبة يقاتل على تركها أهل البلاد اذ اتركها جميعهم
وقوله « والعقيقة » هي ما يذبح يوم سابع ولادة المولود فابعده وشروطها
كشروط الاضحية من حيث السن والعيب وكونهما من النعم لكن هذه الاولى
فيها الطبخ وتلك توزع نيئة (١) قوله بكبشين تذنية كبش والاقرن هو الذي له قرنان
والاملاح الابيض الخالص وقيل الذي يخالط بياضه شيء من السواد
(٣) قوله « طاعة اولى الامر » لان فيها جمع كلمة المسلمين وعدم اعطاء

وَلَحْدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الصَّحِيحَيْنِ ۖ مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ
وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ يَطْعُمُ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ يَعِصُ
الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي (١)

مجال للتفرقة التي هي سبب تمزق شمل الامة وتسيطر العدو عليها فان
الاختلاف اذا حصل في جيش غالب ينقلب مغلوبا وما انقسم جماعة الا
ضعفت قوتهم ووهن عزهم وطمع فيهم عدوهم وكانت الدسائس قدما
ماتحاك بالمسلمين ليحصل ذلك وقد وقع فاصبحوا العوبة بيد غيرهم مستعبدين
في الارض وهذا هو الخسران العظيم . لكن الطاعة مقرونة بما ليس
معصية اما المنكرات فلا تجوز فيها الطاعة . روى الامام احمد في مسنده عن
عمران بن حصين قال قال رسول الله ﷺ « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »
وفي الصحيحين . وسنن ابي داود . والنسائي عن علي كرم الله وجهه قال قال رسول
الله ﷺ لا طاعة لمخلوق في معصية الله انما الطاعة في المعروف ، فاذن
الطاعة مقيدة بما لا يخالف المشروع والمقصود من اولى الامر هو الذي
يدير امر العامة وينظر في شؤونها ورضيت الامة به اميراً عليها
فسلطته قيادها ۝

(١) قوله « ومن يعص الامير فقد عصاني » حيث قد شرط الشارع طاعة
الامير في غير معصية فاذن انه عبارة عن لسان الشريعة المتكلم بها فعصيان
عصيان للشريعة . وهذا ما قاله أبو بكر : أطيعوني ما أطعت الله ولأن المسلمين
لا امير عندهم حقيقة وانما هو صوري موهوم ولهذا قال تعالى (فان تنازعتم
في شئ فردوه الى الله والرسول) فالحاكم الحقيقي هو الشرع ولذلك جعل
الشارع طاعة الامير طاعة رسوله وطاعة الله لانه لا يأتي من عند نفسه بشئ
فالخارج على الامام لغير غرض شرعي غايته اضعاف المسلمين وتغلغل

وَلَحْدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِمَا يَا أَبَا ذَرٍّ اسْمَعْ وَأَطِعْ وَلَوْ
عَبْدًا حَبَشِيًّا مَجْدَعِ الْأَطْرَافِ (١) *

الفساد والشقاق فيهم أو لأجل أن يسيطر عليهم عدوهم وهذا هو النفاق بعينه
أو لأجل أن ينال زعامة وهذا هو الضلال لأنه كان يجب أن يكون عوناً لأميره
مادام يمثل الاسلام . اما وقد عصى فهذا هو الغنى والخسران لأنه تبع هوى
نفسه وأراد اضرار المسلمين وكلا الخصلتين مذموم صاحبه مؤاخذ عند الله
تعالى . اللهم وفق ولاة امور المسلمين لطريق الصواب . اللهم أرهم الحق حقاً
وارزقهم اتباعه وأرهم الباطل باطلا وارزقهم اجتنابه وألحق قلوبهم ادراك
دسائس الغرب وما ينوي به من العدا للمسلمين والقضاء على البقية الباقية لقد
استفحل أمره بالفساد والافساد ولم يبق لنا ملجأ الا قدرتك يا غياث المستغيثين
(١) قوله «لو مجدع الأطراف» غاية فيما لورأى الأمير تولية عبد أسود ولاية
يرجى منه أن يؤديها بصدق فتجب طاعته حينئذ لان طاعته طاعة للأمر . ولكن
هذا منتج الاضرار وتمزيق شمل المسلمين الاحرار الان هذه كالفرضيات
الضرورة قد تحصل نادرا لا بمعنى أن يكون أمير المؤمنين والافان تفريق
كلمة المسلمين لاظهار الغناء والفساد وبيان الصافي خير من هذه الامارة التي
تدل على ان المسلمين لم يبق فيهم خير يرجى والاسستسلام لمثل ذلك هو الضلال
وبسوء فهم مثل هذه الاحاديث التي هي عبارة عن فرضيات محضة استغلها الامراء
ولا سيما في الدور العباسي ففقد المسلمون عزة النفوس وأضاعوا الالباع والشمم
وأصبحوا كما تراهم لا يحجمون عن الذلة ولا ينفرون عن الاهانة كما أنهم ليسوا
أبناء أولئك الاسلاف الامجاد الحماة الذين دوخوا العالم واخضعوا كل
معاند ولم يقف امام تيارهم قوة مما جلت وعظمت فسبجان من يغير ولا

(٥٠) التمسك بما عليه الجماعة لقوله تعالى : (واعتصموا بحبل
الله جميعاً ولا تفرقوا) (١) *

ولحديث أبي هريرة في صحيح مسلم « من خرج من الطاعة
وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية » (٢) *

يتغير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم *

(١) قوله « التمسك بما عليه الجماعة » فان الخروج عن طريقهم مروق من الدين
فقد قال تعالى : (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً آست منهم في شيء) ومن
الغريب ان الدسائس لعبت في المسلمين حتى اصبحوا يسعون أنفسهم بالترقية عن
طريق الدين ظناً منهم ان هذا من الدين او ان الله تعالى يرضى عنه. ولكن هذا
ينشأ غالباً من دعاة السوء اعوان الغرب وايديه العاملة واما من الجهل فيلعب
به أولئك السفلة لتفريق قوى المسلمين فيتنازعوا بينهم فيضعف امرهم
ويظهروا دخائلهم ويضطر احدهم بحكم الانتصار للنفس لى يغلب خصمه
ان يستعين بعدو آخر فيقع الاثنان في شبكته وتكون له صفقة رابحة
وغنيمة باردة وقد حصل ذلك ولا تزال الايام تنمخض بهذه الحوادث
وهي كل يوم في ازدياد انا لله وإنا اليه راجعون

(٢) قوله « فقد مات ميتة جاهلية » لانه لم يرض بما عليه المسلمون ولم يقبل
تحكيم كتاب الله تعالى وسنة رسوله فهو اتبع عصبية وحمية ونفخ الشيطان في
أذانه فصار يستحق غير هذه هي الجاهلية بعينها فحقه ان يموت عليها كما كان
المشركون قبل الاسلام لان الرسول قال مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل
الجسد الواحد كما رواه البخاري فاذا رام جعله اجساداً وافرأداً فقد خالف
الرسول ينبغي بذلك ان تضحل قوى الاسلام ويتغلب عدوهم عليهم

وَحَدِيثَ عَرَفَجَةَ بْنِ شَرِيحٍ الْجُهَنِيِّ فِي مُسْلِمٍ أَيْضًا «سَتَكُونُ بَعْدِي
هَنَاءٌ وَهَنَاءَةٌ فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ يَفْرُقُ أَمْرَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ وَهِيَ جَمِيعٌ فَاقْتُلُوهُ
كَأَنَّا مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ»

(٥١) الْحُكْمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (١) «وَإِذَا حَكَمْتُمْ

بَخْرُوجِهِ عَنِ الطَّاعَةِ حَيْثُ فَتَحَ الْبَابَ لِغَيْرِهِ فَيَكْثُرُ الْفُسَادُ وَيَنْتَشِرُ النِّزَاعُ
وَالْخِصَامُ فَيَصْبَحُ الْمُسْلِمُونَ فَوْضَى كَمَثَلِ جَسَدٍ وَلَا رَأْسَ لَهُ فَهَلْ تَرْجِي لَهُ
الْحَيَاةَ أَوْ يَأْمَلُ أَحَدٌ مِنْهُ عَمَلًا وَقَوْلُهُ (مِيتَةٌ) بِكسر الميم *
(١) قَوْلُهُ «فَاقْتُلُوهُ كَأَنَّا مِنْ ذُنُوبٍ» لِأَنَّهُ سَوَاءٌ نِيَّتُهُ قَدْ تَحَقَّقَتْ عَمَلِيًّا فِي إظهار
الشُّرُورِ وَالْفِتَنِ الَّتِي عُبِّرَ عَنْهَا الشَّارِعُ بِقَوْلِهِ : هَنَاءٌ وَهَنَاءَةٌ فَلَا جَزَاءَ لَهُ إِلَّا
الْمَوْتُ لِأَنَّهُ فَسَادُهُ بَلَغَ دَرَجَةَ يَشُقُّ مَعَهَا الْإِصْلَاحُ فَاتْلَافُهُ اسْتِكْثَانٌ لِلْفِتَنِ
وَفِيهِ مَنَفْعَةٌ عَظِيمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ كَيْ لَا يَقْتَدُوا بِعَمَلِهِ الْمُهْلِكِ وَصَلَاحٌ لَهُ أَيْضًا
لِأَنَّهُ يَنْتَقِلُ مِنْ دَارِ التَّسْكِينِ كَيْ لَا تَكْثُرَ سَيِّئَاتُهُ لِأَنَّ أَنْوَاعَ الْمُطَهَّرَاتِ
أَفْضَلُهَا السَّيْفُ لِأَنَّهُ لَا يَتْرُكُ مَجَالًا لِابْقَاءِ الْجَرَائِمِ الْقَاتِلَةِ وَالسَّمُومِ الْمُتَلَفَةِ
فَهُوَ الْعِلَاجُ النَّافِعُ *

(٢) قَوْلُهُ «الْحُكْمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ» لِأَنَّ الْحَاكِمَ قَوَامُ الدُّنْيَا وَالْقَضَاءُ
رُكْنُ الدَّوْلَةِ فَإِذَا فَقِدْتَ الْعَدْلَ أُمَّةٌ فَقَدْ أَصْبَحَتْ عَرْضَةً لِلْفُسَادِ وَالْفِتَنِ
وَالْفَوْضَى وَصَارَ أَرْوَاحُهَا غَيْرَ آمِنِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَا عَلَى أَعْرَاضِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ لِأَنَّ
الَّذِي يَرُدُّ أَرْبَابَ الْفُسَادِ عَنْ زَوَايَاهُمْ الْحَبِيبَةُ هُوَ عَدْلُ السُّلْطَانِ فَإِذَا زَالَ
فَلَا مَلْجَأَ لِلضَّعِيفِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ تَحْتَ رَحْمَةِ الْقَوِي وَهَنَّاكَ تَفْسِيكَ عَرَى
النِّظَامِ وَتَسْوَدُ الْفَوْضَى لِأَنَّ الْمَظْلُومَ إِذَا كَانَ غَيْرَ وَاثِقٍ مِنْ عَدَالَةِ الْقَضَاءِ
فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ مَرَاجَعَتَهُ لِكَيْ يَنْتَصِفَ لَهُ مِنْ تَعْدِي عَلَيْهِ أَوْ يَسْتَحْصِلَ حَقَّهُ الْمَهْضُومَ

مِنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ (وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيًّا)
(وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) الْآيَات *

وَلَحَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي الصَّحَّاحِينَ «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ
رَجُلًا آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَاكِهِ فِي الْحَقِّ وَآخَرَ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً
فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعْلِمُهَا» *

(٥٢) الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ (١) لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

وَالظَّالِمَ آمَنَ عَلَى نَفْسِهِ إِذَا اسْتَحْضَرَ الْوَسَائِطَ الْإِلَازِمَةَ مِنْ تَشْرِيكَ فِي
الْمَحْصُولِ أَوْ بَذْلِ مِنَ الْأَمْوَالِ أَوْ مَسَائِلَ أُخْرَى أَدْرَى النَّاسَ بِهَا الَّذِينَ
مَارَسُوا الظُّلْمَ وَعَرَفُوا كَيْفَ يُسْتَبَدُّونَ بِأَمْوَالِ النَّاسِ بَلْ بِالنَّاسِ أَنْفُسِهِمْ
إِلَى أَنْ صَارَتِ الْأَمَّةُ عَرْضَةً لِمَا وَقَعَتْ فِيهِ لِأَنَّ الْأَمَّةَ الَّتِي فَقَدَتْ حُكْمَهَا
الْعَدْلَ فَهِيَ لَيْسَتْ صَالِحَةً لِلْبَقَاءِ وَإِنْ طَالَ أَمَدُ حُكْمِهَا إِنْ الْأَرْضُ يَرْثُهَا
عِبَادِي الصَّالِحُونَ الَّذِينَ لَا يُضِيعُ الْحَقَّ بَيْنَهُمْ وَلَا يَشْدُونَ أَزْرَ الظَّالِمِ مَهْمَا كَانَ
قَوِيًّا وَيَنْصُرُونَ الظَّالِمَ وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا بِأَنَسِهِ *

(١) قَوْلُهُ «الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ» . وَذَلِكَ لِأَنَّا قُلْنَا إِنْ
الْإِنْسَانُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَعِيشَ مُنْفَرِدًا بَلْ لَا يَدُلُّهُ مِنَ الْاجْتِمَاعِ ضَرُورَةٌ لِتَوْقُفِ
نِجَاحِ أَعْمَالِهِ عَلَى الْمُسَاعَدَةِ وَقَدْ تَسَوَّقَ النَّفْسُ الْأَمَارَةَ صَاحِبِهَا إِلَى أَنْ
يَرْتَعَ فِي ارتِكَابِ الْمَوَاقِفِ وَالْمَجَاهَرَةِ بِالْمَحْرَمَاتِ غَيْرِ مُتَلَفِتٍ إِلَّا إِلَى مَا يَحْصُلُ
لَهُ مِنَ اللَّذَّةِ مُنْدَفِعًا بِسُكْرِ الْغَالِبَةِ أَوْ ثَمَلًا بِخُمرةِ الظُّفْرِ وَالْقُوَّةِ لِأَنَّ مِنْ

(١٢-٢) - مختصر شعب الإيمان

(وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وَقَوْلُهُ : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) وَقَوْلُهُ

المعلوم أن الناس متفاوتون في العقول والادراكات والأجسام والقوة
والضعف فلولم يجد له رادعا يمنعه عن غيه وزاجراً يحول دون أن يشط
في طريق الضلالة والاضرار بالناس فإن كل ما يحول بخاطره من المنكرات
لا يتأخر عن عمله لافتح باب الفوضى على مصراعيه فهذه المضار التي
ذكرناها لا يكفل دفعها إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه الزاجر
الذي يمنع الجاهل عن ركوب سبل الغواية وبسببه تزول عقبات الشرور
في الدنيا ولا يصيب أولئك القوم غضب الله تعالى مادام الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر موجوداً رائجاً *

لو أمعنا النظر في ذلك لوجدنا أن حالة المسلمين اليوم ما وصلت إلى هذا الحد
إلا لما لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فقد روى الترمذى وأبو داود
عن أبي بكر الصديق قال يا أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية «يا أيها الذين
آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ» وإنى سمعت رسول الله ﷺ
يقول «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم
الله بعقاب من عنده» اه *

وروى الأصمباني عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : «لا تزال
ألاله إلا الله تنفع من قالها وترد عنهم العذاب والنقمة ما لم يستخفوا بحقها
قالوا يا رسول الله وما الاستخفاف بحقها قال يظهر العمل بمعاصي الله
فلا ينكر ولا يغير» اه *

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ) إِلَى
قَوْلِهِ : (الْأَمْوَالُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّافُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ) الْآيَاتِ وَ قَوْلِهِ
(لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ
مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرِ
فَعْلُوهُ لِبَسِّ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) وَالْقُرْآنُ مُشْحُونٌ بِهِمَا *

وروى الحاكم عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ انه قال « اذا رأيت
أمتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودع منهم » اه . وقد ذكر الله من
أسباب خيرية هذه الأمة قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وكان سبب لعن
الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود . وعيسى بن مريم ما قاله تعالى :
« كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبس ما كانوا يفعلون » وقد اصبحنا
في مثل هذه الحالة يفاخر العاصي بذنبه والجاني بجرمه ومامن معارض
ولامنازع بسبب اسم الحرية والترقي كي لا تكسر عواطف من يرتكب تلك الفعل
الشنعاء اما الطعن في الدين فانه لا ينافي الحرية لأن المؤمنين او المتدينين
لاحق لهم في هذه الحياة وكسر عواطفهم واهانة معتقداتهم لا تعد جريمة
ولا ذنبا تواخذ عليه القوانين الحاضرة فانا لله وانا اليه راجعون *

وللصحابة رضوان الله عليهم أجمعين اليد الطولى في الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ، أذكر لك نموذجا منه لتقتدى بهم وتسير على
منهاجهم *

قال حذيفة بن اليمان : دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فرايته مهموما حزينا فقلت: ما بهمك يا أمير المؤمنين؟ فقال: أخاف أن أقع في منكر فلا ينهاني أحد منكم تعظيما لي فقال له حذيفة: والله لو رأيتك خرجت عن الحق لتهينك فإن لم تنته ضربتك بالسيف قال: ففرح عمر وقال الحمد لله الذي جعل لي أصحابا يقوموني إذا عوججت *

وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول: لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليسلطان الله عليكم سلطانا ظالما لا يحل كبركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم *

وقال الامام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه: من نهى عن المنكر وشأن الفاسقين وغضب اذا انتهكت حرمة الله غضب الله تعالى له، وعنه أيضا كرم الله وجهه قال: سيأتى على الناس زمان يكون منكر المنكر فيه أقل من عشر الناس ثم يذهب العشر بعد ذلك فلا يبقى أحد ينكر منكرا * وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه: سيأتى على الناس زمان يكون صالحهم فيه هو من لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر فيقول الناس ما رأينا منه الاخير الكون لهم يغضب الله تعالى *

وعلى كل انسان أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى الاشياء التى يستوى فيها العالم والجاهل كالزنا وشرب الخمر والربا والغيبة والنميمة والكذب والحلف بغير الله وصفاته والاعتماد على غير الرازق تعالى وأذى الناس واعانة الظالم وترك الصلاة والزكاة والحج الى غير ذلك مما شاع عليه لكل فرد سواء نفعت الذكرى أم لم تنفع وعليه حمل (ان) فى قوله تعالى: (وذكر ان نفعت الذكرى) على معنى (قد) وقد أجاب سفيان الثورى رحمه الله تعالى حينما سئل يا أمر الرجل من يعلم أن لا يقبل منه فقال نعم ليكون ذلك معذرة له عند الله تعالى، وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول: ذهب المعروف يبكى وجاء المنكر يضحك ثم يشد:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خالف يركى بعضهم بعضا ليدفع معور عن معور
فانظر أيها القارئ الى هذه الصفات الحميدة وما كان عليه الساف من
الاهتمام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعرض صفات العلماء والوعاظ
المرشدين في هذا العصر — الذي ارتقى الوعاظ فيه الى أوج الكمال على
زعمهم — على ما سمعت لتعرف هل هم من ينكر المنكر إذا رآه أو سمعوا
به حقيقة أولا؟ وهل هم من يحبهم الله تعالى أولا، وهل نصرُوا شريعة نبيهم
المعظم محمد رسول الله ﷺ أو أعرضوا عنها وهل هم ممن أناط نظره
بالدعوة الى مصالح المسلمين عامة بقطع النظر عن المسائل المذهبية ومشارب
رؤساء الصوفية لكونهم يزعمون انهم من الدعاة الى الله تعالى بحكم النيابة والوراثة
النبوية . وليتهم فعلوا مثل ما يفعل الاجانب من الدعاية للحزب والعقيدة
كما هو واقع الآن في ألمانيا واسبانيا وإيطاليا وروسيا . ولصديقنا الأستاذ المحب
الخطيب مقالة هنا نكتب بماء الذهب احببت أن أسردها حرصا على المنفعة العامة قال
إن نجاح الوعاظ الاسلامي منوط بسعة نظره الى الاسلام ، وإدراكه
جليل أغراضه واستيعابه الصورة التي يريد بها الاسلام للامة التي تنتمي
اليه وتسللك سبيله .

هل سمعت بوزارة الدعاية في دولة النازي التي أسسها هتلر؟ انها أهم
وزارة في دولته، ويعتبرونها قوام حياة الألمان وصخرة نجاتهم . والقائمون
بها — من الوزير الى الألوف من رجاله وأعرانه — هم الذين فهموا
الشكل الذي يراد إفراغ الأمة به ، ودرسوا الاساليب التي تتبع في توجيه
الجمهير نحو غاياتها العليا، وقد بدأوا بانفسهم فآمنوا بما يدعون اليه وكانوا اقوة
للناس في تفاصيل ذلك لا يخرجون عنه في شيء من ظواهر أحوالهم وبواطنها .
ان الوعاظ في الاسلام هم القائمون له بمثل ما تقوم به وزارة الدعاية
ورجالها لدولة النازي في أيامنا .

أدبر غلطة ارتكبتها بعض المنتمين الى الصوفية من الوعاظ وربطهم

الناس بالاشخاص لا بالمبادئ ، فصار أتباعهم . ومن سرت اليهم عدواهم يعرفون الحق بالرجال وكان يجب ان يعرفوا الرجال بالحق ، انقادوا للرجال يسرون من ورائهم أصابوا ام اخطأوا ، ولو عودهم السير وراء المبادئ ومع من ينزل على احكامها لبقينا كما كنا في الصدر الاول اهل قوة ومنعة واستقامة ، لان الرجال يعترضهم التغير ويقعون في الخطأ . وأما المبادئ الصحيحة فانها لا تتغير ولا تخطئ . والاسلام لا يعرف العصمة الا للانبياء فيما يبلغون عن الله لان الله عز وجل لما ناط بهم الامانة العظمى اسبغ عليهم حلة الكمال الانساني صيانة لها . اما العلماء والشيوخ والمرشدون فانهم عباد الله يخطئون ويصيبون . فموافقوا به نصوص الاسلام ومبادئه التي قررها الشارع ﷺ ودعا الامة اليها فعلى المسلمين اتباعهم فيه . وما خالفوا فيه النصوص الصحيحة الظاهرة . والمبادئ الثابتة الواضحة . فعلى الامة ان تكون مع المبادئ والنصوص تاخذ بما وافقها وتعرض عن خالفها .

ومن اهم واجبات الواعظين في الاسلام تعليق آمال الناس بالخالق دون الخلق في جميع المعاني . فمن اعتقد ان النفع والضرر بيد الله يستحيل عليه ان يطيع مخلوقا في معصية الخالق . ومن اعتقد ان النفع والضرر بيد الله يستحيل عليه ان يستخذى لمستعمر . ومن اعتقد ان النفع والضرر بيد الله يستحيل عليه ان يضحي شيئا من الدين لشيء من الدنيا . والامة المسلمة اذا استطاع الواعظون ان يجعلوا هذا خلقا من اخلاقها كانت بذلك خيرا مما تعمل وزارة الدعاية في دولة النازي على توجيه الامة الالمانية له . ولكن الشرط الاساسي لنجاح الواعظين في حمل الامة الاسلامية على هذا الخلق ان يبدأ الواعظون بانفسهم فيحملوها على التخلق به ، فان لم يفعلوا فان اقوالهم المعسولة في تحسينه للناس لا تجدى نفعا والناس يتعظون

من طريق أبصارهم أكثر مما يتعظون من طريق أسماعهم .

ومن اهم واجبات الواعظين في الاسلام مقاومة العصبيات الحزبية والاقليمية والجنسية وتوثيق الاخوة المحمدية بين المسلمين ، ورياضة نفوسهم على السخاء في سبيل ذلك بالنفس والمال حتى يؤمن الاغيار بأن المسلمين عادوا — كما كانوا — كأنهم البنيان المرصوص يشد بعضه بعضا . ويجب أن يكون الوعظ في هذا الموضوع عن ايمان به ويقين ، لاسترسالا مع أساليب الصنعة . وقد وجدنا الايمان بهذا المعنى معينا لمخرجى المدارس المدنية من أعضاء مؤسسات شبان محمد ﷺ على اقناع الناس به بأسر مما يقتنعون به بوعظ الوعاظ . ولقد فعل اولئك الشباب في نشر دعوتهم الطاهرة باقصر مدة مالم يفعلوا الواعظون في دهر طويل .

ومن اهم واجبات الواعظين أن يجعلوا الامة امة صدق وانصاف . فان اصح العقائد واجمل العبادات اذا اتصف بها المسلمون ولم يكونوا في بيوتهم واسواقهم وسياساتهم واعمالهم امة صدق وانصاف ، فانهم يظنون حجة على الاسلام في نظر من يحمله من غير المسلمين .

اما اذا عادوا الى الصدق والانصاف فجعلوهما من اخلاقهم الدينية وعلم الاغيار ان ذلك اثر من آثار الاسلام في اخلاق اهله . فان دعوة الاسلام تنتشر بذلك بين غير المسلمين أكثر مما تنتشر بالمناظرات المعلة والجدل العقيم . ومما لا شك فيه ان الصدق والانصاف اللذين اتصف بهما المسلمون الاولون كان لهما من الاثر في انتشار الاسلام وذيوخ لغة القرمان مالم يكن لاي مؤثر آخر . ولقد كانت الامم تدخل في دين الله لما ترى من اثر هذا الدين في اخلاق اهله . اما الجدل فكان المسلمون في الصدر الاول ابعد الناس عنه لأنه اخو المراء وقد دلت التجربة على انه يصد عن الحق أكثر مما يقرب اليه .

وَلَحْدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا
فَلْيُغَيِّرْهُ يَدَهُ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ
أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» (١) *

وبعد فإن الواعظ حكيم الأمة : يتحرى مواطن ضعفها ويبدأ بنفسه
فيجردها عن أسباب ذلك الضعف . ثم يدعو إلى ذلك بسيرته أولا وبايقاظ
الأمة بعد ذلك إلى ما يترتب على استجابتها لدعوته من مصالح لها في دنياها
ودينها . ولو كنت واعظا الرسمت في ذهني ما يجب أن تكون عليه الأمة الإسلامية
بين الأمم . ولحاولت أن أجعل من نفسي نموذجا للرجل في تلك الأمة وأن
أمة يكثر فيها الأئمة والواعظون على هذه الشاكلة لا تلبث أن تاتم بهم في
أخلاقها كما تاتم بهم في صلاتها ومن عادة الله في المسلمين إذا كونوا كيانهم
على الأخلاق أن يجعلهم أئمة للامم في أقرب وقت وأوجزه وتلك من
معجزات دينهم التي لا يعرفها التاريخ لغيرهم *

اللهم وفق علماءنا وأمرأنا إلى إزالة المنكر والذب عن حياض
الشريعة المطهرة *

(١) قوله « فإن لم يستطع فبقلمه » وذلك لأنه يدل على أنه كاره له
ولكن ليس عنده من النفوذ ما يزيله ولا من القوة أن يتكلم فيه ومعنى
بقلمه أن يتباعد عن فاعله ويتخلى عنه ولا يقربه ولا يجالس به إلا فمما معنى
الكرهه ؟ مادام معه موافقا له بالصورة الظاهرة التي عليها مدار أحكام
الشريعة الغراء بل أن الانتقال إلى المرتبة الثالثة لا يصح إلا بعد عدم تمكنه
من أداء الأولى فالثانية فلا يظن أحد أن مجرد الكراهة وهو جالس في وسط
المنكر يجدي به فعلاً فمعاذ الله أن يصح ذلك بل لابد من مغادرة المجلس

وَحَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِيهِ أَيْضاً «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي
 أُمَّتِهِ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ فِي أُمَّتِهِ حَوَارِيُونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسَمْتِهِ
 وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلَفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا
 يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ
 جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ
 ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ (١) » *

وترك صحبة أهله والانسحاب عنهم لا تقطاع العلاقة الحقيقية ولا سبواؤه
 لا يقدران بتفوه معهم ببيان ما هم عليه من المعاصي فيمثل هذه الحال تجب النفرة
 منهم زجراً لغيرهم وتاديباً لهم عسأهم يتوبون بما يقتتفونه من الذنوب
 والآثام وينبغي أن يكون النصيح بما يلائم حالة العاصي من لين وشدة فقد
 قال تعالى يعلم موسى عليه السلام كيفية الارشاد في دعوة فرعون « فقولاً
 له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى » فإذا كان اللين يكفي فالشدة لا تجوز
 وإذا كان السر يكفي فالمجاهرة غيبة أو ذم محرم ولهذا قال الامام الشافعي
 من وعظ اخاه سراً فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد ذمه وشانه
 والحديث أخرجه أيضاً احمد والنسائي والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد
 (١) قال الراغب في مفرداته : الحواريون أنصار عيسى عليه السلام قيل
 كانوا قصارين وقيل كانوا صيادين ، وقال بعض العلماء انما سموا حواريين
 لأنهم كانوا يطهرون نفوس الناس بافادتهم الدين والعلم المشار اليه بقوله
 تعالى (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)
 قال وانما قيل كانوا قصارين على التمثيل والتشبيه وتصور منه من لم

وَفِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ سَفْيَانَ بْنِ عَمِيْنَةَ عَنِ الزَّهْرِيِّ عَنْ
عُرْوَةَ عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ حَبِيبَةَ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ عَنْ
زَيْنَبَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ «اسْتَيْقِظَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَوْمِهِ حَمْرًا وَاجْهًا
وَهُوَ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَبَلَغَ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ أَقْتَرَبَ
فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدَمٍ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ (١) مِثْلَ هَذَا وَحَلَقَ حَلَقَةً بِأَصْبَعِيهِ
الْأَبْهَامَ وَالَّتِي تَلِيهَا قَالَتْ زَيْنَبُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَهَلَكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ

يَتَخَصَّصُ بِمَعْرِفَةِ الْحَقَائِقِ الْمُهَيَّئَةِ الْمَتَدَاوِلَةِ بَيْنَ الْعَامَةِ قَالَ وَأَمَّا كَانُوا
صَيَادِينَ لِأَصْطِيَادِهِمْ نَفُوسَ النَّاسِ مِنَ الْخَيْرَةِ وَقَوَّاهُمْ إِلَى الْحَقِّ قَالَ ﷺ :
الزَّيْبُ بْنُ عَمْتَى وَحَوَارَى ، وَقَوْلُهُ ﷺ : لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارَى وَحَوَارَى
الزَّيْبُ قَشَشِيهِ بِهِمْ فِي النَّصْرَةِ حَيْثُ قَالَ : (مَنْ أَنْصَارَى إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ
نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ) *

وَقَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْأَثِيرِ الْحَوَارِيُّونَ أَصْحَابُ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْ
خُلَصَائِهِ وَأَنْصَارِهِ ، وَاصِلُهُ مِنَ التَّحْوِيرِ التَّبْيِيضِ قِيلَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَصَارِينَ
يَحْمَرُّونَ الثِّيَابَ أَيْ يَبْيِضُونَهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ
وَالْخُلُوفُ — بَضْمُ الْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ — جَمْعُ خَلْفٍ — بِاسْكَانِ الْلامِ —
وَهُوَ الْخَالْفُ بَشَرًا أَمَّا بِفَتْحِهَا فَهُوَ الْخَالْفُ بِخَيْرٍ هَذَا هُوَ الْأَشْهُرُ فَاذْكُرْهُ
النُّوَى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى *

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ . الْخَلْفُ بِالْتَحْرِيكِ وَالسَّكُونِ كُلٌّ مِنْ يَجِبُ بَعْدَ مَنْ
مَضَى إِلَّا أَنَّهُ بِالْتَحْرِيكِ فِي الْخَيْرِ وَبِالسَّكُونِ فِي الشَّرِّ اهـ (١) يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ
مِلَّتَانِ عَظِيمَتَانِ هُمَا نَسْعَةُ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ عَلَى مَا حَكَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا *

قَالَ نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْحَبْثُ «(١)» *

وَبِهِ أَنْبَأَنَا الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ
(وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تَسْعَةٌ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ)
فَإِذَا الْيَوْمَ فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ وَحْيٌ مِنَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ *

وَعَنْهُ أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَ بِقَرْيَةٍ أَنْ تَعَذَّبَ فَضُجَّتِ
الْمَلَائِكَةُ وَقَالَتْ إِنْ فِيهِمْ عَبْدُكَ فَلَنَا قَالَ أَسْمَعُونِي مِنْهُ صِيحَةً فَإِنَّ
وَجْهَهُ لَمْ يَتَمَعَّرْ يَوْمًا غَضِبًا لِمَحَارَمِي (٢) * وَرَوَى ذَلِكَ مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ

(١) قوله « نعم إذا كثر الحبث » وذلك لأنه دليل على أن الفساد قد
عم فأصبح الصالح غير مرئى ولا باستطاعته أن يقوم بالأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر في الأحوال الثلاث لأن السراية بالقلب معناها النفرة
من ارتكاب تلك القباحة فإذا اعتزله المؤمنون فإنه يتألم أما إذا كثر الحبث
فإن المسلمين تقل حينذاك ولا يتأثر من أبعادهم وحدهم فيحصل الهلاك وإن
كثر الصالحون قال الله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)
والحبث — بفتح الحاء المعجمة والباء الموحدة — قال النووي وفسره
الجمهور بالفسوق والفجور ، وقيل المراد الزنا خاصة وقيل أولاد الزنا
والظاهر أنه المعاصي مطلقا اهـ ، واقتصر ابن الأثير على قول الجمهور
(٢) قوله « فإن وجهه لم يتمعر يوما غضباً لمحارمي » مما يدل على أنه
يرجع الدنيا على الآخرة فهو وإن كان لم يرض بالأعمال المنكرة إلا أنه

صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ *

وَعَنْهُ أَيْضًا اصْطَلَحْنَا عَلَى حُبِّ الدُّنْيَا فَلَا يَأْمُرُ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَلَا يَنْهَى بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَلَا يَذَرُنَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَذَا فَلَيْتَ شِعْرِي أَيَّ عَذَابٍ يَنْزِلُ *

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: كَانَ يُقَالُ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَعْذِبُ الْعَامَّةَ بِذَنْبِ الْخَاصَّةِ وَلَكِنْ إِذَا عَمِلَ الْمُنْكَرُ جَهَارًا فَلَمْ يَنْكُرُوهُ اسْتَحَقُّوا الْعُقُوبَةَ كُلَّهُمْ (١) *

ليس عنده من الايمان ما يجعله يذكر على من خالف المشروع أو ينفر منه فان أصحاب السبب لم ينج منهم إلا من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أما الفريق الذى لم يرض بالمنكر ولم ينه عنه فانه غير ناج بدلالة قوله تعالى: «وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون . فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهاون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون . فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئ» فترى ان البارئ تعالى لم ينج منهم الا الذين ينهاون عن السوء لانهم المؤمنون حقاً العاملون بايمانهم اعتقاداً وقولاً وعملاً *

(١) قوله « فلم ينكروه استحقوا العقوبة كلهم » ذلك لان ما علم من الدين بالضرورة لافرق فى المسؤولية عنه بين العالم والجاهل والخاصة والعامة لانه لا يحتاج الى علم فالعقوبة تشمل الجميع ولا تستثنى أحداً ماداموا متفقين على عدم انكار المنكر *

(٥٣) التَّعَاوُنُ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى

الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (١) *

وَلَحَدِيثِ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ « أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ

مَظْلُومًا فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرْهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ أَنْصُرْهُ ظَالِمًا

فَقَالَ يَنْصُرُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَذَلِكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ» (٢)

(١) قوله «التعاون على البر والتقوى» لأنه ينتج عن معرفة الإيمان

ووحدة المؤمنين فإذا صدقوا بما اعتقدوه فلا بد لهم من التعاون الذي يمثل الاتفاق والصداقة أو فناء الفرد في ضمن المجموع ولكن أن يكون على البر والتقوى ليدل على أن هذا السعى المتحد غاية رضا البارئ تعالى والا فان مجرد الاتفاق ولو على الباطل فانه يمثل الطمع والغايات الدنيئة أو المنافع الذاتية ولكن البر والتقوى هو الوسيلة لحصول رضا البارئ تعالى ويحق للعامل به أن يسمى المؤمن حقاً فهو يساعد أخاه اذا ظلم برده عما ارتكبه وباستحصال حقه اذا كان مظلوماً كما قال الرسول الأعظم ﷺ وكل أمة فقدت التعاون فان زوالها مقرر والحكم عليها بالاعدام

لأريب فيه أصلاً وان عز الاسلام لا يكون بمكن الاعادة الا متى تعاون المسلمون على البر والتقوى ليكون الحاسم للنزاع شرع الله وكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسنة رسوله الذي من أطاعه فقد أطاع الله

(٢) بين مسلم في صحيحه سبب وزود هذا الحديث قال «اقتل غلامان غلام من المهاجرين وغلام من الأنصار فنأدى المهاجرى بالمهاجرين ونأدى الأنصارى بالأنصار فخرج رسول الله ﷺ فقال ما هذا دعوى أهل الجاهلية قالوا يا رسول الله إلا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما

(٥٤) الْحَيَاءُ * حَدِيثُ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَعْظُمُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ فَقَالَ «دَعُهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ (١)» *

الآخر فقال لا بأس ولنصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً فإن كان ظالماً فلينبهه فإنه له نصر وإن كان مظلوماً فلينبهه *

(١) «الحياء» هو انقباض النفس من شيء وتركه حذراً من اللوم فيه وقيل حقيقة خلق يبعث على ترك القبائح ويمنع من التفريط في حق صاحب الحق وهو نوعان نفساني وهو الذي خلقه الله تعالى في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة والجماع بين الناس، وإيماني وهو أن يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفاً من الله تعالى قاله السيد الشريف وطبعاً فإنه يختلف بحسب قوة الإيمان وضعفه ولكن في غير ما لا يحمد فيه الحياء كتحصيل العلم فإن الحياء سبب في استتباب أمر الجهل وعدم رواج سوق العلم بين الجماعة الذين يأفون من الجلوس لأجل العلم أو يسأل من يعتقد أنه دونه أو يخشى أن يسمع الناس أنه لا يعلم أو يخجل من السؤال *

روى البخاري في صحيحه عن مجاهد «من استحيا في طلب العلم كان علمه قريباً قليلاً» وفي صحيح البخاري أيضاً قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «تفقهوا قبل أن تسودوا». ومعناه أحرصوا على اتقان العلم والتمكن في تحصيله وأنتم شبان لا أشغال لكم لآسوة ولا شيء يعيق بطريقكم فإنكم إذا كبرتم وصرتم سادة متبوعين امتنعتم من التفقه والتحصيل، وهذا نحو ما قاله الشافعي رضي الله عنه تفقه قبل أن ترأس فإذا رأست فلا سبيل إلى التفقه اه. كلام الامام النووي في بستان العارفين المطبوع حديثاً في ادارتنا للطباعة المنيرية، والحياء المطلوب قد جمعه الحديث الذي رواه الترمذي عن عبد الله بن

وَحَدِيثَ عُمَرَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِمَا «إِنَّ الْحَيَاءَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ» *

وَحَدِيثَ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِمَا أَيْضًا قَالَ «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ (١)» *

وَحَدِيثَ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأَوَّلَى إِذَا لَمْ تَسْتَحْ

مَسْعُودٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ قَالَ قُلْنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَنَا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَالَ لَيْسَ ذَلِكَ وَلَكِنْ الْإِسْتِحْيَاءُ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى وَلِتَذْكُرَ الْمَوْتَ وَالْبَلَى وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ» *

(١) الْعَذْرَاءُ - بِالْمَدِّ - جَمْعُهُ عَذَارَى - بَفَتْحِ الرَّاءِ وَكُسْرِهَا الْجَارِيَةُ الْبَكْرُ الَّتِي لَمْ يَمْسَسْهَا رَجُلٌ ، وَالْخُدْرُ - بِكُسْرِ الْخَاءِ الْمَعْجَمَةُ وَإِسْكَانِ الدَّالِّ الْمُهْمَلَةُ - نَاحِيَةُ فِي الْبَيْتِ يَتْرَكَ عَلَيْهَا سِتْرٌ فَتَكُونُ فِيهِ الْجَارِيَةُ الْبَكْرُ خَدِرَتْ فَهِيَ مَخْدُورَةٌ وَجَمْعُ الْخُدْرِ الْخُدُورُ أَفَادَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ وَسَمِيَتْ عَذْرَاءً لِبَقَاءِ عَذْرَتِهَا وَهِيَ جِلْدَةٌ الْبِكَارَةُ أَوْ لُصْبِقُهَا مِنْ قَوْلِهِمْ تَعْذِرُ الْأَمْرَ إِذَا ضَاقَ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْعَذْرَاءَ الَّتِي تَتَرَبَّى فِيهِ أَشَدُّ حَيَاءً مِنَ الَّتِي تَخَالِطُ غَيْرَهَا أَوْ تَكُونُ دَاخِلَةً خَارِجَةً وَقَوْلُهُ «وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا» الْخَلَّانُ وَجْهَ الرَّسُولِ ﷺ كَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ

فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ * (١)

(٥٥) بِرِ الْوَالِدَيْنِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (٢) (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)

فإذا كره شيئاً لم يصرح بكرهه لشدة حيايته ٥
ولكن يظهر في وجهه أثر كراهيته له كالغيم على النيرين كما أن المخدرة
يعرف أثر رضاها وكراهتها في وجهها ولا تحتاج إلى التكلم بذلك بحضرة
الناس ، وفيه ان الحياء من الأوصاف المحمودة المطلوبة ، واستشـكل
بعضهم قوله ان الحياء لا يأتي الا بخير بأن الحياء قد يفرض بصاحبه
حتى يمنعه من القيام بحقوق الله تعالى ومعلوم أن هذا لاخير فيه وأجيب
بان هذا ليس بحياء حقيقة وإنما هو خور ومهانة ٥

(٢) قوله « فاصنع ما شئت » فانك الآن في الدنيا قد منحت عقلا
وادراكا واردة واختياراً بحيث تستطيع معرفة طريق الخير والشر وايدت
بما جاء من الشرائع بواسطة الأنبياء من الأحكام التي تساعدك على سلوك
الخير » فلك ان تفعل ما تشاء وهذا تهديد ومعناه ان مردك الينا ومادام
الحياء لم ينفعك بشيء فسوف ترى ماذا يحل بك من الغضب الالهي والنقمة
التي ستحل بك حيث لم تخش الله ولم تتقه وستردون الى عالم الغيب والشهادة
فينبئكم بما كنتم تعملون ٥

(٢) قوله « بر الوالدين » وذلك لأنهما سبب حياته فالبر على الأقل
يكون تجاه ما قاما به من الحمل كرها والوضع كرها والتعب والتربية والسرر
والعناء الطويل والنفقات فان ذلك لا يقابل بشيء من البر ولا سيما وكنا
يعملان ذلك ويتمنيان لك الحياة والسعادة بحيث يفرحان لفرحك ويحزان
لحزنك ويمرضان لمرضك فانت لو فعلت مثل ما فعلا فانك تريد موتهما
لتستريح من تعبهما وحيث تعارضا فالوالدة تقدم لأن حقها ثابت بتعيين

(وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا
أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا
وَاخْفَضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي
صَغِيرًا) الْآيَات *

وَلَحَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّاحِحِينَ قَالَ:
« سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيَّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ
لَوْ قَهَرْتُ قُلُوبَهُمْ أَيْ قَالَ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ قُلْتُ ثُمَّ أَيْ قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
قَالَ حَدَّثَنِي بَنُو لُؤْلُؤٍ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي » (١) *

والوالد مظلون ومو كول الى ثقة والدتك ودرجة امانتها ودينها ولذلك
لما نزلت آية يعرفونه كما يعرفون ابناءهم قال عبد الله بن سلام اني لا اعرفك
اكثر من ولدي لاني لا ادري ماذا تفعل امه واما انت فان الله حافظك
ولانها اضعف جانباً وأعجز عن الكسب غالباً فحقها مقدم ولحديث
« الجنة تحت أقدام الأمهات » نقله السيوطي في الجامع الصغير ورواه القضاعي
والخطيب عن أنس، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال « قال رجل يا رسول الله من
أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك أدناك »
(١) فيه دليل على ان احب الاعمال الى الله عز وجل الصلاة في وقتها
المحدد لها شرعا ومعنى احب افضل واقرّب وهذا لا ينافي ما جاء بان افضل
الاعمال ايمان بالله عز وجل لان كلا بحسبه فالإيمان من الاصول التي لا تقبل

(٥٦) صَلَّةُ الْأَرْحَامِ (١) لَقَوْلُهُ تَعَالَى (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ) وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢) ۝

الفروع كالصلاة وغيرها الابه وذلك بالنسبة للأشخاص لذلك فالشجاع الأفضل له بعد أداء الواجبات الجهاد وهكذا نسال الله الهداية

(١) قوله : «صلة الأرحام» جمع رحم وهم الأقارب ويقع على كل من يجمعك وإياه نسب من جهة الذكور أو من جهة النساء وهي كما في الصحيحين عن عائشة عن النبي ﷺ قال : «الرحم متعلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله» ، فصلة الرحم واجبة وقطيعتها عدا عن الحرمة إذا لم يكن لسبب مشروع فان فيه دلالة على مروق الفاعل من الانسانية لأنه إذا كان لا يعطف على أقاربه فقسوته على الأباعد لا يصفها قلم أصلا بل أن ما يظهر منه من الألفة للغريب عبارة عن خداع ومكر يغش بها الناس وإنما قلنا ذلك لأن الانسان يتمرن على الشفقة والوصلة بالأقارب فالجيران فالأصدقاء فاخوان الوطنية فاخوان الدين ، وأما الشفقة الانسانية فالتحقق فيها لغير الانبياء ضرب من الخيال فان النبي ﷺ لما عاد من الطائف بعد أن آذنته ثقيف وقريش لم يدع عليهم بل قال « رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون » ۝

(٢) قوله « فان عسيتم إن توليتم » الآية أى إن تأمرتم وجعل الأمر بيدكم ولم تعملوا وفق الشرع الاسلامي الا انور أن تفسدوا في الارض

وَلَحْدِيثِ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ فِي الصَّحِيحِينَ «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَبْسُطَ لَهُ
فِي رِزْقِهِ وَأَنْ يَنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَبْسُطْ رَحِمَهُ» ۞

باطلاق العنان لأنفسكم وارتكاب الموبقات تروى بالاشهوات والهوى
تقطعوا أرحامكم حيث تغرم الولاية ولا يوجد لديكم دين يردعكم
ولا يسلم من شركم أحد لأن من لا يبذل رحمه لا يرحم البعيد أصلاً فكيف
بمن يقطعه وأتى به من باب التفعيل ليفيد التكرار لأنه لا وازع يصد عنه
عمله فهو يظن نفسه أن قد خرج عن نطاق الإنسانية وأصبح ممتازاً عن
البشرية لهذا يتكبر أولاً على عائلته ويقطع الاتصال بقرابته فمع الغرام
أكثر ولذلك أن نجح الظالم فلا يلبث إلا يسيراً ثم يزول ويضمحل فان
الظلم لا يدوم والحق باق وإن استضعف وإن تصادم فلا يقدر الباطل على
أقل صدمة تحصل من جانب الحق والحقيقة «وقل جاء الحق وزهق
الباطل إن الباطل كان زهوقاً» ۞

(١) قوله «وإن ينسأ له في أثره» الخ أى يؤخر أجله قال في النهاية
الأثر الأجل وسمى به لأنه يتبع العمر قال زهير :

والمرء ماعاش محدود له أمل لا ينتهى العمر حتى ينتهى الأثر
وأصله من أثر مشيه فى الأرض فان من مات لا يبقى له أثر ولا يرى
لأقدامه فى الأرض أثر اه ۞

ولاشك أن التأجيل المراد به هنا هو أن تحصل فى عمره بركة بحيث يراه
طويلاً ويستفيد منه فى الأعمال الخالدة التى لا ينقطع ثوابها كما فى حديث
مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «إذا مات
الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع
به أو ولد صالح يدعو له» ولا شك أن من وفقه الله تعالى لأحد هذه الثلاثة
المذكورة فان عمره قد طال مادام الصدقة جارية يأتى ثوابها تباعاً وإلا

وَحَدِيثُ جَبْرِ بْنِ مُطْعِمٍ فِيهِمَا أَيْضًا عَنْ أَبِيهِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ ، قُلْتُ وَلَا فَرَقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ بَرًّا أَوْ فَاجِرًا (١) ۝

(٥٧) حَسَنُ الْخَلْقِ (٢) وَيَدْخُلُ فِيهِ كَظْمُ الْغَيْظِ وَلَيْنُ

فان زيادة الأجل منافية لصريح قوله تعالى (فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وأمامسئلة القضاء المعاق والمبرم من الآجال بحسب صحف الملائكة فان هذا لا تأثير له على الحقيقة كما لا يخفى ۝

(١) قوله «لا يدخل الجنة قاطع» لأن من لم يرحم أقاربه فهو لا يرحم الناس بالأولى كما قلنا فعليه لا يستحق الرحمة لأن الجزاء من جنس العمل وقوله قلت لا فرق بين أن يكون باراً أو فاجراً هذا بحسب الصورة نسب إلى البر وإلا فإنه أبعد الناس عنه لأنه لم يبر بأقاربه كيف يبر بالناس؟ ولذلك لا يكون إلا فاجراً وظهوره في مظهر البر والصلاح خديعة ومكر أراد بها غير وجه الله تعالى وإلا فلو أراد مرضاة الله تعالى لاتبع أمره ولو كان في قلبه حنارت لصرفه على أقاربه فمثل هذا يكون جزاؤه الحرمان من دخول الجنان إلا بعد عذاب أليم تطهيراً لما ارتكبه في الدنيا من الخطايا بقطع الأرحام ۝

(٢) قوله «حسن الخلق» الخاق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سميت الهيئة خلقاً حسناً وان كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر

الْجَنَانِيبِ وَالتَّوَاضُّعُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَلَئِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) وَقَوْلُهُ
تَعَالَى : (وَالسَّكَاطُ مِنَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ)

خلقنا سيئاً وانما قلنا انه هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على
الدور بحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك في نفسه وكذلك
من تكلف السكوت عند الغضب بجهد أو روية لا يقال خلقه الحلم وليس
الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يذل اما لفقد المال
أو لما نفع وربما يكون خلقه البخل وهو يذل لباعث أو رياء قاله السيد
الشريف، والأفعال الجلية لا يمكن حصرها تفصيلاً وانما هي اجمالاً الاتساع
لذوى العقول القاصرة وعدم الاضرار صريحاً ولا تلويحاً وأن لا يتأخر عن
عمل معروف يؤديه بالمقال أو المال أو البدن *

فاذن هي عبارة عن اختيار الفضائل والتحقيق بها وكراهة الرذائل
والتجنب عنها وجماعها قوله تعالى : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض
عن الجاهلین »

وقد مدح الله رسوله ﷺ بحسن الخلق حيث قال تعالى « وانك
لعلی خلق عظیم » فلم يمدحه بعبادة كصلاة ونحوها لأنها وان كانت مقصداً
فهی فی الحقيقة دليل علی المقصد وان شئت قل هی بحسب الأمر مقصد
وبحسب ما ينتج عنها وسيلة لقوله تعالى « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر » وقال أيضاً خطا بالرسوله الاعظم « ولو كنت فظاً غليظ القلب
لا نفضوا من حولك » وقال تعالى « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه

ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم» *

وفي مسند الامام أحمد وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال :
 « بعثت لأتم مكارم الاخلاق » أى لانها عبارة عن الامة ومقياسها
 الذى يستبان به أمد حياتها وهل هى فى عنفوان الشباب أو أنها فى دور
 الانحطاط أو حالة الاحتضار ، فكل أمة علت أخلاقها وحسنت مزاياها
 وكملت طباعها فان الشرف يحفظها والنصر يحوطها والرفعة لا تتجاوزها
 وتصبح قدوة لغيرها من الامم التى هى دونها فى كل ما تفعله لان الضعيف
 شأنه تقليد القوي وطمع المغلوب اتباع أثر الغالب ظنا منه أن انتهاجه
 ذلك الطريق يعيد له ما كان فقداه مع أنه لو علم وادرك الحقيقة لبازله ان
 المغلوبية حصلت له بسبب نقصان أخلاقه لانه المحور الاساسى الذى تدور
 عليه حركة سير الامة واساس يبنى عليه آمالها ويحسن انتظامها فحسن
 الاخلاق هو سبب نهوض الامم وتقدمها وانتشاره يمنع الجرائم ويحول
 دون وقوع الحوادث ويمنع حصول الشر لانه لو ادى كل انسان ما عليه
 من الحقوق لزال مؤنة ابهة كثير من لواحق الدولة وزال التعب عن القضاء
 وزالت الدسائس والفتن واصبح الناس اخوانا يعيشون فى سعادة ومودة
 لان البيئة عبارة عن الافراد والقرى مجموع بيئات والمدن والامصار قرى
 عظمت او اتصلت والدولة هى امصارها وبلدانها فاذا حسن
 اخلاق الافراد فقد حسنت اخلاق الامة وكملت سعادتها وتم لها الهناء
 والظفر والتوفيق فلذلك تجد اخلاق مجموع الامة غالباً تابعة لاميروا وقائدها فتمتى
 انصف الملك او الامير او القائد بصفات الانسانية الحقيقية وتحلى بسمات الدين
 الخفيف فالامة تقبىس منها وتتأسى به وتنهج منهاجه لذلك نرى مليكنا المحبوب
 فاروق الاول متحلياً باداب الدين والديناو الامة متجهة نحوه مقبلة عليه صاغية لما
 يصدر عنه من المكارم والمزايا الدينية فتجد صفوف الامة ويطرب قلوبهم حبه *

وَلَحْدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
 لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا ، وَقَالَ : إِنْ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنُكُمْ اخْلَاقًا
 وَفِي رَوَايَةٍ « إِنْ مِنْ أَحْبَبِكُمْ إِلَى أَحْسَنِكُمْ اخْلَاقًا » (١) .

وَلَحْدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي الصَّحِيحَيْنِ أَيْضًا أَنهَا قَالَتْ :
 « مَا خَيْرَ رَسُولٍ لِلَّهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا لِمَنْ يَكُنْ إِيْمًا
 فَإِنْ كَانَ إِيْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ
 إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ بِهَا » (٢) .

(١) قوله « لم يكن فاحشاً ، ولا متفحشاً » بكسبه ومعاذ الله ان
 يكون كذلك وهو العفو والصَّفوح بحيث لم يكن يغضب الا الله تعالى
 اى حين انتهك حرمة الله فلم يكن قلبه معلقاً بالدنيا بل كان يعطى عطاء من
 لا يخاف الفقر *

ومن المعلوم ان قول الفحش يدفع اليه الطمع الدنيوى والنفع
 الذاتى والرسول عليه وعلى اله افضل الصلاة والسلام لم يكن فيه عرق
 يعيل الى هذا *

(١) قوله « ان احبكم الى احسنكم اخلاقاً » لان علامة الحب الطاعة
 وبما ان الرسول ﷺ كان اكمل خلق الله خلقاً فحسن خلق المرء دلالة
 على صدق حبه لرسول الله حتى نهج طريقه واقتفى أثره فهو حقه أن
 يثبت له الحب مؤكداً بان الموضوعة لنا كيد الخبير كما هو معلوم لدى ارباب فن البلاغة
 (٢) قوله « وما انتقم » الخ لانه متحقق بالعبودية المحضة التى اثنى

وَبِهٖ اَنْبَاَنَا اَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ قَالَ: وَمَعْنَى حَسَنِ الْخَلْقِ سَلَامَةُ النَّفْسِ
 نَحْوَ الْاَرَفَقِ الْاَحْمَدِ مِنَ الْاَفْعَالِ وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى
 وَقَدْ يَكُونُ فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ وَهُوَ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ اَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ
 مُنْشَرَحَ الصَّدْرِ بِاَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَوَاهِيهِ يَفْعَلُ مَا فَرَضَ عَلَيْهِ طَيِّبَ
 النَّفْسِ بِهٖ سِلْسِلًا نَحْوَهُ ، وَيُنْتَهِي عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِ رَاضِيًا بِهٖ غَيْرَ مُتَضَجِّرٍ
 مِنْهُ وَيَرْغَبُ فِي نَوَافِلِ الْخَيْرِ وَيَتْرُكُ كَثِيرًا مِنَ الْمُبَاحِ لَوَجْهِهِ تَعَالَى
 وَتَقْدَسَ اِذَا رَأَى اَنْ تَرْكُهُ اقْرَبَ اِلَى الْعِبَادَةِ مِنْ فَعْلِهِ مُسْتَبْشِرًا لِذَلِكَ

عليه الله بها في قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده) الآية فهو لا يرى
 نفسه الا ليفتكر فيها فضلا عن أن ينتقم لها وإنما كان قلبه معلقاً بالحق وبدنه مشغولاً
 بالحق وبدنه مشغولاً باداء أعباء الرسالة وهداية الناس إلى صراط الله
 القويم إلا إذا انتهكت حرمة الله فيكون الانتقام لله تعالى لاله ﷻ
 وذلك ليعلمنا ان الحياة الدنيا لا تستحق خصاماً الى درجة انتقام بعضنا
 من بعض الا أن يكون قد خرق حرمة الشرع الشريف الأنور فان النفس
 لم يبق لها علاقة بل أصبحت لوجه الله تعالى فالانتقام يكون عبادة وهو
 سبب الجهاد دفاعاً عن الدعوة الدينية اذا وقف في وجهها ضال
 أو كافر لأن الدين لله والبغض لله والحب لله وهذا هو منتهى السكال لمن
 تحقق به *

غَيْرَ ضَجَرٍ مِنْهُ وَلَا مُتَعَسِّرٍ بِهِ وَهُوَ فِي الْمُعَامَلَاتِ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ يَكُونَ
 سَمَحًا لِحُقُوقِهِ لَا يَطَالِبُ غَيْرَهُ بِهَا وَيُوفِي مَا يَجِبُ لغيرِهِ عَلَيْهِ مِنْهَا فَإِنْ
 مَرَضَ وَلَمْ يَعُدْ أَوْ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَلَمْ يَزِرْ أَوْ سَلِمَ فَلَمْ يَرُدْ عَلَيْهِ أَوْ ضَافَ
 فَلَمْ يَكْرَمْ أَوْ شَفَعَ فَلَمْ يَجِبْ أَوْ أَحْسَنَ فَلَمْ يَشْكُرْ أَوْ دَخَلَ عَلَى قَوْمٍ
 فَلَمْ يَمْكُنْ أَوْ تَكَلَّمَ فَلَمْ يَنْصِتْ لَهُ أَوْ اسْتَأْذَنَ عَلَى صَدِيقٍ فَلَمْ يُؤْذِنْ لَهُ
 أَوْ خُطِبَ فَلَمْ يَزُوجْ أَوْ اسْتَمَهَلَ الدِّينَ فَلَمْ يَمَهِّلْ أَوْ اسْتَنْقَصَ مِنْهُ فَلَمْ
 يَنْقُصْ وَمَا شَبِهَ ذَلِكَ وَلَمْ يَغْضَبْ وَلَمْ يَعَاقِبْ وَلَمْ يَتَنَكَّرْ مِنْ حَالِهِ
 وَلَمْ يَسْتَشْعِرْ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ جَنِيَ وَأَوْحَشَ وَأَنَّهُ لَا يُقَابَلُ كُلُّ ذَلِكَ إِذَا
 وَجَدَ السَّبِيلَ إِلَيْهِ بِمِثْلِهِ بَلْ يَضْمُرُ أَنَّهُ لَا يَعْتَدُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَيُقَابِلُ
 كُلًّا مِنْهُ بِمَا هُوَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ وَأَقْرَبُ إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاشْبَهَ بِمَا
 يَحْمَدُ وَيَرْضَى ثُمَّ يَكُونُ فِي إِيفَاءِ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ كَهْوٍ فِي حِفْظِ مَا يَكُونُ
 لَهُ فَإِذَا مَرَضَ أَخُوهُ الْمُسْلِمَ عَادَهُ وَإِنْ جَاءَ فِي شَفَاعَةِ شَفَعَهُ وَإِنْ
 اسْتَمَهَلَ فِي قَضَاءِ دَيْنِ امْهَلَهُ وَإِنْ أَحْتَاجَ مِنْهُ إِلَى مَعُونَتِهِ أَعَانَهُ وَإِنْ
 اسْتَسْمَحَ فِي بَيْعٍ سَمَحَ لَهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَى أَنْ الذِّي يَعَامِلُهُ كَيْفَ كَانَتْ

مُعَامَلَتُهُ إِيَّاهُ فِيمَا خَلَا وَكَيْفَ يُعَامَلُ النَّاسُ إِنَّمَا يَتَّخِذُ الْإِحْسَانَ
 إِمَامًا لِنَفْسِهِ فَيَنْحَوُّ نَحْوَهُ وَلَا يَخَالِفُهُ، وَالْخَلْقُ الْحَسَنُ قَدْ يَكُونُ غَرِيزَةً
 وَقَدْ يَكُونُ مُكْتَسَبًا (١) *

وَأَمَّا يَصِحُّ اكْتِسَابُهُ مَنْ كَانَ فِي غَرِيزَتِهِ أَمْثَلُ مِنْهُ فَهُوَ يُضْمَرُ
 بِاِكْتِسَابِهِ إِلَيْهِ مَا يَتِمُّهُ وَمَعْلُومٌ فِي الْعَادَاتِ أَنَّ ذَا الرَّأْيِ يَزْدَادُ بِمُجَاسَاةِ
 أَوْلَى الْأَحْلَامِ وَالنَّهْيِ رَايًا وَأَنَّ الْعَالَمَ يَزْدَادُ بِمُخَالَطَةِ الْعُلَمَاءِ عُلَمَاءً وَكَذَلِكَ
 الصَّالِحُ وَالْعَاقِلُ بِمُجَاسَاةِ الصَّالِحَاءِ وَالْعُقَلَاءِ فَلَا يَنْكَرُ أَنَّ يَكُونُ ذُو
 الْخَلْقِ الْجَمِيلِ يَزْدَادُ حَسَنَ الْخَلْقِ بِمُجَاسَاةِ أَوْلَى الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ
 وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ *

(١) مَازَهَبٌ إِلَيْهِ مَنْ أَنَّ الْخَلْقَ مِنْهُ مَا هُوَ طَبِيعِي وَمِنْهُ مَا هُوَ كَسْبِي
 هُوَ الصَّوَابُ ، وَهُوَ رَأْيُ الْأَكْثَرِ مِنَ الْحُكَمَاءِ وَالْفَلَسَافَةِ ، وَيَدُلُّ لَهُ مَا جَاءَ
 عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ لِأَشْجَعِ عَبْدِ الْقَيْسِ . إِنَّ فِيكَ لَخَلْقَيْنِ يَجْهَمَانِ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ الْحِلْمَ وَالْإِنَانَةَ . فَقَالَ اخْلُقَيْنِ تَخْلُقْتَنِي بِهِمَا أَمْ جَبَانِي اللَّهُ عَلَيْهِمَا .
 فَقَالَ بَلْ جَبَلَكُ اللَّهُ عَلَيْهِمَا . فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلْقَيْنِ يَجْهَمَانِ
 اللَّهَ وَرَسُولَهُ . فَافَادَ أَنَّ مِنَ الْخَلْقِ مَا هُوَ طَبِيعَةٌ وَجَبَلَةٌ . وَمَا هُوَ مَوْهَبٌ
 وَمُكْتَسَبٌ . وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَاءِ الْاسْتِفْتَاكِحِ اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ
 الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَأَعْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي

(٥٨) الإحسانُ إلى المماليك (١) لقوله تعالى (وَاعْبُدُوا اللَّهَ
وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ
وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ

سبيها الا انت فافادانه ياتي بطريق الكسب اذا وفق لذلك. ويكتسب الخلق
بالتاديب والتعليم. والوعظ. والارشاد وبمصاحبة الأخيار واولى النهى.
والناس ليسوا في ذلك سواء فمنهم من يقبل التاديب. ويتحرك الى الفضيلة
بسرعة. ومنهم من يقبله ويتحرك الى الفضيلة بابطاء. ومنهم من لا يتحرك
أصلاً وذلك فيما اذا كان شريراً بالطبع بل يزداد شراً بمخالطة اهل الشر
والفسوق حماها الله من ذلك. وبالله التوفيق.

(١) قوله «الاحسان الى المماليك» لانهم لا ينقصون عنكم في الخلقة
وانما لما ارتكبوا من الجهالة في الوقوف أمام نشر دعوة الاسلام أو أن
أسلافهم فعلوا ذلك فسرى اليهم تأديبا لغيرهم كما بينا كي لا يظن أحد من
أعداء الاسلام أن الرق قاصر عليه اذا وقع أسيراً وشاء الامام رقه بل أن
الرق يتجاوز نسله من بعده ليكون زاجراً له ولغيره ممن هو على رأيه هذا
فمادام على هذا فينبغي الاحسان اليه لأن الله يكره الظلم ويكره الظالم وان
أمله فانه لا يهمله وانما يؤجله حتى اذا أخذه لم يفلته فيأخذه أخذ عزيز
مقتدر ولأن النبي ﷺ وصى بهم وبالمراة كثيراً بل كانت آخر وصاياهم
كما أخرجه الامام أحمد في مسنده عن أنس فاذن اقتضى الاحسان جهتين
كونه انساناً مثلك ووصية نبيك فيه ومهما كان الانسان قاصر الادراك

وَلَحْدِيثِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُورِدٍ فِي الصَّحِيحِينَ قَالَ رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ^{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ} الْغَفَارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غَلَامِهِ حُلَّةٌ مِثْلُهَا فَسَأَلْتَاهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ إِنِّي سَابَيْتُ رَجُلًا فَشَهِدَ كَانِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اعْبِرْتَهُ بِأَمِهِ ثُمَّ قَالَ إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوْلَكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيَلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا تُكَلِّمُوهُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَاَعِينُوهُمْ عَلَيْهِ» (١)

(٥٩) حَقُّ السَّادَةِ عَلَى الْمَمَالِكِ وَهُوَ لَزُومُ الْعَبْدِ سَيِّدِهِ

فَلَا بُدَّ أَنْ يَلَا حَظَّ الْجَهَّةُ الْأُولَى وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَخَالَفَ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَحْتَرِمُ وَصِيَّةَ صَدِيقِهِ وَقَرِيبِهِ فَكَيْفَ بِوَصِيَّةٍ مِنْ لَا يُؤْمِنُ أَحَدًا حَتَّى يَكُونَ أَحَبَّ الْيَنَامِ مَالَنَا وَوَلَدَنَا وَأَنْفُسَنَا وَمَنِ النَّاسُ أَجْمَعِينَ؟

(١) قَوْلُهُ «إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوْلَكُمْ» أَيُّ إِخْوَانِكُمْ بَدِينِ الْإِسْلَامِ خَوْلَكُمْ أَيْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ عَبْدٍ وَأَمَةٍ فَهُمْ يَسَاوُونَكُمْ وَلَسْكَنَ لِأَسْبَابٍ مَشْرُوعَةٍ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَيَجِبُ مِلَاحَظَتُهُمْ فِي الْمَطْعَمِ وَالْمَلْبَسِ وَأَنْ لَا يَكْلَفَ عَمَلًا لَا يَقْدِرُ عَمَلُهُ بَلْ يَحْرُمُ عَلَيْهِ أَنْ يُطْلَبَ مِنْهُ مِثْلُ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يُسَاعِدَهُ بِمَا يُخَفِّفُ الْعَبْدَ عَنْهُ بِحَيْثُ يَكُونُ مَقْدُورًا لَهُ بِلا مُشَقَّةٍ وَعِنْدَئِذٍ لَا مَانِعَ مِنَ التَّكْلِيفِ *

وإقامته حيث يراه له ويأمره به وطاعته له فيما يطيقه *

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ قال إن العبد إذا نصح لسيدته واحسن عبادة ربه فله أجره مرتين» *

وفي مسلم من حديث جرير بن عبد الله «أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة» *

وفي سنن أبي داود من حديثه أيضا «العبد الأبق لا يقبل الله منه صلاته حتى يرجع إلى مواليه» (١)

﴿٦٠﴾ حقوق الأولاد والأهلين وهي قيام الرجل على ولده وأهله وتعليمه إياهم من أمور دينهم ما يحتاجون إليه لقوله تعالى : (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) قَالَ الْحَسَنُ :

(١) قوله «لا يقبل الله منه صلاته» الخ لأنه خالف أمر الله تعالى ولم يرض بحكمه فهو لا يقبل منه عمله لأن صلاته حينئذ إما عادة وهذه لا قيمة لها وإما لغير ذلك فتكون للرياء والله أغنى من أن يقبل عبادة أشرك العابد فيها معه غيره ولأن ظاهر الحال يكذبه فلو كان صادقا لاستسلم للحكم الإلهي ورضى بقسمته حتى إذا رجع إلى مواليه دل على توبته وهو الذي يقبل التوبة عن عباده *

أَيُّ مَرْوَمٍ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَعَلْمِهِمُ الْخَيْرَ وَقَالَ عَلَى عَلْمِهِمْ أَدَبُهُمْ
وَلَحْدِيثِ أَنَسٍ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ هَكَذَا وَضُمَ أَصْبَعِيهِ (١)

(٦١) «مُقَارَبَةُ أَهْلِ الدِّينِ»، وَمَوَدَّتِهِمْ وَأَفْشَاءُ السَّلَامِ يَلْنَهُمْ

(٢) قوله «من عال جارتين» قام بمؤنتهما وتربيتهما غير طامع في شيء منهما ولا مان عليهما بما فعل فلا يريد منهما جزاء ما بذله ولم يستخدمهما في مصالحه تجاه ما صرفه عليهما بل قصده بذلك وجه الله متحملا ذلك من صغرهما مراعاة حالهما وما يلزم لهما مع ملاحظة المشقة من تادية التربية والصيانة لأن الاثنى عورة أقل شيء يلوث سمعتها ويمس بشرفها حتى إذا بلغا وتمكنا من الاستعداد للدخول في عائلة أخرى بواسطة الزواج فانه يكون مع النبي ﷺ لانه اما غريب

وقد فعل هذا العمل العظيم واما والد وقد حارب نفسه على احتقار الاثنى وأدى لها واجبا بعد ان كان اسلافه يثدونها حية في التراب حتى تموت فهذا قد احيا نفسين وأحسن تربيتهما طامعا في الثواب ومن أحيها فكلنا أحياء الناس جميعا فكيف بمن أحياء اثنتين وأجاد تربيتهما وصبر عليهما حتى بلغا من السكمال ؟

(٢) قوله «مُقَارَبَةُ أَهْلِ الدِّينِ» لان الطبع يسرق من جليسه ما هو عليه فمن خالط أهل الدين فانه لا بد ان يكتسب من خصالهم ويتعود على اتباع خطاهم وهذا شيء تشهد به الفطرة ولا ينكره أحد ولو مكابرا قال طرفة الجاهلي :

وَالْمُصَافِحَةُ لَهُمْ . وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ تَأْكِيدِ الْمَوَدَّةِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى
 (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا)
 وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ . وَالَّذِي
 نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَوُفُّوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا . أَوَّلًا
 ادْلِكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ . أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ (١) *

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى
 ثم يرتقى من ذلك الى المودة بان يتحابا ليدخلا في ضمن السبعة الذين
 يظلمهم الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله الخ كما رواه البخارى في صحيحه
 وقد علمنا الشارح كيف نتوصل الى ذلك حيث جعل لمثل ذلك مفتاحا هو
 السلام الذى يقرب بين المسلمين وبه يصعد الانسان الى مبادئ المودة
 وهى المصافحة فتقارب الاجساد وتسرى الكهربائية بينهما فيتأثر حسب
 حبه في مخالطته الى اهل الدين فيكون ذلك سببا لسعادته وتوفيقه *

(١) قوله افشوا السلام بينكم لانه مقدمة التعارف ومنه ينتقل الى
 الاعمال النافعة وهو الاشارة الوحيدة بين المسلمين ليستعملوها ولا فرق بين
 من تعرفه ومن لا تعرف لان الجامعة الاسلامية ازالَت عصبية الجاهلية
 وأحلت محلها اخوة الايمان فانه لا يقال لك كيف تسلم على أخيك وأنت
 لا تعرفه؟ لان الاخوة أرقى من المعرفة فلا يكون عدم المعرفة علة لدفع
 السلام بين الاخوان ولأن المؤمنين كجسد واحد فلا يعاب العضو إذا
 رافق عضواً آخر وساعده *

فافشاء السلام شعار المسلمين وليكن مع الأسف تغالغت الدسائس

وَحَدِيثُ قَتَادَةَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ ، قَالَ قُلْتُ لِأَنْسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَأَنْتَ الْمُصَافِحَةُ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ ؟ فَقَالَ نَعَمْ .
وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي مُسْلِمٍ ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَالْيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمِينَ حَتَّى قَصْرُوهُ عَلَى مَنْ يَعْرِفُونَهُ خِلَافَ تَعَالِيمِ الرَّسُولِ ﷺ زَوْمِ افْتِشَاءِ السَّلَامِ عَلَى مَنْ تَعْرِفُ وَمَنْ لَا تَعْرِفُ وَأَنْ مَنْ يَبْخُلُ بِالسَّلَامِ وَيَزْعُمُ بِأَنَّهُ يَرِيدُ مَصْلَحَةَ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَفْعَلْ مَا يَقْرِبُهُ مِنْهُمْ لِلتَّخَاطُبِ فَانْه لَا يَفْعَلُ غَيْرَهُ أَصْلًا فَقَدْ رَوَى الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « عَجَزَ النَّاسُ مِنْ عَجْزِ الدُّعَاءِ وَأَبْخُلَ النَّاسُ مِنْ بَخْلِ السَّلَامِ . وَأَنْ خَيْرَ الْمُتَلَاقِينَ مَنْ يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ » *

رَوَى أَبُو دَاوُدَ . وَالنَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي إِمَامَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنْ أَوَّلَى النَّاسُ بِاللَّهِ مِنْ بَدَاهُمْ بِالسَّلَامِ » . وَالسَّلَامُ عِنْدَ الْمُلَاقَاةِ سُنَّةٌ وَعِنْدَ الْإِنْفِصَالِ كَذَلِكَ * .

فَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ . وَالتِّرْمِذِيُّ . وَالنَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيَسْلَمْ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيَسْلَمْ فَلْيَسْلَمْ الْأَوَّلَى أَحَقُّ مِنَ الْآخِرَةِ » . وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقُولَ قَدْ لَا يَرُدُّونَ السَّلَامَ فَقَدْ كَفَانَا جَوَابًا عَنْ هَذَا مَا رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « السَّلَامُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَضَعَهُ فِي الْأَرْضِ فَافْتَشَوْهُ بَيْنَكُمْ فَإِنَّ الرَّجُلَ الْمُسْلِمَ إِذَا مَرَّ بِقَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَرَدُّوا عَلَيْهِ كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ فَضْلٌ دَرَجَةٌ بِتَذَكُّيرِهِ إِيَّاهُمْ السَّلَامَ فَإِنْ لَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُمْ » اهـ *

أَيُّ الْمُتَحَابِّينَ بِجَلَالِي أَظْلَمُهُمْ فِي ظُلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي» (١) *

(٦٢) رَدُّ السَّلَامِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَإِذَا حِيلْتُمْ بِبِخِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِ مِمَّا أَوْ رَدُّوهَا) (٢) *

(١) قوله في ظلي . أي في ظل عرشي كما جاء التصريح بذلك في غير رواية مسلم عن أبي هريرة «سبعة في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله» وفي كتاب الأسماء والصفات للبيهقي عن أبي هريرة أيضا «سبعة يظلمهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله» الحديث *

والظاهر أنه ظل حقيقى يحفظ المتحابين من الحر والشمس ، ووهج الموقف وانفاس الخلق ، وازدحام الناس ، ويحتمل أنه كناية عن حفظه من المكاره ، وإكرامه وجعله في كنفه وستره ، ومنه قولهم : السلطان ظل الله في أرضه *

والمعنى والله أعلم أن الله عز وجل يعافهم يوم القيامة من هول ذلك اليوم العظيم وحره بظله المديد ورحمته الواسعة ، والكيفية لأجل للعقل فيها لأن الآخرة يصدق بها ولا يتعرض لكيفيتها جعلنا الله وإياك بمن آمن بالآيات والأحاديث التي من هذا النحو وفوض معناها إلى الله تبارك وتعالى *

(٢) قوله «رد السلام» لأنه واجب بدلالة الآية التي ذكرها المصنف ونقل حافظ المغرب ابن عبد البر وغيره إجماع المسلمين على أن ابتداء السلام سنة ورده فرض فإن كان واحدا وجب عليه بعينه وإن كانوا أجماعة وروده بعضهم سقط عن الباقيين وحكمة وجوب الرد لأنه شعار الإسلام فالأعراض عن شعار الشيء أعراض عنه ولأن البادى بالسلام دليل على أنه يريد التعارف معه فعدم

وَلَحْدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي
الطَّرَاقَاتِ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بِدُفْتِكَ نَتَحَدَّثُ فِيهَا فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَيْتَمَ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ (١) قَالُوا وَمَا

الرد برهان على ارادة الانقطاع والانفصال وهذا هو الذي ذمه الدين
وحذر منه المسلمين ولا يستحققر الانسان السلام فان من لا يؤدى الصغير
حقه ولا يكثرث به فهو بالكبير اقل مبالاة واكثر اهمالا ولأن الجليل يجب
ان يقابل بمثله لأن الاعراض لا يصلح ان يقابل اللقى وارادة المودة المحبة
في الشروع بمفتاح التعارف الذي هو السلام، فمن لم يرد السلام
فقد اعرض عن قاعدة من قواعد الدين فهو عاص او استخفبها فهو كافر
عدو للاسلام، والتحية — كما قال الراغب — : أن يقال حيّاك الله أى جعل
لك حياة وذلك اخبار ثم يجعل دعاء ويقال حيا فلان فلانا تحية إذا قال
له ذلك، وأصل التحية من الحياة ثم جعل ذلك دعاء تحية ليكون جميعه
غير خارج عن حصول الحياة او سبب الحياة اما في الدنيا واما في الآخرة
والآية تدل على ان الرد يكون بأحسن تحية بأن يزيد عليها أو بمثلها ان لم يزد
والاولى اكمل وأطلب هداانا الله وإياك للاكمل

(١) قوله « فاعطوا الطريق حقه » لانه حق للعموم فلكل فرد من
البشر الاستفادة منه والجلوس فيه مناف لهذا الحق فلا ينبغي استباحته الا
بعد اخذ موافقة جميع الناس وهذا غير ممكن فاذن عليه ان يقوم بالمنافع
العامة فيكون قد تجرد من الغايات الذاتية وبهذا اصبح امة لخلوه عن
نفسيته لان غرض البصر يجعله في حكم غير الجالس وقدمه لان أغلب الشرور
تحدث بسبب النظر ولذا قال بعضهم في ذلك شعرا :

حَقَّ الطَّرِيقُ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ
بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»

(٦٣) عِيَادَةُ الْمَرِيضِ حَدِيثُ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فِي الصَّحِيحَيْنِ وَسَنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَغَيْرِهَا «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعِ

كُلِّ الْحَوَادِثِ مَبْدَأُهَا مِنَ النَّظَرِ وَمَعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْعَرِ الشَّرِّ
وَالْمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يَقْلِبُهَا فِي أَعْيُنِ الْغَيْرِ مَوْقُوفٌ عَلَى الْخَطَرِ
يَسِرُّ نَازِلَهُ مَاضِرُ خَاطِرِهِ لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرَرِ
وَكَفُّ الْأَذَى مِثْلُهُ وَخَيْرُ مَنْهٍ، وَرَدُّ السَّلَامِ أَرْضَاءُ لِلْمُسْلِمِ وَتَعَارُفٌ مَعَهُ وَمَعْظَمُ
أَعْمَالِ الدِّينِ الْإِسْلَامِي مَبْنِيَّةٌ عَلَى التَّعَارُفِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ
هِيَ الْمَقْصُودُ وَمِنْ أَهَمِّ الْعِبَادَاتِ وَالْأَعْمَالِ الدِّينِيَّةِ وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
وَالْمُسْلِمُ وَغَيْرُهُمَا وَزَادَ عَلَيْهِمَا أَبُو دَاوُدَ أَرْشَادُ ابْنِ السَّبِيلِ وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ
إِذَا حَمَدَ اللَّهَ وَزَادَ الْبِزَارُ وَالْإِعَانَةُ عَلَى الْحِمْلِ وَزَادَ غَيْرُهُ وَإِعَانَةُ الْمَلْهُوفِ
وَأِعَانَةُ الْمَظْلُومِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْحَقُوقِ الْعَامَّةِ النَّافِعَةِ لِلنَّاسِ فَإِنَّهُ إِذَا
اشْتَغَلَ بِهَا تَخَلَّصَ مِنَ الْقَتَنِةِ الَّتِي تَرِافِقُ جُلَسَاءَ الطَّرِيقِ لِأَنَّ مَنْ
يَعْمَلُ بِمَا أَمَرَ الشَّارِعَ لَا يَتِمَكَّنُ الشَّيْطَانُ مِنْ أَفْسَادِهِ خُصُوصًا إِذَا كَانَ مِنَ
الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا

(١) قَوْلُهُ «عِيَادَةُ الْمَرِيضِ» بِالتَّفَرُّقَةِ بَيْنَ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ لِتَكُونَ خَالِصَةً
لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ الْأَمَلَ مَعْقُودٌ عَلَى الْإِحْيَاءِ فَإِنْ مِنْ أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ
فَإِنَّهُ وَإِنْ جَازَ أَنْ يَشْفِيهِ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا يَقَعُ غَالِبًا لَكِنْ لَمَّا كَانَتِ الْوَفَاةُ مَلْحُوظَةً
بِجَانِبِهِ أَكْثَرَ مِنَ الصَّحِيحِ فَالْعِيَادَةُ أَنْ يَبْرَهَنَ عَلَى إِخْلَاصِهِ مَعَهُ وَأَنْ غَايَتُهُ
رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَإِنْ الْحُبُّ كَانَ لَوَجْهِهِ وَالْإِفَانَةُ كَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ لَا يَعُودَ

وَنَهَانَا عَنْ سَمْعِ أَمْرِنَا بِعِبَادَةِ الْمَرْضَى ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ وَرَدِّ السَّلَامِ
وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ ، وَإِبْرَارِ الْقَسَمِ ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ وَإِجَابَةِ الدَّاعِي ،
وَنَهَانَا عَنْ حَلَقَةِ الذَّهَبِ أَوْ قَالَ خَاتَمِ الذَّهَبِ وَآنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفَضَّةِ

وان شفى فالمعاذير كثيرة ولا سيما في البلدان الكبيرة *

وقوله واتباع الجنائز لانها تذكر الموت ولان فيها دليلا على ان
المسلمين يكرمون امواتهم كما يهتمون باحيائهم عدا عن ان فيها جبرا
لخاطر اقرباء الميت فقد يكون التشيع سببا للتعارف والمودة والمحبة
وقوله وابرار القسم احتراما لاسم الله الكريم ولان خلفه فيه اهانة
له مع الكذب الذى قال الله فى حقه (انما يفترى على الكذب الذين لا يؤمنون)
ولكن هذا فيما يخلو عن المفسدة او الاضرار والا فان ابرار القسم اذا
حلف او استخلفه احد بان قال له آخر اقسمت عليك بالله فلا يلبنى طلبه
حينئذ لانه لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام *

وقوله ونصر المظلوم باستخلاص حقه او بشد ازره على الظالم ولو
بمقاطعة الظالم وهجره على الاقل حتى يرتدع ويتوب

وقوله واجابة الداعى اعم من ان يكون مظلوما يستصرخ او غريقا
او حريقا او غير ذلك بل يشمل نداء المؤذن ايضا

وقوله ونهانا عن خاتم الذهب لانه اشارة الكبرياء وفيه تضيق على
النقد الذى هو المقياس الحقيقى لمعاملات العالم فان الورق النقدى اليوم
لاذا لم يدعمه الذهب المخزون فى المصارف فانه لا قيمة له ولا اقوى دليل
على ذلك من ورق روسيا والمانيا الصادر بزمان قصير بهما فقد اخرب بيوت
لناس من التجار كثيرين حيث فقد الكفالة وهكذا يقال عن انية الذهب

وَالْمَيْثِرَةُ وَالْقَسَى وَالْأَسْتَبْرَقُ وَالْحَرِيرُ وَالْدِّيْبَاجُ *

وَحَدِيثُ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمَ «عَائِدُ الْمَرِيضِ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ» (١) قُلْتُ وَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ بَرًّا أَوْ فَاجِرًا لَكِنْ يَنْبَسِطُ إِلَى الْبَرِّ وَيَنْقَبِضُ عَنِ الْفَاجِرِ *

والفضة بالاولى لانا منعنا الخاتم الصغير فلا شبهة اذن في تحريم الاواني، والاحاديث في هذا الباب كثيرة ولكن اسلوبنا اقناع ابناء العصر الحاضر بالطرق المعقولة الخادمة للنقل *

وقوله «والميثرة» خاص بعد عام لانها داخله في الحرير اذ هي وطاء يعمل من الحرير ليجلس عليه الراكب وكذلك القسي فانها داخله في الحرير. لانها ثياب أكثر خيوطها الحرير ترد من القس وهي قرية على ساحل البحر الأحمر، وأما الاستبرق فانه ما غلظ من الحرير والديباج مارق منه، فهذه كلها من أنواع الحرير حكمها حكمها إلا ما أباحه الشرع من التطريز الذي لا يتجاوز أربع أصابع أو الذي كان الحرير فيه قليلا فهذا لا بأس به *

(١) قوله «في خرفة الجنة» الخ هو ما يخترق من النخل حين يدرك ثمره أي يجتنى ولا شك ان السير في نخل اعطى ثمره يكون لذينا ولا سيما وقد استعد لمنح الفائدة وهي ثمرته الرطب الجنى

وعيادة المريض سنة بالاجماع ولا فرق بين من يعرفه ومن لا يعرفه الا أن القريب أولى وما كد، وقد ورد في فضل العيادة أحاديث كثيرة منها ما رواه الترمذي بسند حسن عن علي كرم الله وجهه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلم يعود مسلما غدوة الا وصلى عليه سبعون

﴿٦٤﴾ الصَّلَاةُ عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ «حَقَّ الْمُسْلِمُ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رُدَّ السَّلَامُ وَعَيَاذَةُ الْمَرَضَى وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ (١)»
وَحَدِيثُ ثَوْبَانَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ «مَنْ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ فَلَهُ قَبِيرَ أَطٍّ (٢)»

ألف ملك حتى يصبح وكان له خريف في الجنة» والخريف الثمر المنخروف
أي المجتني

(١) قوله الصلاة على من مات من أهل القبلة وهو من كان يظهر
الإيمان ولم يحصل منه ما ينافيه وإن كان عاصياً وإنها فرض كفاية إذا فعلها
الجميع سقطت عن الباقيين وهي الوداع الأخير للميت يسلم فيه الميت إلى
ربه كي يلقي عمله فينبغي الصلاة عليه كي يساعدوه بالدعاء له بالتثبيت وخفة محنة
السؤال ولأن من كمال أخوة الدين أن يوصلوه إلى حفرة القبر يستتر فيها
كي لا يبقى مطروحا معرضا للتفسخ وإيذاء الأحياء بالرائحة وغير ذلك مما
يخالف قواعد الصحة وأركان الشرف والغيرة والانصاف

(٢) قوله من صلى على جنازة فله قيراط لأنه أدى الصلاة التي هي دعاء
لأخيه المسلم وصدقة عليه بالدعاء له كما قلنا ولا سيما إذا كان قد دُشِيَ معها
وحملها ليثال من ذلك اجرا إذا ان المسلمين لم يعهدوا أن الجنازة يحملها
ياجرة أناس مخصوصون فيجوز أن يكون الميت فقيراً ليت شعري هل
يبقى بلا دفن أم يرمى في الأرض؟ لأن الناس إذا ألفوا عدم حمل الجنازة
فإنهم يرونه مخالفاً للعادة فيحسبون أنه عاراً مع أنه السنة التي كان عليها صدر
الاسلام بل وآخره إلا في بعض البلدان التي أهملت هذه
السنة المحترمة، والجنازة بكر الجيم وفتحها والفتح أفصح كما قاله النووي *

وَمَنْ شَهِدَ دَفْنَهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ الْقِيرَاطُ مِثْلُ أَحَدٍ *

(٦٥) تَشْمِيتُ الْعَاطِسِ لِحَدِيثِ أَبِي بَرْدَةَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمَ

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ «إِذَا عَاطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمْدَ اللَّهِ فَشَمِّتُوهُ وَإِذَا

لَمْ يَحْمَدِ اللَّهَ فَلَا تَشْمِتُوهُ» (١) *

وقوله «ومن شهد دفنها فله قيراطان» لأن مشاهدته للقبر وكيفية الدفن يذكره بما يصير إليه فيكون قد اعتبر رغبا عنه ودعا لأخيه بالتشيت كما كان يفعله رسول الله ﷺ وجبر خاطر أولياء الميت بمشاركته لهم في الدفن وإكمال ما ابتدأوا به وبين القيراط وهو أنه مقدار جبل أحد العظيم الواقع قرب المدينة وهذا كناية عن أن له أجرا جسيما *

(١) قوله «تشमित العاطس» التشमित - بالشين المعجمة والسين المهملة - يقال شمت العاطس وسمته وهو أن يظهر له المودة بالدعاء له المنافية للشتمات وهي السرور بالمصيبة وهو سنة مؤكدة عند معظم الأئمة وقال الإمام مالك فرض كفاية ولم يقل بوجوبه إلا الظاهرية وذلك بأن يقول له يرحمك الله وذلك بعد أن يحمد الله تعالى وجوابه كما في صحيح البخاري أن يقول يهديكم الله ويصالح بالكم *

وقال النووي : كما ثبتت هذه الصيغة ثبتت صيغة يغفر الله لنا ولكم رواها الطبراني ولا حرج عليه فله استعمال أيهما شاء *

وقوله «إذا عاطس فحمد الله فشمتوه» لأن العاطس منفعه بسبب خروج ما احتقن في الدماغ من الأبخرة فاذا حمد الله على هذه النعمة استحق أن يدعو الله له بالرحمة ومن أعرض عن ذلك وأهمل ما أمر به فهو مستغن عن الدعاء لهذا نهى الرسول ﷺ عن تشميته *

(٦٦) فِي مُبَاعَدَةِ الْكُفَّارِ وَالْمُفْسِدِينَ وَالْغَالِظَةِ عَلَيْهِمْ (١) لَقَوْلِهِ

ويشرح التشميت ثلاثا اذا تكرر العطاس من الشخص ولا يزداد عليها فان زاد العطاس على الثلاث دعى له بخير لما رواه أبو داود بسنده عن أبي هريرة مرفوعا «اذا عطس أحدكم فليشمته جليسه فان زاد على ثلاث فهو من كوم ولا يشمت بعد ثلاث»

(١) قوله «في مباعدة الكفار والمفسدين» وذلك لأن المخالطة تجلب حسن الاعتقاد والثقة فيضطر إلى الاعتماد عليهم فتسرى فيه روحهم الخبيثة فيقلدهم فيما هم عليه ويفعل مثل فعلهم كما هو حاصل الان لأبناء عصرنا الحاضر فيكون سببا في اضرار أمته ودينه من حيث لا يدري ذلك لكنه يدري أنه سيصل الى هذا من أول الامر ولذلك نهاه الله عن مخالطتهم فهو شبيه بمن يعلم أن المسكر يزيل عقله ويشربه حتى اذا فقد شعوره ارتكب منكرات واحداث أموراً وزعم أنه لا يملك عقله مع أنه هو الذي أضاع عقله عندما سلم نفسه لهواه وانقاد الى عمل امره الله باجتنابه *

أضف الى ذلك ما يترقبه الكافر من الايقاع بالاسلام والمسلمين كما نبهنا الله تعالى بقوله «لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وماتخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون» فهو بعد هذا لا شك أن يملك اليهم لا يجعلهم يردون منفعتك فان الشعبان شأنه الاضرار ولا يمكن أن ينقلب طبعه فهو وان فرضنا أنه يعرف مرييه ولا يؤذيه تجاه أمله بأنه المكلف بنفقته فانه لا يرحم غيره من بني جنسه . وان أعظم دسياسة دخلت على الاسلام هي أنهم يقولون الدين لله والوطن للجميع وقد خدعوا والله بهذه الكلمة فان الخصم الذي يزعم ذلك لماذا يعاديك؟ لا شك لأنك است على دينه اذن الدين هو ذو المدخل في كل الأمور ولا كنا لم نتنبه لذلك رغما عن ان الله تعالى حذرنا منه .

تَعَالَى (لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ (١) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً) * وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى

(١) قوله « لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ » نهي الله تعالى عن موالاة الكفار واتخاذهم أولياء واصدقاء من دون المؤمنين لأن ذلك دليل على ترجيح الكفر على الإيمان وهذا لا يجوز بل قد يسوق فاعله الى ما هو أعظم من الحرمة كما قلنا ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء لأنه عصا مولاة وهجر اخوانه المؤمنين الا أن تتقوا منهم تقاة اما لا كتفاء شرهم بينما يستعد ويهيئ قوى الخصام والافاز دوام التقية هي الجبن والاستسلام المنافية للجهاد الذي مر أنه من أعظم شعب الإيمان اذا لم نقل انه أعظمها بعد توحيد الله تعالى ولأن الممارسة على شيء تجعله حسنا وهذا ما جعل سلاطين آخر الزمان يرضون الاجانب بمنح البلدان الاسلامية يزعمون أن ذلك أهون من الجهاد الى ان اصبحت البلدان الاسلامية كافة تحت سلطة أو نفوذ الغرب لانهم جرؤا علينا ونحن هبناهم فجنح لاتساعدنا قوانا المعنوية على المخاصمة فضلا عن المحاربة وهم لم يعودوا يبالون بنا ولم يخشوا باسنا مع وجود كثرتنا التي اصبحت كما أشار اليها الحديث الصحيح الذي رواه أبو داود ومنه هل تغلب من قلة يومئذ يارسول الله قال لا بل من كثرة وليكن غشاء كغشاء السيل» فاذن التقية ليست على اطلاقها بحيث يبقى عمراً أو تنتقل من الالباء الى الابناء معاذ الله أن يكون ذلك وانما هي فرصة لكي يستعد المسلمون لاتمام ما نقصهم واكمال ما فقدوه والغشاء بالضم والمد ما يجي فوق السيل مما يحمله من الوسخ وغيره وقوله « وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ » وذلك لان الغلظة تبعث على النفرة فلا يحصل

(وَقَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) وَقَوْلُهُ
تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِمُ بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
وَأَيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي
وَاتَّبَعَاءَ مَرْضَاتِي تُسْرِوْنَ إِلَيْهِمُ بِالْمُودَةِ) (١)*

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ
أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ) (٢) إِلَى آخِرِ الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا وَغَيْرَهَا مِنَ الْآيَاتِ *

اختلاط فيحفظ المسلمون بأدبهم وعوائدهم وتقاليدهم ولا يطلع الاجنبي
على دخائلهم وماهم عليه وما يضره ولكننا لما عصينا أمر الله انعكس
الامر علينا فاصبحوا يغلظون علينا القول ونحن نلين او نعد ذلك فخراً
فانا لله وانا اليه راجعون

(١) قوله «لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ» بان تجدوا لهم في قلوبكم
مواقع يشغلونها فان ذلك مناف للتوحيد ومخالف لقواعد الاسلام ولكن
ليس معناه ترك المعاملة فانها قد وقعت من الرسول الاعظم ﷺ وبقي
المسلمون في عز رغم تفرقهم ماداموا متمسكين بهذه الآية الكريمة فلما
خالفوا ومدوا يد الاخلاص للكفار الشعوب المستعمرين وقع ما وقع وحصل
ما حصل وكان أمر الله قدراً مقدوراً

(٢) قوله «لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ

وَلَحْدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ إِذَا لَقِيتُمُ
 الْمُشْرِكِينَ فِي الطَّرِيقِ فَلَا تَبْدُوهُمْ بِالسَّلَامِ وَأَضْطَرُّوهُمْ إِلَى اضْيَاقِهِمْ
 وَحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ «لَا يَأْكُلُ
 طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ وَلَا تَصَاحِبُ إِلَّا مُؤْمِنًا» (١) *

وَلَهَجَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خُلِفُوا خَمْسِينَ يَوْمًا إِلَى أَنْ تَابَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ فَنَابَوْا، وَهُمْ كَعَبُ بْنُ مَالِكٍ وَمَرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ وَهَلَالُ بْنُ
 أُمِيَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ *

على الإيمان» وذلك لأن الدين أقرب القربات فان الدين لا يوازيه شيء
 فاذا كانت قرابة الجسم رفضت الدين فان قيمتها بقدر قيمة الجسد الفاني
 فلا ينبغي اتخاذهم اولياء بل لا بد من هجرهم على الاقل اذا لم يشهروا سلاحا على
 المسلمين اما اذا فعلوا ذلك فلا مانع من سفك دماءهم
 ولذلك لما قتل أبو عبيدة عامر بن الجراح والده يوم بدر استحسن
 عمله الرسول الاعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثم سماه الرسول امين الامة وحق له ذلك
 لانه لم يبال بالقرابة ورجح الدين على كل قريب وغال وعزیز فهو أمين
 على دينه

(١) قوله «لا يأكل طعامك الا تقي» اي لان المؤمن كذا لا تكون غالباً
 الا بعد الحب فليكن حبك محصوراً بالانقياء لتعمل مثلهم وتعد في سلوكهم
 ولا تصاحب الا مؤمناً وهذا عموم بعد خصوص فينبغي ان تكون
 المصاحبة العامة محصورة للمسلمين لان الانسان يتأثر بطبع جليسه حتى انه

(٦٧) اِكْرَامُ الْجَارِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى . (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجَنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ) (١) *

قِيلَ فِي تَفْسِيرِ ذِي الْقُرْبَى الْجَارُ الْمُلَاصِقُ وَالْجَارُ الْجَنْبِ الْبَعِيدُ
غَيْرُ الْمُلَاصِقِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ الرَّفِيقُ فِي السَّفَرِ *

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَمُجَاهِدٍ . وَقَتَادَةَ . وَالسَّكَلِيِّ . وَمُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ
وَمُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ وَالْجَارُ ذِي الْقُرْبَى الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ
وَالْجَارُ الْجَنْبِ الْأَجَنِبِيُّ عَنْكَ وَالصَّاحِبُ بِالْجَنْبِ الرَّفِيقُ فِي السَّفَرِ
وَزَادَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ فَقَالَ فِي الصَّاحِبِ إِنَّهُ الرَّفِيقُ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرُ *

ليقلده ولا يدرى انه فعل ذلك، وقوله ولم يجزه عنه عليه السلام الثلاثة زيادة من بعض النسخ الخ
(١) قوله «اكرام الجار» لانه اقرب ما يكون اليك من اخوانك
المؤمنين فاذا فكر كل واحد باكرام جاره فان المملكة تصبح عبارة عن
عائلة واحدة لان كل واحد يصدق عليه انه جار اما رأساً واما بالواسطة
ولان الجار هو محك الدين يزعمون التصديق وحسن الخلق وكرم النفس
فانه اذا لم يفعل ذلك مع جاره فهو مع الغريب لا يفعل ذلك الاتجاه طمع
او لغرض في نفسه والاولو كان مخلصاً لكان جاره اولى به وقدوصى النبي
ﷺ حتى كاد بعض الصحابة يظن انه سيجعله وارثاً *

ولان فيه الانتقال من العائلة بالتوسع الى الجيران حتى اذا اكمل

وَعَنْ عَلِيٍّ . وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ . وَإِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِمْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
 فِي الصَّاحِبِ بِالْجَنِّبِ أَنَّهَا الْمَرْأَةُ وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي رَوَايَةٍ كَذَلِكَ
 وَفِي رَوَايَةٍ عَنْهُ أَنَّهُ الرَّفِيقُ الصَّالِحُ *

وَلَحْدِيثٍ عَائِشَةَ فِي الصَّاحِبِينَ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ
 مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِفُنِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُهُ ﴿١﴾ *

ذلك يصعد الى ما هو ارفق حتى يرى صالح المؤمنين صالحه وما يضرهم
 يضره قطعاً *

وقد بلغ من اثر الدسائس ان اصبحت العداوة تكاد نارها لا تطفأ
 بين الجيران وذلك لجهلهم بأمر دينهم في توهن قواهم لان من لا يتفق
 مع جاره فهو مع الغريب أشد تنافراً وأشد تنافراً
 وهذا كله حق الجار الذي لم يكن بينك وبينه حقوق غير المجاورة اما
 اذا اجتمعت معه امور اخرى كالقربة وغيرها فان الحق يزداد ويطلب
 الاكرام اكثر طبعاً وسيأتي تقسيم الجار الى ثلاث قريبا *

(١) قوله « حتى ظننت انه سيورثه » لان علة الارث هي القرابة وقد
 وجدت فكان امرا مظلوما اي راجحاً كاد يكون امراً واقعياً لان الجار
 اقرب ما يكون اذ هو الذي يكون عوناً لك في السراء والضراء وهو الذي
 يستطيع أن يلبي نداءك اذا استغثت به وهو الواقف على دخائل أحوالك
 والذي لا يخفى عليه شيء من أمورك فليس بكثير ان يكون وارثاً
 بعد ما ذكرناه *

وبه أنبأنا البيهقي أبو عبدالله الحافظ في مراعاة حق الرفيق ثنا
 أبو العباس الأصم ثنا شعبة بن عثمان التتوخي ثنا محمد بن شمال ثنا
 عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال قال عبدالله بن عباس رضي
 الله عنهما ثلاثة لا يكافئهم عنى إله الأرب العالمين رجل فسح له في مجلسه

والجار له ثلاثة أحوال جاره له حق ، وهو المشرك ، له حق الجوار ، وجار
 له حقان وهو المسلم ، له حق الجوار ، وحق الاسلام ، وجار له ثلاثة
 حقوق . جار مسلم له رحم . له حق الاسلام ، والرحم ، والجواره
 فحفظ حق الجار من الايمان ، والاضرار به من الكبار : لقوله عليه السلام
 في بعض الروايات ، « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره »
 وانظر الى أبناء زماننا كيف منعوا الجار حقه ، واستبدلوا الاكرام
 بالايذاء ، والاحسان بالاساءة ، حتى أصبح أقرب الناس جواراً أشدهم
 عداوة لجاره واعظمهم ضرراً ، واسرعهم تنكيلاً به ، واحرصهم على هتك
 عرضه ، ولا سيما إذا كان بينه وبين جاره رحم وقرابة فان الايذاء له نداد
 ويتعاضد ، وكل ذلك من الجهل بالدين ، وعدم انتشار آداب الاسلام ،
 وتساهل العالمين بالاحكام نسال الله ان يوفق علماءنا الاعلام ، وامراءنا
 الكرام الى استدراك الخطب قبل استفحالها ، وقطع عرقه قبل سريانه ،
 بنشر التعليم بين المسلمين عامة ، وتخريج وعاظ ومرشدين قادرين على
 تفهيم العوام امر دينهم ، وبيان حقوق الأفراد والجماعات ، وما ينشأ عن
 الجهل ، وترك الدين ، وتقليد الأجانب في الأمور المخلة ، والمفاسد
 المؤثرة في الهيئة الاجتماعية ، من سقوط الأمة وانحطاطها ونشوب العدو
 عليها ، وافتراسها ، واستعباده اياها كما هو حاصل الان ، فيصبح الشعب

وَرَجُلٌ تَخْطِي الْحَقَّ وَالْمَجَالِسَ حَتَّى جَلَسَ إِلَى وَرَجُلٍ ذَكَرَ فِي اللَّيْلِ
حَاجَتَهُ زَادَ فَرَأَى أَهْلًا لَهَا فَذَلِكَ لَا يُكَافئه عَنِ الْآرَبِ الْعَالَمِينَ»

(٦٨) إِكْرَامُ الضَّيْفِ حَدِيثُ أَبِي شَرِيحٍ الْعَدَوِيِّ فِي الصَّحِيحَيْنِ

قَالَ سَمِعْتُ أَذْنَاهُ وَابْصُرْتُ عَيْنَايَ حِينَ تَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

فَقَالَ «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ» (١) قَالُوا

متعلما متيقظا لنفسه متمسكا بحقوقه : محترما لجاره ورحمه ، مقتديا بسلفه
عاملا بشريعته ودينه ، ناظرا الى منفعة أخيه ووطنه ، مكبأ على رضائه به
متباعدا عما يضر بقومه وأبناء جنسه ، متحاشيا الرذائل ، متحليا بالفضائل
وغير ذلك من الصفات التي تقدمت

(١) قوله « فليكرم ضيفه جائزته » الخ وذلك لان اكرام الضيف
من أعظم آداب الاسلام واشرف مكارم الاخلاق وما برحت مدحوخة في
كل الأمم والعصور ومدحتها جميع الشرائع والديانات وقيل بوجوبها
واقل ما قيل فيها انها سنة مؤكدة

وهذه المرتبة هي التي امتاز بها الجار لان قربته يسهل عليه استحقاق الاكرام
بخلاف الضيف فان بعده جعل الشارع يامر باكرامه لانه وان كان غير
مجاور فهو احد من الجسد الاسلامي الذي اذا اشتكى عضوه منه تداعى
اليه سائر الجسد بالحنى والسهر وذلك لان الشارع امر اولاً بقول الحق
ولين القول والصدق فيه وفي العمل ثم اكرام الجار ليكون باذلا ماله — غير
الزكاة الواجبة — للجار ثم ينتقل الى اكرام الضيف . وحدد له الشارع مدة
اعظمتها ثلاث ليال لانه ان بقى اكثر من ذلك بلا داع ولا موجب

وَمَا جَائِزُهُ ؟ قَالَ يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ
فَهُوَ صَدَقَ عَلَيْهِ وَقَالَ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا
أَوْ لِيَصْمُتْ وَزَادَ فِي رَوَايَةٍ فِي أَوَّلِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَلْيُكَلِّمْ جَارَهُ * . . .

(٦٩) السُّتْرُ عَلَى أَصْحَابِ الْقُرُوفِ أَيُّ الذُّنُوبِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:
(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) (١)

فانه طفيلي غايته الاضرار بالناس فلاحق له في البقاء لمعارضته التعاليم
الالهية فبعد مضي المدة ينظر ان كان من الفقراء فان الضيافة تكون بعدئذ
صدقة عليه .

(١) قوله « السُّتْرُ عَلَى أَصْحَابِ الْقُرُوفِ » الخ وهم الذين يحصل منهم
ذنوب بدون مجاهرة ولا اعلان غير مصرين على عملهم فهذا كانه تائب
والتائب من الذنب كمن لا ذنب له فلا يستحق كشف عيوبه بل من الايمان
السُّتْرُ عليه لان الاذاعة في ذلك اشاعة للفاحشة في الذين امنوا ومن
كان كذلك فعليه ما قاله الله تعالى في بقية الاية لهم عذاب اليم في الدنيا والآخره
اما اذا كان مظلوما وذكروا ظالمه فهذا غير داخل في البحث بل لو فرضناه
داخلا في العموم فقد خصصته اية لا يجب الله البهر بالسوء من القول الا من ظلم .
فعندئذ يجب زجره وتاديبه ليرتدع هو وينزجر غيره لأن هذا وظيفته
الحدود والتعذير

وَلَحَدِيثِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ
عَنْ أَبِيهِ «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ
كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ الدُّنْيَا فَرَّجَ اللَّهُ
عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (١)

(١) قوله «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه الخ» أى إلى غيره كى
يظلمه فإنه لا فرق بين الظالم ومن يقدر على الأخذ بيده ولو كان لا يحول دون
وقوع الشر ولا يتحرك لأجل قبحه وذلك لأن الجميع عبارة عن جسد واحد
ومهما بلغ جنون امرئ فإنه لا يرضى بتقطيع أوصاله وتحمل
أسقامها وأمراضها *

وقوله «ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته» مكافأة لعمله
الصالح لأن الخير الذى يصيب المؤمنين يكافئهم سيدهم عليه ما دام يعمل
لوجه الله تعالى فمن يقضى حوائج الناس فلا بد أن تكون حاجاته مقضية
بإذن الله تعالى *

وقوله «ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة» الخ
وهذا طبعاً ما عدا تفريج الكرب الدنيوية لأن الدنيا ليست دار جزاء فهى
لا تساوى شيئاً والا فإنه ينال قسماً وافراً من التفريج غير أن الله لم يذكركه
لأن الدنيا بأسرها حقيرة لا تستحق الذكر والاحلال إلا باعتبارها مقدمة
للاخرة ومزرعة لها لأنها دار الاعمال والابتلاء *

وقوله «ومن ستر مسلماً ستره الله» الخ لأنه عرف مقدار الشهوة
الإنسانية التى صيرت الإنسان غير معصوم من الوقوع فى مثل ذلك فلا شك

(٧٠) الصَّبْرُ عَلَى الْمَصَائِبِ وَعَمَّا تَنْزِعُ النَّفْسُ إِلَيْهِ مِنْ لَذَّةٍ وَشَهْوَةٍ
 لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى
 الْخَاشِعِينَ) (١) * عَنْ مُجَاهِدٍ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ أَرَادَ بِالصَّبْرِ الصَّوْمَ *
 وَقَوْلُهُ (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا
 إِلَيْهِ)

أن الله يستر على من ستر المؤمن أى مادام الذنب غير ماس بالدين فإن ستره
 حيثئذ حرام لانه رضاء أو مؤامرة على الدين فمثل هذا لا يجوز ستره بل
 لا بد من فصيحته ليحذر الناس وان يعجزوا عن إقامة الحد عليه فانهم على
 الاقل ينفرون منه ويقاطعونهم *

وكذلك الستر مخصوص بما لا يتعلق بحقوق الناس والا فمن رأى شخصاً
 يسرق مال غيره فلا ينبغي ان يستر عليه ويتركه ياخذ اموال الناس ظلماً
 وعدواناً بل يجب على الاقل اعادة المال او الحيلولة دون وقوع هذه
 الجريمة التي جعل الشارع حدها قطع اليد وكذلك سائر الاعمال الشخصية
 والحقوق العامة *

(١) « حقيقة الصبر » حبس النفس وكفها عن الخزع والسخط ،
 والاسان عن الشكوى ، والثبات على احكام الكتاب والسنة ، والصبر عند
 الصدمة الاولى وما بعدها يسهل عليك كل شيء ، ولما كان الصبر في المرتبة
 الاولى اخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه الحكيم انه مع الصابرين بقوله :
 (ان الله مع الصابرين) وما اللطف قول الفاروق رضى الله عنه في هذه الآية
 التي ذكرها المصنف قال :

نعت الله تعالى الصابرين في هذه الآية بثلاث خلال كل واحدة منها
 خير من الدنيا وما فيها اولها انهم عليهم صلوات من ربهم وثانيتهما ان

الْبَهْرَاجُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ
 وَقَوْلُهُ (إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) وَغَيْرُهَا مِنْ آيَاتِهِ

عليهم منه رحمة وثالثتها أنهم هم المهتدون وإى فوز بنعيم بعدهذا؟
 قال على بن أبى طالب رضى الله عنه ، الصبر من الايمان بمنزلة الراس
 من الجسد ، فمن لا صبر له لا ايمان له ، كما ان لا جسد لمن لا راس له ،
 وهو من اعظم الامور وانفعها ، لذلك ذكره المولى تعالى فى القرآن فى
 نحو تسعين موضعا ، وحكمه الوجوب باجماع الامة ، وحسن الله تعالى على الصبر
 ليتعلم الشخص الرجولية ويتصف بها حقيقة فيحبس النفس ولا يجزع فلا
 تظهر عليه ضعف عزيمة ولا خور فلا يبالى بالكوارث ولا يهتم بالمصائب
 وهذا هو شان الانسان الكامل والمرتبة التى يستحق صاحبها السيادة على
 غيره والظفر بخصمه وغلبة عدوه ولان للحدة اثر اقد يكون اسوء حالا
 بحسب النتيجة مما يوجد قبله وكذا الوهن والجن فقد يبعث الشخص الى
 الخضوع وفقد عزة النفس حتى يصبح يجد كمال اللذة اذا بقى رقيقا او قنا
 بيعه واستبقاؤه بيد عدوه فيحصر جل عمله على ارضاء سيده .

ولما كانت الشريعة الاسلامية شانها ان تعود المتمسكين بها ان
 يكونوا فى ارفع مراتب الشرف واعلى مناصب العزة فى تامرهم بالصبر
 عل المصائب ليستطيعوا المقاومة ويتمددوا المبارزة فلا يكثر ثوابا يصيبهم
 علما منهم بانهم لا بد وانهم ناجحون فى الدنيا اذا اخلصوا لله ورسوله فى
 اعمالهم لان الظفر مقرون بالصبر قال تعالى : (واصبروا ان الله مع
 الصابرين) ولان القاعدة ان خصمك يكره ما تحب فاذا احببت دوام الخصام
 فهو بانضروية يكرهه ولم يبق له مجال الا التسليم لك ويحكمك فى نفسه ولهذا
 كانت قوة الكفر لا تستطيع ان تقف امام الصحابة والتابعين فكانوا بالقوة

وَلَحَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِينَ قَالَ «جَاءَ
 أَنَسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ قَالُوا فَجَعَلَ لَا يُسَالِهِ
 أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا أَعْطَاهُ حَتَّى نَفَدَ مَا عِنْدَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ حِينَ أَنْفَقَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ
 مَا يَكُونُ عِنْدَنَا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ نَذْخِرَهُ عَنْكُمْ فَانْهَ مِنْ يَسْتَعْفِفُ يَعْفِهِ اللَّهُ
 وَمَنْ يَسْتَغْنِ يَغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبرِهِ اللَّهُ وَلَنْ يُعْطُوا عَطَاءَ خَيْرٍ
 وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»

وَحَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِمَا يُضَافُ قَالَ «دَخَلْتُ
 عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا فَقُلْتُ إِنَّكَ لَتُوعَكُ

لِلْقَلِيلَةِ الْعَدَدِ يُضْرِبُونَ أَى قُوَّةٍ فَيَمْزُقُونَ شِمْلَهَا وَيَفْرُقُونَ أَفْرَادَهَا فِي مَدَّةٍ
 عَسِيرَةٍ هَذَا فِي الدُّنْيَا وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى . (يَجْزُونَ الْعَرْفَةَ بِمَا
 صَبَرُوا) وَقَالَ تَعَالَى : (وَجْزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةٌ وَحَرِيرًا) وَقَالَ تَعَالَى :
 «لِنَمَّا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) . وَلَمَّا كَانَ الصَّبْرُ عَلَيْهِ مَدَارَ مُعْظَمِ
 الْأَعْمَالِ كَانَ أَكْثَرُهَا ذِكْرًا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَقَدْ حَثَّ اللَّهُ تَعَالَى وَشَرَحَ
 عَلَيْهِ كَثِيرًا حَتَّى لَمْ يَجْعَلْ جَزَاءَهُ مَقْدَارًا مُعَيَّنًا وَكَيْفِيَّةً مُعْلُومَةً بَلْ هُوَ مَفْضُولٌ
 إِلَى إِرَادَتِهِ وَمَتَعِينَ بِمَا عَلَيْهِ الصَّابِرُ نَظَرًا لِنَتَفَاوُتِهِ بِحَسَبِ الْكَارِثَةِ أَوِ التَّجَلُّدِ
 وَالْمَقَاوِمَةِ وَالِدِفَاعِ وَالِاسْتِحْقَاقِ (وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ
 خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ) *

(١) الوَعَكُ - بِسُكُونِ الْعَيْنِ وَفَتْحِهَا - الْحُمَّى وَقِيلَ أَلْمَهَا وَقِيلَ هُوَ أَرْعَادُ
 الْحُمَّى وَتَحْرِيكُهُ إِيَّاهَا وَقَالَ صَاحِبُ الْمَحْكَمِ الْوَعَكُ أَلَمْ يَجِدْهُ الْإِنْسَانُ مِنْ شِدَّةِ

وَعَكَ الرَّجُلَيْنِ فَقَالَ أَجَلَ أَوْعَكَ كَمَا يُوعَكَ رَجُلَانِ مِنْكُمْ قَالَ فَقُلْتُ
ذَلِكَ بَانَ لَكَ أَجْرَيْنِ قَالَ أَجَلَ وَمَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ فَمَا
سِوَاهُ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا *

(٧١) الزهد وقصر الأمل لقوله تعالى : (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا
السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا) (١) *

التعب وقوله « اجل - بفتحات - بمعنى نعم »
والمعنى اجل أى نعم تصيبني الحى والالام كما تصيب رجلاين منكم وذلك ليعلموا
ان هذه الدنيا دار كرب فلا يجزع الانسان من النوائب فان الانبياء عليهم
الصلاة والسلام الذين دأبهم اصلاح المجموع الانسانى فهم عدا ما يتحملونه
من اذى الناس يصيبهم من الآلام والامراض أكثر وذلك ليعلموا الناس
بىف يجب تحمل البلاء وأن يظهر وأمن الصبر والحزم ما يكون به قدوة لأن
ما يأمرهم بالقول وبؤيده بالفعل يكون أعظم تأثيرا وأبلغ وقعا فى النفس
وأىضا فان لهم فى الآخرة الدرجات العلى ولأن الاجر الذى يحصل على
البلاء هو أعظم من أجر العمل لأن ذلك تساعد عليه النفس وأما
تحمل هذا فانه لا يكون إلا مع جهاد طويل وهمة عالية لا تعرف
كللا ولا ضعفا *

(١) قوله « الزهد وقصر الأمل » أى أنه لا يجعل فى قلبه شاغلا يشغله عن
ربه فلا تميل نفسه إلى ملك الغير ولا يستبيح الحرام . وأما ما يوجد عنده من
المال فيعده كإمانة أيسح له التصرف فيها على أن يختبر هل هو قادر على
تأدية الوظيفة أم لا ؟ وأعلم أن الناس قد أكثروا من الكلام على الزهد
ونذكر لك أهمه *

وَلَحْدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ « بُعِثْتُ أَنَا
وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ وَأُشَارُ بِاصْبُعِيهِ السَّابِقَةِ وَالْوَسْطَى » *

قال الامام أحمد ، الزهد في الدنيا هو عدم فرحه باقبالها ، وحزنه على
فادبارها ، وقال الجنيد ، الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد ، وقال ابن خفيف
الزهد سلو القلب عن الاسباب ونقض الايدي من الاملاك ، والذي اجمع
عليه العارفون ، ان الزهد سفر القلب من وطن الدنيا ، واخذة في منازل
الآخرة ، وقد قسم الزهد الامام أحمد إلى ثلاثة أوجه ، الا ، لترك الحرام
وهو زهد العوام ، والثاني ترك الفضول من الحلال ، وهو زهد الخواص
والثالث ترك ما يشغل عن الله ، وهو زهد العارفين ، وقد أشار المولى إلى
مدحه في القرآن في غير موضع وإلى ذم الدنيا والاعراض عنها . قال الله
تعالى (ما عندكم ينفد وما عند الله باق) وقال تعالى (قل متاع الدنيا قليل)
وقال (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا) وقال
(اعلوا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال
والاولاد) إلى قوله (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) والاحاديث في
ذلك كثيرة ، منها ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر رضى الله عنه « أن رسول
الله ﷺ مر بالسوق داخلا من بعض العالية والناس كنفية (أى جنبيه)
فهر بجدى أسك ميت فتناوله فاخذ باذنه ثم قال أيكم يحب أن هذا له بدرهم
فقالوا ما نحب أنه لنا بشئ وما نضنع به قال أتحيون أنه لكم قالوا والله لو كان
حيّاً كان عيباً فيه لانه أسك فكيف وهو ميت فقال فوالله للدنيا أهون على
الله من هذا عليكم » *

ومعنى أسك مقطوع الاذنين ، فالزهد في الشئ الاعراض عنه لاستقلاله
واحتقاره وارتفاع الهمة عنه ، يقال شئ زهيد أى قليل حقير وليس المراد

بالزهد رفض الدنيا واخراجها عن الملك، يدل له ما رواه الترمذى وابن ماجه
عن أبى ذر عن النبي ﷺ، قال الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال
ولا إضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق
عما في يد الله وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها
بقيت لك *

وهذا اجمع كلام في الزهد وأحسنه ، وقد رواه موقوفا الامام أحمد
وابن أبى الدنيا ويشهد له ما ثبت عن نبي الله سليمان وداود عليهما الصلاة والسلام
أنهما كانا أزهد أهل زمانهما ولهما من المال والملك والنساء ما ليس لغيرهما
وكان نبيهما ﷺ أزهد البشر على الإطلاق وله تسعة نسوة ، وكان
على بن أبى طالب ، وعبد الرحمن بن عوف . والزيبر . وعثمان من
الزهاد مع ما لهم من الاموال والتجارة ، وكان الحسن بن على من الزهاد
مع انه أكثر الامة محبة للنساء ونكاحا لهن وأغناها ، وهكذا كان أغلب
السلف من التابعين وتابع التابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، والله الموفق *
(أما قصر الامل) فيعلم أن الموت حق وأن الطريق لا بد من سلوكه
فهو مما طال عمره لا بد من شرب هذا الكأس وأن الحياة التي يذهب شطرها
في الطفولة ونصفها في الليل ومدة الجميع لا تزيد على مائة سنة الا نادرا
بشيء يسير كيف يكون حالها *

فاذا استطاع ملاحظة هذه الجهة وأنه هالك لا محالة وقادم على رب يحاسبه
على أعماله فهو يستعد لذلك اليوم بفعل الخيرات واجتناب المحرمات والتباعد
عن المنكرات *

ليس الزهد هو أن يترك الانسان كل عمل أو يبذر أمواله في كل ما يشتهي وأن يكسل
ويقعد عاطلا فعاد الله أن يكون هذا من الايمان لأن هذا مناقض للاسلام
ومعارض للقرآن القائل (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) والقائل
(وان ليس للانسان الا ماسعى) . إنما العمل هو جهاد في الحياة يؤثر المرء

وَحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ «نَعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ

عليه كما يؤجر على العبادات :

ليس المرء الذي يبقى خاملا في داره أو ثاويا في إحدى الزوايا أو بعض المساجد المهجورة أو المطروقة هو الزاهد لأن الزهد لا يتعلق بالصورة الظاهرة وإنما هو لو كان زاهدا فإن ما يزعمه من أداء عبادته وورده لا يمنعه عن العمل بل في مقدرته أن يسعى ويشغل ويعمل حتى إذا جمع شيئا من حطام الدنيا لم يجد له محلا شاغرا في قلبه فهو ينقفه في سبيل الله في الطرق النافعة فهذا هو الزاهد حقا لأنه زهد في جسده فاتبعه حتى إذا حصل ثمن اتعابه زهد فيه أيضا فصرفه في الطرق النافعة والأعمال المقبولة التي تأتي بالذكر الحسن له في الدنيا والآجر الجزيل في العقبى .

وكان كثير من الأنبياء عليهم السلام يملكون الأموال الطائلة والأماء العديدة والنساء الكثيرات وكذلك أزهدهم سيد الأنبياء كان عنده من النساء يوم توفي تسعة وقال جعل رزقي تحت ظل رحى والصحابة الكرام كان عندهم من هذا الشيء الوافر ولم يمنعهم عن أن يسموا زاهدا بل انهم هم الزهاد الحقيقيون حقا لأنك لو فحصت قلوبهم وفتشتها جيدا لم تجد فيها ما يشغلها . فليس الزاهد من يترك الحلال فحسب قال تعالى . (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) وليست بترك العمل وإنما الزاهد هو أن لا يرغب في ما لا يجوز له ويمتنع عن كل ما يحرم عليه ويجود بما يملك حسب مقدرته ويساعد أخوانه بما يرضيهم من قول معروف أو صدقة نافعة أو مساعفة بما يحسن تاديته فهذا الذي يستحق الحمد والثناء لسوئك ما كان عليه الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله واتباع طريق الأصحاب والسلف الصالح الأخيار .

(١) قوله « نعتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ »

النَّاسُ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ « (١) •

وبه أنبانا البيهقي قال انشدني أبو عصمة محمد بن أحمد السجستاني
بالبصرة لنفسه في هذا المعنى

أَنَا خَيْرُ بَنِي آدَمَ وَمَا عَلَى أَحَدٍ إِلَّا الْبَلَاغُ
النَّاسُ مَغْبُونُونَ فِي نَعْمَتِي صِحَّةُ أَبْدَانِهِمْ وَالْفَرَاغُ

أخرج الحديث أيضا النسائي والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس ،
والمغبون الخاسر والمعنى ان من لم يستعملهما على وجههما المطلوب شرعا
وعقلا فقد غبن فيهما أى باعهما بشئ بخس لأن وجودهما ينبغي ان يستفيد
منه الانسان فقد يكون صحيحا ويمتنعه الكسب عن كثير من العبادات فهذا
ظفه الشارع بالسعى وآخر فارغ لا عمل له ، ولكن وجوده عليل فهذا
يكون حكمه كسابق حاله قبل المرض ، ولكن الذى هو قوى البنية
رزقه لا يحتاج إلى عناء ومشقة ، فهذا إذا أضاع أوقاته سدى ولم يعبد
الله الذى خلقه للعبادة فلا شك أن عمره ذهب بارخص الاسعار والبخس
الاثمان وكان مغبونا وسيرى درجة غيبه يوم يجرى الحساب ويرى نفسه
مقصرا وغيره يسير الى الجنة بخطوات واسعة او يمر كهبوب الريح يومئذ
لا ينفع الندم إذا كان أضاع عمره فى المعاصى ولم يعرف حق هذا السوق
والمزرعة التى هى الدنيا التى سيجنى منها ربها عظيما أو حاصلات جيدة
فاذا فرط فهو المغبون الخاسر فقد أضاع آخرته وسعى فى حتف نفسه
قال الله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) ومن يعمل مثقال ذرة شرا
يره) اللهم ، تقنا لعبادتك *

وَحَدِيثَ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ أَنَّ الدُّنْيَا حُلُوةٌ
خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَظَرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا
النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنَى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ * »

(١) قوله « إن الدنيا حلوة خضرة » الخ أى أنها كالقائمة الطرية
الحلوة تشتهى لها النفوس وتطأها طلبا حثيثا فإياكم أن تغرؤ فاهما تشبه
الثمار في سرعة الزوال فاحذروها ولا تعتبروها الا وسيلة للآخرة ، وقوله
« وان الله مستخلفكم » أى كما استخلف الامم الماضية ليظهر عملكم هل
هو الطاعة والامثال ؟ أم هو الشهوة والعصيان ؟ وقوله « واتقوا النساء »
فقد صدق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فانه لما ظهرت فتنة
إلا وللنساء فيها مدخل او أصبغ فكل حادثة أعرض أمرها أو عسر
الوقوف على كنهها ففتش عن المرأة فانك تجدها المحرك لهذا الامر
والدولاب الذى يدير عمله فاحذروا منهم ممن لم تكن مجربة بالاعتصام
ومعروفة بالزهد والورع بل أياكم والقرب منهم بغير وجه مشروع لأن
قرب النار من البارود لابد من اشتعاله مهما كان غير جيد ، تلك سنة الله
فى خلقه فعليكم بالحذر ، وأخذ الاحتياط فان فيمن مضى قبلكم من بنى
إسرائيل عبرة حسنة فلا تسلكوا ذلك الطريق المهلك بل عليكم بالصراف
الاقوم والمنهج المشروع الاسلام *

وحاصل قصة بنى إسرائيل التى ذكرت فى الأحاديث هى أن نبى الله
موسى عليه الصلاة والسلام لما نزل فى أرض بنى كنعان ، وصل خبره
إلى قوم بلعام وكان بلعام رئيسهم يحفظ الاسم الأعظم ومجيب الدعوة وفيه نزل
قوله تعالى (واتل عليهم نبا الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) الآية ،
فذهب قوم بلعام إلى بلعام ، وقالوا له أن هذا موسى بن عمران فى بنى

اسرائيل قد جاء بخرجناء من بلادنا ، ويقتلنا وانا قومك ، ليس لنا منزل
وانت مجاب الدعوة ، فاخرج وادع الله عليهم ، فقال ويلكم نبي الله معه
الملائكة والمؤمنون كيف اذهب ادعو عليهم وانا أعلم من الله ما أعلم ،
فلم يزالوا به حتى قتنوه . فافتتن ، فركب حمارة له واراد أن يتوجه إلى
الجليل ليدعو على موسى ومن معه ، فوقفت ولم تسر به ، فضرها فانطلقتها
المولى تعالى الذي انطق كل شيء . فقالت ويحك يا بلعام أين تذهب أما ترى الملائكة
تردني فلم يرجع عن غيه ، حتى أشرف على رأس الجبل ، فجعل يدعو على موسى
وقومه ، ولا يدعو عليهم بشر الا صرف به لسانه ولا يدعو لقومه بخير
إلا صرف لسانه إلى بني اسرائيل فقال له قومه أتدري يا بلعام ما تصنع؟
انما تدعو لهم وتدعو علينا ، قال فهذا ما لا أملك ، هذا شيء قد غلب
الله عليه ، واندلع لسانه فوقع على صدره ، فقال لهم قد ذهبت الآن
منى الدنيا والآخرة ، فلم يبق إلا المكر والحيلة ، فسامر لكم واحتال ،
جملوا النساء واعطوهن السلع ثم ارسلوهن إلى قوم موسى يبعثنها فيهم ،
ومروهن بان لا تمتنع امرأة نفسها من رجل أرادها ، فان زنى منهم واحد
كفيتهم ، ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة برجل عظيم من
بنى اسرائيل فقام إليها فاخذ يدها حين أعجبه جمالها ، ثم أقبل بها حتى
وقف على موسى عليه السلام فقال انى أظنك ستقول هذه حرام عليك
فقال أجل هي حرام عليك لا تقربها ، قال فوالله لا أطيعك في هذا ، فدخل
بها قبته فوقع عليها ، فارسل الله الطاعون في بنى اسرائيل ، وكان صاحب
أمر موسى عليه السلام غائبا حينئذ ، وكان ذا بسطة في الخاق ، وقوة في
البطش ، فجاء والطاعون يحرس ويحصد في بنى اسرائيل ، فاخبر الخبر
فاخذ حربته ، ثم دخل القبة وهما متضاجعان . فانتظهما بحربته ، ثم
خرج بهما رافعهما إلى السماء ، وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك
فرفع الطاعون فحسب من هلك من بنى اسرائيل فوجد قد هلك منهم

(٧٢) الْغَيْرَةُ وَتَرَكُ الْمَذَاءَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ
نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ
وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ (١) *

وَلَحْدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
يَغَارُ وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ» *

وَحَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي الصَّحِيحَيْنِ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ

سَبْعُونَ أَلْفًا فِي سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ ، فَانْظُرْ إِلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ ؛ وَاعْتَبِرْ بِأَحْصَى
لِبُلْعَامِ الَّذِي أَوْقَى الْأَسْمَ الْأَعْظَمَ ، وَاجَابَةَ الدَّعْوَةِ . وَمَا نَفَعَهُ ذَلِكَ ، لَكُونَهُ
لَمْ يَعْمَلْ بِعَمَلِهِ النَّافِعِ ، وَلَمْ يَسْلُكْ سَبِيلَ الرِّشَادِ ، وَاتَّخَذَ عَلَيْهِ وَسِيلَةَ الْخُذْلَانِ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَذَرِيعَةَ التَّنْكِيلِ بِهِمْ ، وَهَكَذَا كُلُّ عَالَمٍ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعَمَلِهِ ، وَاتَّخَذَهُ
آلَةً لِإِضْلَالِ النَّاسِ وَاسْتِثْبَابِ الْأَمْوَالِ أَوِ الرِّيَاسَةِ وَالْجَاهِ كَانَ وَبِالْأَوْحِجَةِ عَلَيْهِ
وَسُودَ وَجْهِهِ فِي الدُّنْيَا ، وَقَادَهُ إِلَى عَذَابٍ شَدِيدٍ فِي الْآخِرَةِ ؛ نَسَالَ اللَّهُ حَسَنَ الْعَاقِبَةِ *
(١) الْغَيْرَةُ بِفَتْحِ الْغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ وَسُكُونِ الْيَاءِ قَالَ فِي النِّهَايَةِ هِيَ الْحِمِيَّةُ وَالْإِنْفَقَةُ وَقَالَ
الْقَاضِي فِي الْمَشَارِقِ هِيَ تَغْيِيرُ الْقَلْبِ وَهَيْجَانُ الْغَضَبِ ، أَيْ عِنْدَ رُؤْيَا أَوْ سَمَاعِ
مَا لَا يَنْبَغِي ، يُقَالُ رَجُلٌ غَيُورٌ وَأَمْرَأَةٌ غَيُورٌ وَالْمَذَامُ بِكَسْرِ الْمِيمِ وَالْمَدَى يُقَالُ
أَمَذَى الرَّجُلِ وَمَا ذَى إِذَا قَادَ عَلَى أَهْلِهِ وَيُرْوَى الْمَذَالُ مِنَ النِّفَاقِ بِاللَّامِ وَهُوَ أَنْ يَقْلُقَ
الرَّجُلُ وَيَنْزِعَ عَجَاجًا عَنْ فَرَّاشِهِ الَّذِي يَضَاجَعُ عَلَيْهِ حَلِيلَتَهُ وَيَتَحَوَّلُ عَنْهُ لِيَفْتَرِشَهُ غَيْرُهُ *

كَانَ عِنْدَهَا وَفِي الْبَيْتِ مَخْنَثٌ فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُمِيَّةٍ أَخِي
 أُمِّ سَلَمَةَ يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنْ فَتَحَ اللَّهُ لَكُمْ الطَّائِفَ غَدًا فَاتَى أَدْلَكَ عَلَى ابْنَةِ
 غِيلَانَ فَانْهَاقَتْ بَارِعٌ وَتَدْبِرُ بَثْنَانَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَدْخُلْنَ
 هَؤُلَاءَ عَلَيْكُمْ « (١) » *

(١) المخنث هو الذي يشبه النساء في أقواله وأفعاله ، تارة يكون هذا
 خلقيا وتارة تكلفيا ، والثاني هو المذموم الملعون صاحبه ، وأم المخنث في
 هذا الزمان هو الذي يؤتى ليلاط به ، وقول المخنث ثقيل بارع وتدبر
 بثنان هو وصف للمرأة ، وحاصله أنها سميئة ولبطنها طيات من السمن من كل
 ناحية ثنتان ؛ ولكل واحدة طرفان ، فاذا أدبرت صارت الاطراف ثمانية
 قال ابن السكبي ، قال المخنث بعد قوله وتدبر بثنان ، مع ثغر كالاقحوان ان
 قعدت ثمنت ، وان تكلمت تفتت ، بين رجلها مثل الاناء المسكفوف ،
 ورسول الله ﷺ يسمع : فقال لقد غلغت النظر اليها يا عدو الله ثم أجلاه عن
 المدينة ، واسم ابنة غيلان بادية وقيل بادية فلما فتح الطائف أسلمت وتزوجها
 عبد الرحمن بن عوف فولدت له ، ولا يخفى عليك ما حصل من النبي ﷺ حين
 سماعه كلام المخنث من الغيرة وهيجان الغضب واجلاه عن المدينة لئلا ينتشر هذا
 الداء العضال في الامة ، ويسرى سرعان السكب بصاحبه ، فهلا يتنبه علماءنا
 وأمرؤنا إلى ذلك ، ويجلون هذه الطائفة الخبيثة ، ويبعدونها عن البلاد ،
 ويضربون على أيديهم بسوط من حديد ، فقد انتشر فسادهم وعم ضررهم ،
 وفسدت اخلاق الامة وكثر المتشبهون بالنساء بسبب ذلك ولم نر أحدا من
 العلماء ، أو الامراء تكلم بذلك ونشر مقالة أو الف رسالة في بيان فساد
 بقاء هذه الشرذمة القبيحة والطائفة المشؤومة على الامة بين ظهرانيها وقد تقدم بيان

وَرَوَى عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : « الْغِيْرَةُ مِنَ الْإِيْمَانِ وَإِنَّ الْمَذَاءَ مِنَ النِّفَاقِ قَالَ الْحَلِيمِيُّ : هُوَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ ثُمَّ يَخْلِيهِمْ يَمَازِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَاحْذَرِ الْمَذْيَ ، وَقِيلَ : هُوَ أَرْسَالُ الرَّجَالِ مَعَ النِّسَاءِ مِنْ قَوْلِهِ مَذْيَتُ الْفَرَسِ إِذَا أَرْسَلَهَا تَرَعَى *

حكم اللواط في بابه فارجع اليه .

الغيرة من الايمان لانها تعرب عن ان القائم بها يمثل لامر ربه سامع لكلامه حيث يفعل من سماع ما لاترضاه الديانة الاسلامية فلا يود سماع هذا النبا وذلك بان يتخذ الحيلة لعدم وقوعه بابعاد الخنثين عن داره وبابعد ارباب الشبه الذين اتهموا بفساد الاخلاق وقبح الاعمال لاسيما اهل عصرنا الحاضر الذي ملئ هيكله فسادا وشرا مستطيرا فياك ايها العامل ان تدخل في بيتك احدا من الشباب الناشئ ولو كان من ذوى رحمك واصدقائك فانك اذا ادخلت احدا دارك لندمت وتلوث عرضك وما امكنتك استدراك ما فات ووقع ، وانظر ما ينشر في الجرائد اليومية والمجلات الاسبوعية من وقوع جرائم كبيرة متعددة بسبب ذلك فان الله ولنا اليه راجعون وقوله ان المذء من النفاق حيث أنه أراد ان لا يحفظ زوجته بالسماح لغيره بان يختلي بها الذي أقل درجاته المذء مقدمة غيره من المفاسد فهو عدا عن نفاقه لاشرف عنده إذا عرب بعمله هذا عن انحطاطه وسوء خلقه وقلة حيائه وقد الغيرة فهو كما لا يريد له نسلا حلالا وصارأ حظ من البهائم التي تغار على أنشائها فالكلب خير منه لان عنده من الغيرة ما يخاصم غيره اذا أراد اشراكه نعم ان له شبيها في الخنزير الذي لا غيرة عنده ولا يتاثر بذلك ولو اغمعت النظر وفحصت المسألة لوجدت ان غالب الذين ياكلون لحم

(٧٣) (الاعراض عن اللغو لقوله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ
الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللغوِ مَعْرُضُونَ) (١)
وقوله : (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللغوِ مَرُّوا كِرَامًا)
وقوله : (وَإِذَا سَمِعُوا اللغوَ اعْرَضُوا عَنْهُ) *

وَاللغوُ الْبَاطِلُ الَّذِي لَا يَعْنِيهِ وَلَا يَتَّصِلُ بِقَصْدٍ صَحِيحٍ وَلَا يَكُونُ لِقَائِهِ
فِيهِ فَائِدَةٌ وَبِمَا كَانَ وَبِالْأَعْيُنِ

وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَلَى بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ
عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ مَنْ حَسَنَ إِسْلَامَ الْمَرْءِ (٢)

هذا الحيوان النجس لا غيره عندهم فهم اصل جرثومة الفساد وعلة
نشرها وتعميمها .

(١) (قوله الاعراض عن اللغو) اللغو من الكلام ما لا يعتد به وهو الذي
يورد لا عن روية وفكر فيجري مجرى اللغا وهو صوت العصافير ونحوها من
الطيور ، وقد يسمى كل كلام قبيح اغوا قاله الراغب ، والنهي عنه لانه لاخير
يرجى منه ولا يمكن ان يكون سببا في دفع ضرر والانسان يسعى لعمل اما فيه
منفعة او دفع مضرة اما اذا خلا عن الامرين فلا بد من اجتنابه و لانه محقق ان
لاخير فيه فاذا بقي باب الشر مفتوحا ولا يبعد ان يلجئه هو او يدخل عليه غيره
الى ان يقع فيما لا تحمد عقباه لهذا منع الشارع الخوض في مثل ذلك لما
انه لا فائدة فيه ولانه يؤدي الى الضرر :

(٢) « قوله من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه » هذا الحديث اصل عظيم

من أصول الآداب الشرعية والاجتماعية ولذلك قيل: جماع آداب الخير وازمته في أربعة أحاديث هذا أحدها ورواه الترمذى وابن ماجه وهو حسن كما قال النووي في الاربعين ووافقه على ذلك الحافظ ابن رجب وحكمة النهى المضمون انه لا فائدة له في ما لا يغنيه والمؤمن لا ينبغي أن لا تكون أعماله عبثا ولا أوقاته تذهب هدرًا وان لكل فرد عملا يجب ان يتقنه ويقوم به لأن الانسان يستحيل عليه أن يقوم بكل الأعمال فالبشر مضطرون إلى الاجتماع وتوزيع الأعمال من زراعة وصناعة وتجارة وحفظ أمن وصون كيان الامة واقامة العدل وغير ذلك فاذا اشرك الانسان غيره في عمله فانه لا يتمكن من ايفاء عمل نفسه ورفيقه المعترض عليه أيضا يفعل مثله فيختل النظام وتصبح الأمور فوضى .

ولا يرد على خاطرك أن هذا فيه إباحة لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمعاذ الله ان يكون ذلك وكيف وهذا امر يتعلق بالعموم والخصوص والأفراد والمجموع لأن انتشار فساد الأرض اشد اضرارا من انتشار الأمراض السارية والعلل الفاتكة في الاجساد ولا سيما في عصرنا هذا فقد أصبحت طرق الوقاية من الأوبئة متقنة وكثرت معالجاتها وأصبح الشفاء منها ليس بالأمر البعيد بخلاف الأمراض النفسية فإن بلاءها في ازدياد وقتها في جسم الامة أصبح شاملا للطبقات كافة بحيث يشق التخلص منه لانه ليس امر محسوسا ليهيئ الانسان له الاستعدادات ويتخذ الحيطة لاجله فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو علاج هذه الأمراض ولا يقوم غيره . مقامه فاذن لا شتمال لهذا الحديث عليهما أصلا . وإنما المراد ما يتعلق بالخصيات والأعمال الفردية التي تعدل المدخلة فيها هتكًا للحرية وتعديا على الغير وتجاوزا على حقوقه *

وَبِهْ أَنْبَاَنَا الْبَيْهَقِيُّ أَنْبَاَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَافِظُ ثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ
إِسْحَاقَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عُمَانَ الْخَنَاطَ قَالَ سَمِعْتُ ذَا النُّونَ يَقُولُ مَنْ أَحَبَّ
اللَّهُ عَاشَ ، وَمَنْ مَالَ إِلَى غَيْرِهِ طَاشَ ، وَالْأَحْمَقُ يَغْدُو وَيُرُوحُ فِي لَاشَ ،
وَالْعَاقِلُ عَنْ خَوَاطِرِ نَفْسِهِ فَتَاشَ * .

(٧٤) الْجُودُ وَالسَّخَاءُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ

(١) قوله « من أحب الله عاش » ، لأنه أدرك معنى الحياة وفهم ما يطلب منه وما يقصد من خلقه ووجوده فهو العائش وسواه ميت أو حجير لا فائدة فيه ، وقوله « ومن مال إلى غيره طاش » حيث خرج عن حده ولم يدر إلا الضلال فهو محكوم عليه بالتيه واضاعة المحجة المستقيمة ، والأحمق يغدو ويروح في لاش لأنه لا ثمرة تحصل من أعماله فهو عقيم النتيجة فاقد المنفعة فلا تثمر له أعماله خيراً أصلاً * .

وقوله « والعاقل عن خواطر نفسه فتاش » يتحرى منها النافع فيعمله والضرار فيتجنبه فلا يترك الخيال يذهب بدون تدقيق وحساب وهذا هو العقل لأنه استطاع أن يعقل حتى خياله وتصوره * .
(١) الجود والسخاء والكرم بمعنى ، وهو اتفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغي ، ويقابله البخل وقد أمر بالجود المولى ومدحه في كتابه المبين ، وعلى لسان رسوله الأمين ﷺ وكان نبينا ﷺ لا يوازي في الكرم والجود ولا يبارى ، وبه وصفه كل من عرفه ، وما سئل قط فقال لا ، لما رواه البخاري في صحيحه والترمذي وغيرهما عن جابر - . الله عنه قال : ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً فقال (م - ١٦ - مختصر شعب الإيمان)

مَنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَغَيْرَهَا مِنَ الْآيَاتِ وَلَقَوْلِهِ فِي
عَكْسِهِ : (وَاعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) الَّذِينَ يَخْلُونَ وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ (وَقَوْلِهِ تَعَالَى : (وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يُمِخْلُ عَنْ

لا وأنشد حسان :

ما قال لا قط الا في تشهده لولا التشهد لم تسمع له لالا
وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ، كان النبي ﷺ
أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في رمضان ، وكان أجود بالخير
من الريح المرسلة ، وهكذا كانت حاله ﷺ قبل أن يبعث ه
وفي صحيح مسلم عن انس رضي الله عنه ، ان رجلا سأله فاعطاه غنما بين
جبلين . فرجع الى قومه ، وقال اسلموا فان محمداً يعطي عطاء من
لا يخشى فاقة . واعطى غير واحد مائة من الابل . واعطى صفوان بن امية
مائة ثم مائة ثم مائة وكان مشركا . فقال اشهد بالله ما طابت بهذا الانفس
نبي واسلم *

ورد على هو ازن سباياها وكانوا ستة الاف نفس مع اموالهم وكانت
خمسمائة الف الف ، وحمل اليه ﷺ تسعون الف درهم فوضعت على حصير
ثم قام اليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها ، وجاءه رجل فسأله ،
فقال ما عندى شيء ، ولكن اتبع على ، فاذا جاءنا شيء قضيناها ، فقال
له عمر رضي الله عنه ، ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره ذلك ﷺ فقال رجل
من الانصار يا رسول الله ، انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم عليه
الصلاة والسلام وعرف البشر في وجهه ، وقال بهذا امرت ، والخبر بكرمه

وجوده لا يحصى فعن البحر حدث ولا حرج *

ولاشك أن النفس مجبولة على حب من احسن اليها فالسخاء هو أعظم وسائل التعارف واهم وسائل التجارب فلذلك كان من شعب الايمان بل من ذوات الالهية فيها ذلك لانه من الدواعي الى اجتماع الكلمة وتوحيد القلوب وحب الناس بعضهم بعضا فالجود من المزايا التي يجب ان يتحقق بها المؤمن ويعلم ان الموت خلفه بالمرصاد وانه ليس له من ماله الا ما قدمت يداه مما ينفقه في طرق الخير في هذه الحياة فانه محفوظ له *

(١) أمر الله تعالى عباده بالمسارعة والمبادرة إلى مغفرته تعالى ليفوزوا بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للذين اتقوا الله ووصفهم المولى بقوله (الذين ينفقون في السراء والضراء) أي لا استواء الطرفين لديهم فهم ينفقون في اليسر والعسر فلا يبخلون ولو وصل بهم الحال إلى ما وصفهم الله تعالى بقوله : (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) والمراد من نفقة الاعسار أنه يساعد البائس فيما يقدر عليه وإن كان زهيدا كما في مسند أحمد والبخاري ومسلم عن عدي قال قال رسول الله ﷺ : «اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة» فالصدقة وإن كانت شق تمرة لا ينبغي أن يستعملها بل يجوز أن يكون لها عند الله وقع لا توازيه ألوف الدنانير *

ولاسيما عند ملاحظة المتصدق واحتياج الآخذ ، وبعضهم يحمل الآية على أن السراء السرور والضراء الحزن والغم فهو في كلتا الحالتين لا يتقاعس عن الانفاق *

ويحتمل أيضا أن يكون السراء ما ينفقه في حياته وفي الضراء ما يوصى به بعد موته ، والخلاصة أن الصدقات بانواعها جميعا هي سبب لمرضاة الله تعالى وأما الذين يبخلون بان لم يعطوا حقوق الله الموجودة عندهم أمانة كي يؤدوها الى الفقراء او يمنعون الغير بافساد الرأي عن أداء مثل ذلك فاولئك لهم

نَفْسِهِ) وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (وَمَنْ يُوَقِّ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)
وغيرها من الآيات *

وَلَحْدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الصَّحِيحِينَ «مَنْ يَوْمَ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ
إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ اعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ
اللَّهُمَّ اعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا» (١) *

عذاب الأليم وما لهم من ماصرين ذلك لأنهم خانوا الأمانة التي أودعت
عندهم وظنوا أنهم إلى ربهم لا يرجعون *
وقوله (ومن يوق شح نفسه) أي لؤم نفسه بأن يتخلص من البخل
والحرص وعرف أن هذا المال الذي يستموت لأجله لا ينفعه بعد موته إلا
ما كان خالصا لوجه الله الكريم فحينئذ استطاع أن يتخذ وقاية من
شح النفس فلا تتسلط عليه ولا تنقلب عليه فالذين يفعلون ذلك فأولئك
هم المفلحون في الدنيا بالحب والجاه . وفي الآخرة بالدرجات الرفيعة
والنواب الجزيل *

(١) الخلف العوض يقال خلف الله لك خلفا - بفتح اللام - واخلف
عليك خيرا أي ابدلك بما ذهب منك وعوضك عنه ، وقيل إذا ذهب للرجل
ما يخلفه مثل المال والولد قيل اخلف الله لك وعليك وإذا ذهب له ما لا يخلفه
غالبا كالآب والام قيل خلف الله عليك ، وقديقال خلف الله عليك إذا مات
لك ميت أي كان الله خليفة عليك واخلف الله عليك أي ابدلك ، والتلف
الهلاك يقال تلف الشيء تلفا هلك فهو تالف ، وأتلفته ورجل متلف لماله
ومتلاف للمبالغة *

والمعنى اللهم اعط منفقاً خلفا بأن يبارك له في رزقه حتى يستعمله فيما

(٧٥) رَحْمُ الصَّغِيرِ وَتَوْقِيرُ الْكَبِيرِ (١) لِحَدِيثِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ

يرضاه الله تعالى ويتباعده عن كل ما يكرهه ، واعط مسكاً تلمأ اي ان امواله
تذهب بلا فائدة تعود عليه ومصيرها الى التلف والزوال وان بقيت حياته
فان ابتلاه من بعده سيوزعونها وتذهب شذراً مذكراً اما الصالح فان ماله يحفظ
لا عقابه . من بعده وبذلك صرحت آية (وكان ابوهما صالحاً) بل ان
احترام كثير من الناس اليوم بسبب صلاح اسلافهم لا بسبب
امر آخر *

وان الامساك المراد منه ان لا يؤدي الى الفقراء حقوقهم من الزكاة اما
اذ ادى عليه فهذا لا يقال عنه مسك بل يسمى منفقاً لانه اطاع فليس
مكلفاً بعد ذلك الا لشخص غلب عليه الجوع حتى كاد يموت قال هذه
حالة استثنائية فان هذا البائس لومات يائس كل من علم بحاله ويعتبر قاتلاً
وان كان لا قود عليه ولا دية ولكن يتحمل عذاب قاتل ائيم . وانك
لو امعنت النظر في حال البخلاء لوجدتهم اتعس حالاً من البوساء في تعب البدن
وتهموش الفكر واضطراب القلب عند كل ما يظهر انه سيكلف بدفع شيء
ولاشك ان هذا عظيم مؤلم حمانا الله من شر ذلك *

(١) قوله « رَحْمُ الصَّغِيرِ » بأن يعطف عليه ويرق قلبه له حتى تظهر
نتيجته وهو التفضل والاحسان وهذه لا تنزع إلا من شقى لم يرد الله به خيراً
فان من لا يرحم الناس لا يرحمه الله تعالى وان فقدوها بسبب النفرة والشقاق
فكان من لارحمة عنده يريد قطع السلسلة التي تربط الماضي بالمستقبل لان
من المعلوم ان صغار اليوم هم كبار العصر الآتي *

وقوله « وَتَوْقِيرُ الْكَبِيرِ » وذلك تجاه الخدمات التي أداها في ادواره
الاول السابق على زمانك ليكن أقل شيء تؤديه تجاه دينه عليك هو التوقير

الله في صحيح مسلم «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله تعالى» (١) *
 وحديث أبي هريرة في الصحيحين «جعل الله الرحمة مائة جزء
 فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءاً واحداً فمن
 ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الفرس حافرهما عن ولدها
 خشية أن تصيبه» *

وحديث عبد الله بن عمرو في سنن أبي داود ومسلم «مزم (٢)

لأن الكبير هو الذي نقل لك ما في الماضي اذ لم يكن قد أوجد لك أمورا قد
 اخترعها عقله وأذاب دماغه فقد اصاعز منا غير قليل في سبيل منفعتك فيجب عليك
 توقيره وان تعلم بأن ما تعلمه ما هو إلا بسببه وكل أمة لا تحترم كبارها فهي
 محكوم عليها بالسقوط إما بأنها لا ماضى لها أو لأنها لا تحفظ الجليل
 ولا تجزى الحسنة بمثلها وإنما يريد أن تجزى الحسنة بالسيئة وهذا هو
 الخطأ أو وسائله القوية *

(١) قوله «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله تعالى» لأنه إذا لم يشفق
 على عباد الله تعالى إما لأنه يراهم دون ما وضعهم الله فيه من التبريم بقوله
 «ولقد كرمتنا بني آدم» فاستحق عندئذ غضب الله لعدم امتثاله ما جاء في
 القرآن الكريم وإما لأنه خال من الرحمة فالجزاء يكون من جنس ما كان
 عليه أو وفق عمله وحيث أن أعماله ليس فيها شيء من الرحمة بعباد الله تعالى
 فإنه لا يصيبه شيء من رحمة الله تعالى كما أنه لم يصب غيره مما يقدر عليه من
 العطف والرحمة *

(٢) قوله «من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا فليس منا» لأن

يُرْحَمُ صَغِيرَنَا وَلَمْ يَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا»

وَرَوَيْنَا فِي الصَّحَاحِ فِي حَدِيثِ الْقَسَّامَةِ «كَبِيرُ الْكُبَرِ أَوْ الْكُبَرُ الْكُبَرَاءُ أَيْ يَتَكَلَّمُ أَكْبَرُكُمْ» وَفِي حَدِيثِ الْأَمَامَةِ وَلِيُّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»
 (٧٦) (إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ (١) أَقُولُهُ تَعَالَى (لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ

ظَاهِرُ حَالِهِ يُشْهَدُ بِذَلِكَ حَيْثُ قَطَعَ سُلْسَلَةُ الْمَاضِي بِعَدَمِ مَعْرِفَةِ حَقِّ الْكَبِيرِ وَقَطَعَ سُلْسَلَةُ الْآتِي بِعَدَمِ رَحْمَةِ الصَّغِيرِ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مُعَاصِرُوهُ وَهَؤُلَاءِ إِنْ يَكُنْ يَتَفَاهَمُ مَعَهُمْ فَانْهَ مَضْطَرٌ لِذَلِكَ أَوْ يَرِيدُ أَنْ يَخْدَعَهُمْ وَلَا شَكَّ بَأَن مِثْلَ هَذَا يَجِبُ أَنْ لَا يَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّهُ مَا دَامَ لَا يَعْرِفُ عَلَى الْمَاضِي وَلَا عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ فَهُوَ بَهِيمَةٌ نَازِلٌ عَنِ الْمَرْتَبَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ فِي عِدَادِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّهَا : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) هـ

(١) قَوْلُهُ كَبِيرُ الْكُبَرِ أَيْ قَدَمُ الْكَبَرِ لِأَنَّ الْكَبَرِ بَضْمٌ الْكَافِ وَسُكُونُ الْمِيمِ جَمْعُ الْأَكْبَرِ وَهَذَا فِيمَا إِذَا تَسَاوَوْا فِي الْفَضْلِ فَإِنَّ لِلْسَّنِّ زِيَادَةً هِيَ الْإِخْتِبَارُ وَالْحَنَكَةُ وَحَقٌّ إِصْصَالُ الْمَاضِي وَرِبْطُهُ بِالْحَالِ وَلِهَذَا قَالَ الشَّارِعُ قَدَمُ الْأَكْبَرِ وَلَمْ يَقُلِ الْأَسْنُ لِأَنَّ فِيهِ مِيزَةً فَكَانَ أَكْبَرَ مِنْهُ فَإِنَّ الْأَسْنَ غَيْرُ الْأَكْبَرِ فَقَدْ سَأَلَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْتَ أَكْبَرُ أَمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ هُوَ أَكْبَرُ وَأَنَا أَسْنُ مِنْهُ ، وَقَوْلُهُ فِي حَدِيثِ الْأَمَامَةِ «فَلْيُؤْمَرْكُمْ أَكْبَرُكُمْ» فَإِنَّ مَعْنَاهُ مَا قَلْنَاهُ أَيْ بَعْدَ تَسَاوِيهِمَا فِي الْقِرَاءَةِ وَالْفَقْهِ وَالْآنَ فَإِنَّ مَجْرَدَ الْكَبَرِ لَيْسَ سَبِيلًا فِي التَّقْدِيمِ لِلْإِمَامَةِ بَلْ أَنَّهُ مَرْجِعٌ عِنْدَ الْمُسَاوَاةِ فِي الْأُمُورِ الْآخِرَةِ الَّتِي تَقْدَمُ عَلَى السَّنِّ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ وَمَدُونٌ فِي كِتَابِ الْفَقْهِ هـ
 (١) الْإِصْلَاحُ التَّوْفِيقُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَالصَّلَاحُ اسْمٌ بِمَعْنَى الْمَصَالِحَةِ

مَنْ نَجَّوْهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا
وَقَوْلُهُ : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ) أَيْ بَيْنَ
كُلِّ اثْنَيْنِ مِنْكُمْ » ❦

وأصله من الإصلاح ضد الفساد ، والصالح اقسام . صالح بين المتغاضبين
ويدخل فيه الزوجان ، وصالح بين الفئة الباغية والعادلة . والصالح في
الجراح ، وصالح المسلم مع الكافر وصالح لقطع الخصومات إذا وقعت
المزاحمة في الأملاك أو المشتركات كالشوارع ، والمراد به هنا ما يعم الجميع ❦
والنجم - وى مصدر أو اسم مصدر ، معناه المسارة بالحديث ، أى
الكلام الذى يتفرد به الجماعة أو الاثنان سرا ، وهى مظنة الاثم والشر
يدل له قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَنَاجَوْا بِالْآثِمِ
وَالْعَدُوِّ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبَرِّ وَالتَّقْوَى) الآية ، لأن العادة
استحباب اظهار الخير والتحدث به جهرأ وإخفاء الشر وكتمانه ، وقد
جاء فى الحديث ، « الاثم ماحاك فى النفس وكرهت أن يطالع عليه الناس »
وعلى كل فالسعى للإصلاح بين الناس أمر مطلوب من الناس ومحمود وعليه
سواء كان بين الزوجين أو بين الخارجين على الأمة وبين الأمة أو بين
سائر المخاصمات ، فان هذا من شعب الايمان لأنه يبعث على تجدد المحبة
والموالاتة ولا سيما إذا حصل الصلح عقب شادة ومنازعة فإنه يكون آدم
وانفذ وقد جرت العادة أن المودة تستحكم عراها وليست على المسلمين
نعمة أعظم من توحيد كلمتهم واجتماعهم بعد التفرقة قال تعالى خطابا لرسوله
(هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بُنْصَرَهُو بِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ

وَلَحْدِيثٍ أَمْ كَلْتُمُوهُ بَنَاتُ عَقِبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي
 الصَّحِيحِينَ « لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصَاحُّ بَيْنَ النَّاسِ فَيَقُولُ خَيْرًا
 وَيُسَمِّي خَيْرًا قَالَتْ وَلَمْ اسْمَعْهُ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبًا
 إِلَّا فِي ثَلَاثِ الْحَرْبِ وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ وَحَدِيثِ الرَّجُلِ أَمْرَاتِهِ
 وَحَدِيثِ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا » (١) *

جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم) وقال
 تعالى خطابا للمسلمين : (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف
 بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم
 منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) وهما يذن الزاع فان مصيره
 الى التفرقة وتسيطر العدو والمخاصم بخلاف الصلح فانه يوجد كتلة قوية
 دائمة نشيطة قال تعالى : (والصلح خير واحضرت الأنفس الشح) وقال
 تعالى (فان فاءت فاصالحوا بينهم بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين
 انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) *
 (١) قوله « ويسمى خيرا » هكذا رواية مسلم بدون أو ، ورواية البخاري
 هكذا ، فيسمى خيرا أو يقول خيرا ، وهو شك من الراوى ، قال ابن الأثير
 نقلا عن أنى عبيد . وابن قتيبة وغيرهما ، يقال سميت الحديث أنمية اذا بلغته
 على وجه الاصلاح وطلب الخير ، فاذا بلغته على وجه الافساد والبيمة قلت
 نميته بالتشديد اه وعزاه ابن حجر في الفتح الى الجمهور ، قال الحافظ قال
 العلماء المراد به هنا أنه يخبر بما عليه من الخير ويسكت عما عليه من الشر ولا
 يكون ذلك كذبا لأن الكذب الاخبار بالشئ على ما هو به وهذا ساكت

﴿٧٧﴾ أَن يُحِبَّ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَيَكْرَهُ لَهُ
مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ وَيَدْخُلَ فِيهِ إِمَاطَةٌ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ الْمُشَارِّ إِلَيْهِ فِي
حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِينَ «الْإِيمَانُ بِضْعٌ
وَسِتُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ
الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» *

ولا ينسب لساكت قول ، ولا حجة فيه لمن قال يشترط في الكذب قصد إليه
لان هذا ساكت اه وقولها ولم أسمعه يرخس الخ هذه زيادة مدرجة في الحديث
من كلام الزهري بينها مسلم في روايته من طريق يونس عن الزهري فذكر
الحديث قال : قال الزهري الخ *

واختلف العلماء في معنى ذلك على أقوال والذى تميل إليه النفس ويقبله
العقل السليم وتشهد له الأدلة هو ان هذا ليس من قبيل الكذب المحض بل
هو من قبيل التورية واستعمال المعارض بأن يأتي بكلمات محتملة
يفهم المخاطب منها ما يطيب قلبه فاذا سعى في الاصلاح نقل من هؤلاء إلى
هؤلاء كذلك ووري ، وكذلك في الحرب يأتي بالفاظ تحتمل وجهين
فيورى بها عن أحد المعنيين ليغتر السامع بأحدهما من الآخر ، ومن هذا
الباب ما رواه الترمذى في شمائله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه مازح عبجوزا فقال لها
«لا تدخل الجنة عجوز» فاوهمها في ظاهر الأمر ان العجائز لا يدخلن الجنة
أصلا ، وانما أراد انهن لا يدخلن الجنة الاشبايا ، وما جاء عن ابراهيم عليه
الصلاة والسلام وغيره محمول على ذلك ، فتفطن *

(١) قوله «ان يحب الرجل لأخيه المسلم ما يحب لنفسه» الخ هذا الحديث

وَحَدِيثُ أَنَسٍ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَحِبَّ
لَاخِيَهُ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ» *

وَحَدِيثُ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي الصَّحِيحَيْنِ بِإِعْتِزَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنَّصِيحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ (١) *

هو الذى يصح ان يقال هوروح الاصلاح وهو عنوان الامة فى صعودها وهبوطها أو فى عزها وسقوطها لان من أحب لغيره ما أحب لنفسه فقد تحرر من العوائق النفسية والمطامع الذاتية مندمجين أذائبين فى بودقة الامة لا يعرفون الشرف ولا المنافع التى تدر عليهم وحدهم بل يلاحظ كل واحد مصلحة أخيه فى زول الشر ولا يبقى حاكم ولا محكوم لأن الكل اخوان لا يريدون الا بيان الحقيقة اذا أبهم عليهم الحكم وأشكل الامر فلا حاجة للحراسة ولا لكثير من الامور التى اضطر الناس اليها بسائق تمضى ارباب الاخلاق السافلة والطباع الخبيثة، وفى الحقيقة ان ما ينشأ عن هذا الحديث من الاحكام لا تسكفى له هذه العجالة وانما يمكن جمع فائدته فى أنه رافع للشر والفساد وكافل لاصلاح الامة ونهوضها ورفقها وتقدها والله أعلم (١) قوله « جرير بن عبد الله » هو ابو عبد الله جرير بن عبد الله البجلي منسوب الى بجيله وهى قبيلة معروفة وقدم على رسول الله ﷺ سنة عشر فى رمضان واسلم وبايعه على ما فى الحديث وتوفى فى قرقيسيا سنة احدى وخمسين ، وقوله فى الحديث « والنصح لكل مسلم » اى النصيحة لكل مسلم لافرق بين الملك وامير وعالم وعلوكم وفقير وقد فصل ذلك فى حديث مسلم عن تميم الدارى رضى الله عنه « ان النبى ﷺ قال الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولكتبه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم »

والنصح والنصيحة عليهما مدار الدين واصلاح المجتمع الانساني لذلك كان معظم الصحابة رضى الله عنهم دائبا على النصح والارشاد والنظر الى ما يصلح عامة الناس وعوامهم ، والنصيحة مأخوذة من النصح ضد الغش من نصحت العسل اذا صفيته وهى كلمة جامعة تفسرها ارادة الخير للنصوح له وليس يمكن ان يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة يجمع معناها غيرها كما قالوا فى الفلاح ليس كله اجمع لخيرى الدنيا والاخرة منه، والنصيحة لله هى الايمان بوجود وجوده واثار كرمه وجوده وبصفاته الكمالية وبافعاله الحميدة المرضية وانه منزه عن صاحبه والولد والشريك ، ولنگتابه بان يعتقد انه كلامه القديم ويعتبر بمواعظه ويتدبر فى عجائبه وغرائبه ويعمل بمحكمة النصيحة ويسلم فى متشابهه ويكل علمه الى عالمه ويذب عنه تأويل المحرفين وطعن الطاعنين الى غير ذلك مما يتعلق به ، والنصيحة لرسوله الايمان به وبجميع ما جاء به والانقياد لاوامره والامثال لرواجره ومعاداته من عاداه وموالاة من والاه ونصر ملته واحياء سنته ونشر دعوته ومحبة ال بيته وصحابته ، والنصيحة لائمة المسلمين بان يحبهم وينقاد لطاعتهم ولا يخرج عليهم قال الخطابي ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم واداء الصدقات اليهم هذا فيما إذا كانوا عدولا فى احكامهم ، وفى معنائهم العلماء الاعلام بقبول ما رووه من الاحكام الشرعية واحسان الظن بهم ، والنصيحة لعامة المسلمين بان يرشدهم الى ما هو الاصلح لهم والافقع وأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويدفع الضر عنهم ويستعوراته ويسد خلاتهم ويوقر كبيرهم ويرحم صغيرهم الى غير ذلك والله الهادى الى ما هنالك ❖

تم التتايق والله الحمد والمنة فى ٢ ذى القعدة سنة ست وخمسين وثلثمائة
والف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل صلاة وأكل ثمة .

فهرست

(مختصر شعب الايمان للامام البيهقي)

صحيفة

صحيفة

القدر خيره وشره من
الله تعالى

تحقيق الحق في المتشابه الوارد
في الكتاب والسنة ١٣

السادسة الايمان باليوم الآخر
السابعة الايمان بالبعث بعد
الموت وتفسيره ١٤

الثامنة الايمان بحشر الناس
بعد ما يبعثون من قبورهم
وتفسيره ١٥

التاسعة الايمان بان دار
المؤمنين الجنة ودار
الكافرين النار ١٦

العاشر الايمان بوجوب محبة
الله عز وجل ١٧

الحادية عشرة ، الايمان
بوجوب الخوف من الله
عز وجل ١٨

الثانية الايمان
بوجوب النية ودار
المؤمنين الجنة ودار
الكافرين النار ١٩

الثالثة الايمان
بوجوب الخوف من الله
عز وجل ٢٠

خطبة صاحب التعاقب
للرة الثانية ٢

خطبة الكتاب المؤلف
حديث الا ان يضع وستون ٣

شعبة وبيان طريقه وإيضاح
معانيه ٤

تفسير البضع والشعبة
بيان سند المؤلف في كتابه ٥

واختلاف طريقه
الشعبة الأولى ، الايمان بالله ٦

عز وجل
الشعبة الثانية الايمان ٧

برسل الله
الشعبة الثالثة الايمان ٨

بالملائكة
الشعبة الرابعة الايمان ٩

بالقرآن وجميع الكتب
الشعبة الخامسة الايمان بان ١٠

(ب)

صحيفة	صحيفة
٢٢ الثانية عشرة الايمان بوجوب	٤٤ بيان أن الفقيه هو العالم العامل
الرجاء من الله عز وجل	ومثال العالم غير العامل
٢٤ بيان أن الذكر ليس قاصراً	٤٦ التاسعة عشر تعظيم القرآن
على اللسان	المجيد بتعليمه وتعليمه وحفظ
٢٥ الثالث عشر الايمان بوجوب	حدوده وأحكامه وعلم حلاله
التوكل على الله عز وجل	وحرامه وتبجيل أهله
٢٦ الكلام على السكى	وحفاظه
٢٧ حقيقة التوكل والكلام على	٥٠ العشرون الطهارات
الرقية والطيرة	٥٣ الحادية والعشرون الصلوات
٢٩ الرابعة عشر الايمان بوجوب	الخميس
محبة النبي ﷺ	٥٤ بيان أن تارك الصلاة خارج
٢٩ علامة المحبة	عن الدين بالنص واللوم كله
٣٢ الخامسة عشر الايمان بوجوب	على العلماء
تعظيم النبي ﷺ	٥٥ الثانية والعشرون الزكاة
٣٣ السادسة عشر شمع المرم بدينه	٥٦ بيان الآيات والأحاديث
حتى يكون القذف في النار	الواردة في تقييع وتوبيخ
أحب اليه من الذمقر	مانعي الزكاة
٣٤ السابعة عشر طلب العلم	٥٩ الثالثة والعشرون الصيام
الصحيح وهو معرفة البارى	٥٩ حكمة الصوم
٣٥ الآيات والأحاديث الواردة	٦٣ الرابعة والعشرون الاعتكاف
في فضل العلم والعلماء	٦٧ الخامسة والعشرون الحج
٤٢ الثامنة عشر نشر العلم النافع	٦٨ معنى الحج لغة وشرعا

- ٧٠ بيان حجب أهل زماننا
٧٤ السادسة والعشرون الجهاد
٧٤ حقيقة الجهاد وأقسامه
٧٧ دين الاسلام دين هداية
لادين حرب
٨٠ السابعة والعشرون المراقبة
في سبيل الله تعالى
٨٣ الثامنة والعشرون الثبات للعدو
وترك الفرار من الزحف
٨٥ تفسير قوله تعالى (فاذا لقيتم
الذين كفروا ازحفا) الآية
٨٧ التاسعة والعشرون أداء الخمس
من المغنم إلى الامام أو عامله
٩٠ الثلاثون العتق بوجه التقرب
إلى الله
٩٢ الحادية والثلاثون الكفارات
الواجبات
٩٣ الثانية والثلاثون الايفاء
بالعقود
١٠٠ الثالثة والثلاثون تعدد نعم
الله عز وجل وما يجب عن
شكرها.
١٠٣ كلام العلماء في النعم
- ١٠٨ الرابعة والثلاثون حفظ
اللسان عما لا يحتاج إليه
١٢٠ الخامسة والثلاثون
الامانات وما يجب فيها من
أدائها إلى أصحابها
١٢٤ السادسة والثلاثون تحريم قتل
النفوس والجنايات عليها
١٢٤ معنى قوله عليه السلام سباب المسلم
فسوق وقتاله كفر
١٢٥ السابعة والثلاثون تحريم
الفروج وما يجب فيها من
التعفف
١٢٦ حكم اللواط وما ورد فيه
١٢٨ الثامنة والثلاثون قبض اليد
عن الأموال ويدخل فيها
تحريم السرقة
١٣٣ التاسعة والثلاثون وجوب
التورع في المطاعم والمشارب
والاجتناب عما لا يحل منها
١٣٤ قبح الخمر وشاربيه
١٣٦ بيان الطيبات المأمور بها
وورع السلف الصالح
والكلام على المتشابهات

صحيفة

١٤١ حقيقة الورع وما قيل فيه

١٤٩ الأربعون تحريم الملابس
والزى المخالف والأواني

وما يذكره منها

١٤٩ بيان الأحاديث الواردة في
لبس الحرير والنهي عنه مطلقا١٥٣ الحادية والأربعون في تحريم
الملاعب والملاهي المخالفة
للشريعة١٥٣ الثانية والأربعون الاقتصاد
في النفقة وتحريم أكل
المال بالباطل١٥٦ الثالثة والأربعون ترك الغل
والحسد ونحوهما١٥٦ حقيقة الحسد وتقسيمه إلى
حرام ومباح وهو المسمى
غبطة١٦٠ الرابعة والأربعون تحريم
الوقوف في أعراض الناس
وما يجب من ترك الوقعة فيها
١٦٠ الكلام على آية (لمن الذين
يحبون أن تشيع الفاحشة في
الذين آمنوا)

صحيفة

١٦٢ الخامسة والأربعون اخلاص
العمل لله عز وجل
وترك الرياء١٦٣ معنى قوله تعالى (من كان يريد
حرف الدنيا) الخ

١٦٣ حقيقة الرياء

١٦٨ كلام السلف في الرياء

١٦٩ السادسة والأربعون السرور
بالحسنة والاعتناء بالسيئة١٦٩ السابعة والأربعون معالجة
كل ذنب بالتوبة١٦٩ حقيقة السرور والتوبة ✓
١٧٠ حقيقة الغين١٧١ الثامنة والأربعون، القرابين
١٧١ حقيقة القرابين١٧٢ التاسعة والأربعون طاعة أولى
الأمر ومن ثم١٧٢ الكلام على الاضحية والعقيقة
١٧٥ الخمسون التمسك بما عليه الجاء١٧٥ حكم من خرج من الطاعة
وفارق الجماعة١٧٦ استباحه دم من فرق امرأة
محمد ﷺ وهي جمع

صحيفة

١٧٦ الحادية والخمسون الحجة بين

الناس بالعدل

١٧٧ الثانية والخمسون الامر بالمعروف

والنهي عن المنكر

١٧٨ للصحابة في الامر بالمعروف

والنهي عن المنكر كلام نفيس

١٨٠ صفه من يامر وينهى

١٨٤ شرح حديث من رأى منك

منكر اقله ٥، الخ

١٨٨ الثالث والخمسون التعاون على

البر والتقوى

١٩٠ الرابع والخمسون الحياه

وحقيقته

١٩٢ الخامسة والخمسون بر الوالدين

١٩٤ السادسة والخمسون صلة الرحم

حقيقته

١٩٥ بيان الجمع بين الآيه

والاحاديث في زيادة العمر

١٩٦ السابعة والخمسون حسن

الخلق ويدخل فيه كظم الغيظ

واين الجانب

١٩٦ حقيقته ومكارم أخلاق النبي

صلوات
الله
عليه
وسلامه

صحيفة

٢٠٠ صفات المؤمن حقيقه

٢٠٢ تقسيم الخلق إلى طبعين

ومكتسب والدليل على ذلك

٢٠٣ الثامنة والخمسون الاحسان

إلى الممالك

٢٠٤ التاسعة والخمسون حق السادة

على الممالك وهو لزوم العبد

سيده

٢٠٥ الستون حقوق الأولاد

والأهل

٢٠٦ الحادية والستون مقاربة أهل

الدين ومودتهم وافشاء

السلام بينهم

٢٠٧ فوائد السلام وافشاءه

٢٠٩ الثانية والستون رد السلام

٢١٠ بيان حكمه والنهي عن الجلوس

بالطرق وحكمة النهي

٢١١ الثالثة والستون عيادة المريض

٢١٢ الكلام على حديث أمرنا

بسمع ونهايا عن سماع

٢١٤ الرابعة والستون الصلاة على

من مات من أهل القبلة

٢١٥ بيان حكمه وكيفية الحمد

والتشميت وجواب العاطس
٢١٦ السادسة والستون في مباحدة
الكفار والمفسدين والغافل
عليهم .

٢١٧ بيان الآيات الواردة في عدم
مواالة الكفار وحكمة النبي

وجواز الاستعانة بهم من
تحالف واتفاق على عدونا

٢٢٠ السابعة والستون إكرام الجار
الاحسان إلى الجار ومواساته

٢٢١ بيان حقوق الجار وأنهما
تختلف باختلافه وبيان ما عليه

أهل زماننا الآن من
الاساءة للجار

٢٢٣ الثامنة والستون إكرام الضيف
٢٢٤ التاسعة والستون الستر على

أصحاب الذنوب
٢٢٤ بيان من يجب الستر عليه

ومن لا يجب
٢٢٦ السبعون الصبر على المصائب

وعما تنزع النفس إليه من
لذة وشهوة

٢٢٦ حقيقة الصبر وبيان حكمه
٢٢٩ الحايه والسبعون الزهد

وقصر الأمل
٢٣٠ حقيقة الزهد وأقوال العلماء فيه

٢٣٢ تفسير حديث «نعمتان مغبون
فيهما كثير من الناس» الخ

٢٣٤ بيان سبب فتنة بني اسرائيل
٢٣٥ ضلال من يعلم ولم يعمل

٢٣٦ الثانية والسبعون الغير وترك
المذا .

٢٣٩ الثالثة والسبعون الاعراض
عن اللغو

٢٣٩ الكلام على حديث من حسن
اسلام المرء تركه مالا يعنيه

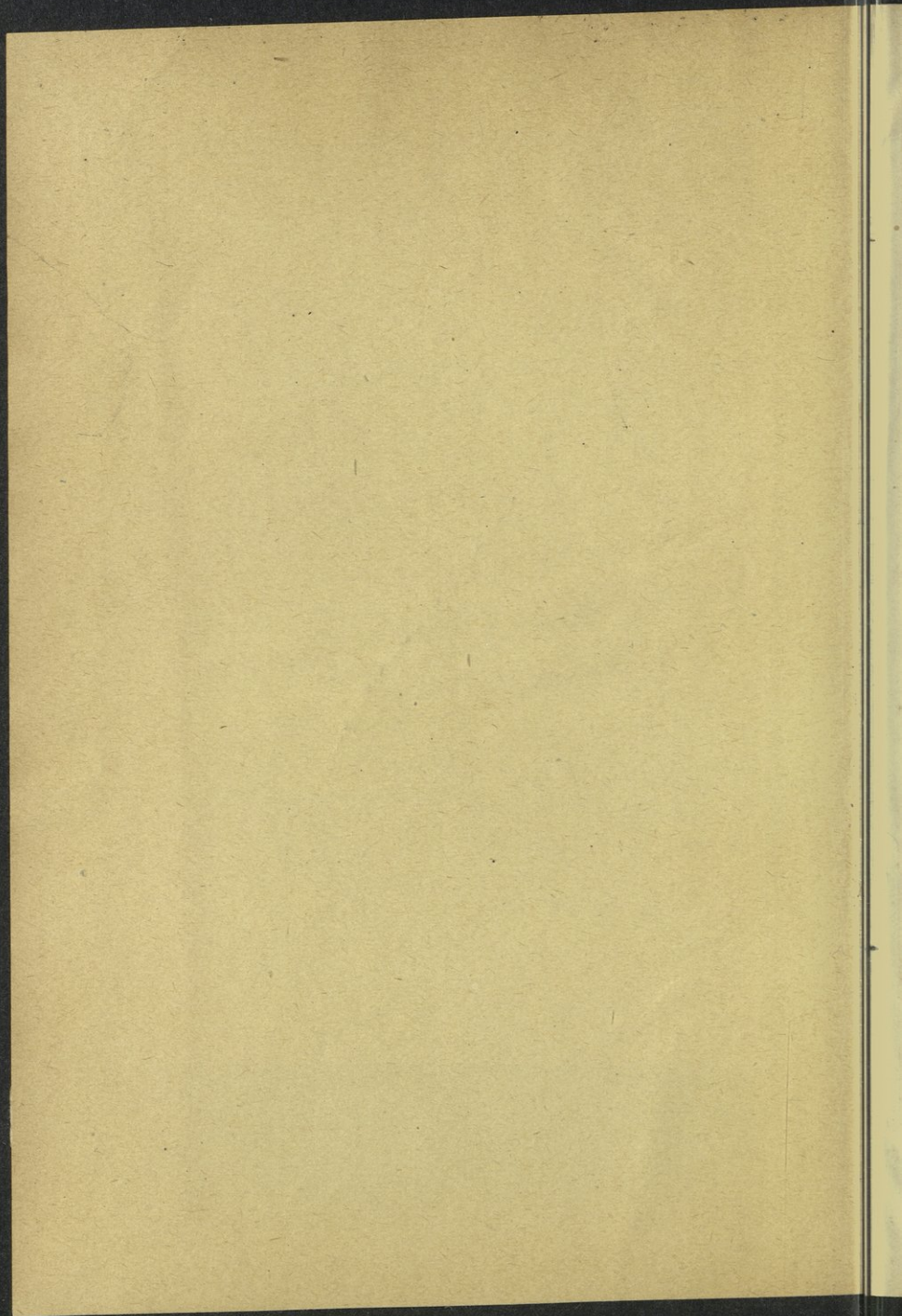
٢٤١ الرابعة والسبعون الجود
والسخاء .

٢٤٢ من خاتم النبي ﷺ وأكرمه
٢٤٥ الخامسة والسبعون رحم

الصغير وتوقير الكبير
٢٤٧ السادسة والسبعون إصلاح

ذات البين
٢٥٠ السابعة والسبعون أن يحب

الرجل لاختيه ما يب لنفسه



DATE
JAFET LTD
33 JUN 2004
Circulation Dept. 5

[illegible]

297.342:B35mA:c.1

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين

مختصر شعب الايمان

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01008143

American University of Beirut



297.342
B35mA

General Library

